مكتبة المشورة الكتابية

«صراع الكلمات»

اكتشاف جوهر مشاكل التواصل

The publication of this book has been made possible through the generosity of Eric & Amy Ostrander of Louisville, KY

Paul David Tripp

مركز دراسات
المشورة الكتابية
NOUTHETIC

Original English Title:
War of Words
Getting To the heart of your communication struggles

Publisher: P&R Publishing
Author: Paul David Tripp
© 2000
ALL RIGHTS RESERVED

اسم الطبعة باللغة العربية:
صراع الكلمات
مادة خام جديرة بالإستثمار
الإعداد الفني: خدمة «ذهن جديد»

New Renovaré Ministry
www. nermo.net
email:info@nermo.net

المسئول : د. ياسر فرح
المترجم :

التليفون : (2+) 01203084135 - (202+) 22870640 - (202+) 26718765

«**Renovaré**» كلمة لاتينية بمعنى «**to Renew**» أي «**يجدد**»
رسالتنا هي: فاتركوا سيرتكم الأولى بترك الإنسان القديم الذي أفسدته الشهوات الخادعة، و**تجددوا** روحًا وعقلًا، والبسوا الإنسان الجديد الذي خلقه الله على صورته في البر وقداسة الحق. (أفسس ٤: ٢٢-٢٤)

الناشر باللغة العربية: **مركز دراسات المشورة الكتابية «Nouthetic»**
E-mail: Noutheticegypt@gmail.com

«**Nouthetic**» كلمة يونانية بمعنى **المواجهة الشخصية**
(بالتوبيخ أو الانذار أو التعليم أو النصح) **بمحبة شديدة**
واهتمام **بغرض التغير والتطبيق الشخصي** لحق الله
رسالتنا هي: «وأنا نفسي متيقن من جهتكم يا إخوتي أنكم أنتم مشحونون صلاحًا ومملوؤن كل علم. قادرون أن **ينذر (ينصح)** بعضكم بعضًا.» (رومية ١٥: ١٤)

مطبعة: سلفر ستار : 01221066730
رقم الإيداع بدار الكتب: ٢٠١٤/٩٠١٢
الترقيم الدولي: 978-0-87552-604-1

The publication of this book has been made possible through the generosity of Steve & Barb Walke

The project of securing the publication rights to, raising the funds for, and overseeing the translation of biblical counseling-related books and training materials is a ministry of Overseas Instruction in Counseling (www.DiscoverOIC.org) a United States-based mission agency that trains biblical counseling trainers around the world.

© جميع حقوق النشر والتدريب والتعليم محفوظة للناشر

إهداء إلى أبنائي الأربعة «جستن، إيثان، نيكول ودارني»

لقد استخدمكم يسوع حتى تعلّموني كيف أتكلم مثل الآب.

أشكركم لأجل صبركم الشديد.

المحتويات

المقدمة ٥

الجزء الأول: الكلام ليس رخيصًا

الله يتكلّم ٩

الشيطان يتكلّم ٢٧

الكلمةَ صارَ جسدًا ٤٧

الكلمات الوثنية ٧١

الجزء الثاني: منهاج جديد لكلامنا!

هو الملك! ٩٣

تبعية الملك من أجل كل الأسباب الخاطئة! ١١٧

التحدث نيابةً عن الملك ١٤١

الوصول للهدف ١٦٥

مواطنون يحتاجون المساعدة ١٨١

في إرسالية للملك ٢١١

الجزء الثالث: الانتصار في صراع الكلمات

ترتيب الأولويات ٢٣٧

الانتصار في صراع الكلمات ٢٦٥

اختيار كلماتك ٢٩٥

المقدمة

ما الذي يجعل شخصًا يكتب كتابًا؟ أحيانا المؤلفون يكتبون بسبب خبراتهم. ومن خلال التعليم والخبرة التي أكسبتهم معرفة متخصصة وفهم لموضوع معين. وكتابتهم تتيح لقرائهم أن ينمو في نفس المجال دون الخوض بكل التدريبات والخبرات بأنفسهم.

والمؤلف أيضًا يمكن أن يكتبَ بدافع اليأس. إن كان في حياته ضعفُ أو صراعُ يحتاج أن يعالجه، فهو يمتحن، ويدرس، ويتأمل، ويطبّق ما تعلّمه ليساعد نفسه على النمو. ثم يضع ثمرة أعماله على الورق على أمل أن آخرين سيستفيدون مثلما استفاد هو نفسه.

أنا لم أكتب هذا الكتاب بدافع الخبرة، إنما بدافع اليأس، لقد أخبرت كثير من الناس أثناء عملية الكتابة أنني لم أكتبَ هذا الكتاب بل هو الذي كتبني!

عندما كنت في السادسة عشرة من عمري، كنت أتدرب في وقت مبكّر من صباح أحد أيام السبت من أجل مسابقة الخطابة على مستوى الولاية. وسمعتني أمي من غرفة نومها المجاورة، فنهضت وجاءت إلى الغرفة وسألتني، «هل يمكنني أن أقاطعك للحظة؟»، وأنا في الحقيقة لم أمانع لأني كنت مستعدًا أن أخذ راحة. فقالت شيئًا في مستوى النبوة. فقد قالت «بول، الله أعطاك قدرة خاصة

على التواصل، لكن احترس، لان هذا سيكون أيضًا الصراع الأعظم لك.» هذه الكلمات تبدو لي حقيقية اليوم أكثر جدًا من ذلك الصباح الذي تحدثت معي بهذه الكلمات.

هذا صحيح إن أعظمَ نقاط القوةُ لدينا هي أيضًا أعظم نقاط ضعفنا. وهذا الكتاب تمت صياغته من الضعف ـ ضعفي أنا. لكن هذا الضعفَ تم تليينهُ بتدخل من نعمة الله المذهلة وأفكار الكتابُ المقدّس القوية.

في الصفحات القادمة سوف نختبر شيء ما يميزنا عن باقي الخليقة، شيء ما نكرره كل يوم: (أننا نتكلّم). ومع ذلك فإن هذا الكتاب يعالج الموضوع بشكلٍ مختلف، فإنه ليس مناقشهة لأساليب ومهارات التواصل الفعّال. إنما، هو قصة الصراع العظيم في قلوبنا وذلك هو السبب لصراعنا مع الكلمات. ومع ذلك فهنا يوجد أيضًا ما هو أكثر من فحص المعركة، فأيضًا سوف ندرك خطة الله لكلامنا ونحتفل بنعمته التي تقوينا.

أشكر كل الناس الذين استخدم الله كلماتهم ليغيّروا قلبي. وأتمنى أن يغيّرَ الله قلبك أيضًا من خلال صفحات هذا الكتاب. أشكر أيضًا سو لتز والتي بموهبتها في الكلام جعلت هذا الكتاب يصبح أفضل.

الجزء الأول

الكلامُ ليس رخيصًا

اَلْمَوْتُ وَالْحَيَاةُ فِي يَدِ اللِّسَانِ،
وَأَحِبَّاؤُهُ يَأْكُلُونَ ثَمَرَهُ.

(أمثال ١٨: ٢١)

يا لا طبعي هذا!
يا رب، سامحني ــ
لقد سمحت أن تُفسدَ الدماثة بداخلي!
متى سأتعلّم أن أنتظرَ
حتى أسمعَ القصة كاملة،
لأجاوب تحت ضغط
مثل المسيحَ أكون،
لأقابل الشر بالخير؟
يا رب، إننى أنموُ
ولكن نموي بطيٌء جدًا
حتى حياتيَ ــ
فتت كل كبرياء
انزع كل أعشاب الأنانية
أحرث جميع بقايا العناد
ازرع فيّ واغرس بحُرية
المزيد من بذور ثمر الروح.
أرسل مطرًا غزيرًا.
وعواصف (إن تطلب الأمر)
أشرق بوضوح على روحي
وعندها سأُنبت
صبرًا وصلاحًا ومحبة ــ
وتحكّم بالنفس ــ
بغزارة،
ولساني سيتعلم
أن يساعدَ ويشفيَ
ويسبحَ اسمكُ
في اسم الإله الواحد
أنا أصلّي.
آمين

الفصل الأول

اللّه يتكلّم

«وَبَارَكَهُمُ اللّهُ وَقَالَ لَهُمْ...» (تكوين ١ : ٢٨)

لا يهُم أين تعيش، لا يهُم ماذا تفعل كل يوم، هناك شيء واحد تفعله طوال اليوم. أنت تتكلمَ. من البداية «أقد حان وقت الصحيان الآن؟» حتى النهايةَ «ليلة سعيدة، علي أن أحصل على قسط من النوم» ، فها أنت تتكلمَ. في غرفة النوم، والحمام، والدهليز، والمطبخِ، وفي السيارةِ، والمتجر، والمصنع، وقاعة الاجتماعات، فها أنت تتكلّم. إلى شريك حياتك، وأطفالك، وأصدقائك، وأسرتك، وجيرانك، وزملائك بالعمل، أنت تتكلّم. هذا ما يفعله البشر تقريبًا بدون انقطاع وحتى بدونَ التفكيرَ في أهمية هذا الأمر بالنسبة لحياة الإنسان. والقدرة على التواصل هي أحد الأشياء التي تميزنا عن باقي المخلوقات. نحن بشرُ ونتكلّم. ونحن بحاجة أن ندرك كمّ «الكلام» الموجود في حياتنا.

الكلمة في ذاتها لا تحمل شحنة. «الكلام» يبدو طبيعي جدًا، تقليدي جدًا، غير مهم وغير ضار. ولكن هناك القليل من الأشياء الأخرى التي نفعلها أكثر أهمية. ولكن تحت اعتياديةُ الكلامَ فإن هناك صراع عظيم، وهو **صراع الكلمات** التي نواجهها كل يوم. وها هي بعض الطرق المألوفة لنتحدث عن صراعنا مع الكلمات.

«لم أتخيل قط عندما كنا نخرجُ سويًا في البداية، أنه سيتحدث معي بهذه الطريقة التي يتحدث بها الآن!»

«أنا لا أصدق ما أسمعه عندما يتحدثَ إلى ابني!»

«لقد أغلقت عليّ المكالمة وأنا في منتصف كلامي»

«والداي لا يكلّماني أبدًا إلا عندما أكون في مأزقَ»

«إنه يتحدثَ معي بلطف فقط عندما يريدُ شيئًا.»

«انه يتحدثَ كثيرًا جدًا حتى أنه من الصعب أن تفهمَ كلمة منه.»

«لم أكن مرتاحًا من الطريقةُ التي تحدثتِ بها عن الناسَ الآخرين.»

«يبدو أننا لن نحصلَ أبدًا على وقت كافٍ للحديث.»

«لقد تكلّم كثيرًا، لكنني لم أستطعَ أن أفهمَ ما يحاول قوله»

«لماذا ننتهي دائمًا بجدال؟»

«ماذا حدث؟ نحن كنا قريبين جدًا والآن بالكاد نتكلّمُ.»

«أشعر أنني أقضي وقتي كلهُ في فض الجدال بين أطفالي!»

«نعم، لقد طلب مني الغفران ، لكنني أجدُ صعوبةُ في أن أنسىَ الجرح ، فما قاله كان قاسيًا جدًا.»

«أتمنى أن يمرَ يومٌ على عائلتي بدون صراخ.»

«أنا لا أعرف لماذا أضيع وقتي في الكلام، يبدو أنه لا يصنعَ أي فرق»

«لن نصل لمغزى الأمور إذا ظل الجميع يتحدثون في وقتٍ واحدٍ.»

«دائمًا يجب أن تقول الكلمة الأخيرة.»

«انه يتحدثَ إليّ بلطف عندما نكون في مكانٍ عام.»

«في بعض الأحيان أعتقد انه من الأفضلَ أن نسكتَ جميعًا عن الكلام.»

كل هذه الأشياء ذكرتها الأسر والعائلات لي في جلسات المشورة. وبعد أخذ كل شيء في الاعتبار، فإنهم يمسكون بمشكلة صراع الكلام التي نعاني منها جميعًا. فمن منا لم يُجرحَ من قبلِ بسبب كلمة شخص آخر؟ ومن منا لم يندمَ على كلمة قالها هو ذاته؟ من منا لم يضطرَ أن يكونَ حكمًا في نقاش؟ من منا لم يرد أن يتحدثَ جديًا مع من يحبه لكن لا يبدوَ أن هناكَ وقتٌ؟ من منا يستطيع أن يقولَ «كلامي دائمًا يلائم الموقف ودائمًا يقال بشكل لطيف»؟

عالم الكلام هذا- العالم الذي يقبع خلف الهدوء في وسط العامة واللطف الذي نستطيع جميعنا أن نحشدَه ـــ وهذا ما يدور حوله هذا الكتابُ. إن كنتَ تستطيع أن تقول «أنا ليس عندي مشكلةُ مع الكلماتَ» فإنك لا تحتاجَ أن تقرأَ المزيدُ من هذا، لكن إن كنتَ تعترفُ -مثلي- أن هناكَ صراع في الكلامِ مازال يدورُ في حياتكِ،

وإن كانَ هناك دليل على وجود صراع في التواصل بمحبة والتواصل الملائم، وإن كانَ لا يزال هناكَ مساحة من أجل النضوج في عالم الكلام الخاص بك، فإذًا هذا الكتاب من أجلك أنتَ.

إن الهدفَ من هذا الكتاب ليس فقط من أجل عرض مبادئ الله السامية التي صنعها من أجلنا وبعد ذلك يذكّرنا كم نحنُ بعيدين عنها تمامًا، فمعظمنا بشكل مؤلم يعلم المسافة بين ما نحن فيه وما يريدنا الله أن نكون فيه، لا إن هذا الكتاب كُتب لكي يكون مصدر رجاء. فالكتاب يدور حول التغيير، التغيير المُمكن أن يحدث بسبب إرادة الشخص وعمل الرب يسوع المسيح. يسوعُ هو الكلمة الوحيدة التي هي رجاء لكلماتنا! وفيه فقط نجد الرجاء لكي ننتصر في صراعِ الكلمات.

لقد كتبتُ هذا الكتابُ لأنني مقتنعَ أننا لم ندركَ بعد كيف تستطيع كلمة الله أن تغيّرَ جذريًا طريقة فهمنا ومعالجتنا لمشكل التواصل. لا يجب أن نُحبط! ولا يجب أن نعيش «عالقين»، ولا يجب أن نستسلمَ للاستخفافُ بمثل هذه الخطايا في هذا العالم الساقط والقاسي.

هذا الكتابُ هو كتابَ للرجاء لأنه متأصل في أربعة أساساتُ ومبادئُ تغييرَ في الحياةِ:

الله لديه خطة رائعة لأجل كلماتنا وهي أفضل بكثير جدًا من أي خطة يمكن أن نضعَها لأنفسنا.

الخطية تدخلت وغيرت بشكل جذري في منهاج كلامنا وهذا نتج عنه المزيد من الجروح والتشويش والفوضى.

في يسوع المسيح نجد النعمة التي تمُدنا بكل ما نحتاج حتى نقول ما يريدنَا الله في الأساس أن نقولَ.

الكتابُ المقدّس يعلّمنا بكل وضوح وبساطة كيف نتحرّك مما نحن واقفين فيه إلى ما يريدنا الله أن نكونَ فيه.

في كل فصل من هذا الكتاب سوف نهتم بخطة الله، والخطية، والنعمة، وخارطة النص الكتابي.

صلاتي هي أن يقودكَ هذا الكتاب إلى معرفة جديدة عن تصميم الله الأصلي لأولاده، واستنارة جديدة عن صراعاتك الشخصية مع الخطية، واعتماد متجدد على نعمة الله الفيّاضة، وحكمة عملية كتابية ينتج عنها المزيد من إكرام الله وإفادة الناس من الكلام الذي يُعاش.

كلامنا: العالم الواقعي

نعيش معًا في فيلادلفيا في صمت. أخيرًا استطعنا أن نخرج في ليلة معًا، ومع ذلك فها نحن في السيارة معًا دون أن ينطقَ أحدنا كلمة. لم يكن من المفترضِ أن يصبحَ الأمرُ هكذا، الصمت كان يصمُ الأذنَ وبدا كأنه دامَ لساعات، رغم أنه في الحقيقةِ دامَ لبضعُ دقائق. ففي عقل كل منا كان يدورُ شريطًا من الذكرياتِ حول ما حدث فيما سبق، ونضمّد جروحنا ونؤكد على براءتنا. ومن حسن الحظ أن هذا الصمتَ لم يدم طويلًا، فقد تم السعي للغفران واستقبلناه،

وها نحن مجددًا نتمتع بما هو أكثر من الغفران ألا وهي الصحبة التي تجمعنا معًا.

لقد بدأ الموضوع كله بشكل تلقائي وبراءة، فكل منا كان في نهاية يوم جمعة طويل ونهاية أسبوع طويل، وكل منا لديه الترتيبات الخاصة به للأمسية ومجموعة من التوقعات الخاصة به عن الطرف الآخر. كل منّا كان مُطالب أكثر من أن يكونَ خادمًا للربّ، وهذا بشكل سريع أدى إلى جرح عندما رفض الآخر مطالبنا لهذه الأمسية. وأخيرًا تحدث كل منّا بدافع من هذا الجرح، فقد اتهمنا بعض بدلًا من الاستماع وانتقدنا بعض بدلًا من النظر إلى دواخلنا، كل منا لم يعطِ فرصة للآخر وانحصر كل منا داخل شرنقته المليئة بالجرح والغضب الخاص به. قد تقولُ في داخلك «يا بول يا لها من طريقة كئيبة لبداية كتابك من المفترض أنه مليء بالأمل». لكن هذا اللقاء العادي في تلك الليلة العادية في حياة عائلة «تريب» تلخّص كل ما يدورُ حوله هذا الكتابُ. هذا الكتابُ يدورُ حول خطة الله الرائعة لكلماتنا، والتي تحمينا من ألم وضغوطات لحظات مثل هذه. فالكتابُ يدور حول خطيتنا التي تضلل وتشوه مسار كلامنا ليصبح متمركزًا حول رغباتنا الذاتيةَ أكثر من محبتنا للآخر. هذا الكتابُ يدورُ حول نعمة الرب الرائعة التي تدعونا مجددًا لخطة الله، النعمة التي تنجي وترُد وتغفرُ وتحررُ. هذا الكتاب يدورُ حول خطوات كتابية بسيطة من التوبةِ والتغييرِ. هذا الكتاب يدورُ حول إله عظيم يريد ويستطيع أن يأخذَ عوالم كلامنا المليئة بالمشاكل ويحولها

إلى المكان الذي يكون فيه الحبُ الدافعَ والسلامُ هما النتيجةَ. إن اللهَ يعملُ، فهو يحوّل الأشخاص الذين يتحدثون بالغريزة عن ذواتهم ليصبحوا أشخاصًا مؤثرين لأنهم ينطقون لسانه هو.

في هذه الليلة خرجت أنا وزوجتي «لـولا» من مسار خطة الله لبرهة من الزمن، لكننا تعلّمنا أن نعمته تكفي، وأن قوتهَ في ضعفنا تكملُ (كورنثوس الثانية ١٢:٩). وأدركنا أن هناكَ مخرجًا من الفشل الشخصيِ التام. فبإمكاننا، بقوته أن نكسب معركة الكلمات. وهذا ما يدورُ حوله هذا الكتاب.

الكلمات لها قيمة

الكلمات قوية، مهمة وذات مغزى، وهذا ما كان يفترض أن تصبحَ عليه، فعندما نتكلّم يجب أن يكونَ لدينا الإدراك أن اللهَ أعطى كلماتنا مغزى. لقد عين الله الكلمات بحيث تكون مهمة، الكلمات كانت ذات مغزى وقت الخليقة ووقت السقوط، والكلمات ذات أهمية من أجل الفداء. الله أعطى الكلمات قيمة.

إن اللهَ قد أعد التصميم لتواصلنا، وخطة محددة وهدف لأحاديث جسد المسيح. وأنا أتمنى أن أضعَ أساس كتابي راسخ لفهمَ التواصل بحيث نبدأ من أين سمعنا أول مرة كلمات منطوقة، ثم ننتقل لمرحلة السقوط والدور الذي لعبته الكلمات في حدث التغيير الذي حل بالعالم، وأخيرًا التمعن في الكلمات من جهة امتياز الفداء. وكل الكلام الذي

يحدث في العالم مرتبط بهذه الأحداث. وإدراك كل هذا سوف يوجهنا إلى أهمية كلماتنا، وأسباب صراعنا الشديد معها، والتصميم الذي لدى الله من أجل كلام شعبه.

إن معظمَ الكتبُ الخاصة بالتواصل تركز على التقنيات والمهارات دون أن تعترفَ أن مشكلتنا مع الكلمات تكمن في الأعماق، فمشكلة الصراعات في الكلام تعود جذورها إلى جنّة عدْن. فعندما تفهم أن هذه اللحظات شكلّتُ عالم الكلمات الخاص بنا، ستفهم وقتها مشكلتك الذاتية في صراعك مع الكلام وكذلك المخرج الذي أوجده الله لنا. وهذا الكتابُ سوف يلقي نظرة أمينة على المشكلة بحيث يعطيك تغييرًا أكثر من المؤقت والتجميلي. إن أدركتَ جذور مشكلتك فسوف تختبر تغييرًا يدوم.

الله يتكلّم!

أنت لن تدركَ أهمية الكلمات، إلا عندما تعرف أن أولَ كلمَة سمعتُها أذن الإنسان لم تكن كلماتُ إنسانَ أخرَ، لكنها كانتُ كلماتُ اللهَ نفسه!

إن قيمَة كل ما في التواصلُ الإنساني تعود جذورها إلى حقيقة أن اللهَ يتكلمُ. وفي مشاهد وأصوات العالم المخلوق جديدًا أتى صوت الله وتحدث إلى أدم وحواء بكلمات بلغة البشر. وباختيار الله هذه الطريقة لإعلان ذاته، فقد رفع الله الكلمات في مكانة ذات أعلى أهمية كوسيلة أولى لإعلان الحق، فمن خلال الكلمات نستطيع

أن نعرفَ حقائق هامة وقد تكون حقائق معروفة لتكشف عن وجود الله ومجده، حقائق تعطي حياة. وفي خلال سعينا لفهم عالم كلمات الإنسان، من المهم أن نفهمه من وجهة نظر تكوين ١، وهي المرة الوحيدة في تاريخ الإنسانية التي لم يكن فيها صراعٌ في الكلمات.

في تكوين ١ كان عالم التواصل هو عالم مكون من السلام والحق والحياة، والكلمات لم تستخدم أبدًا كأسلحة، والحق لم يكن يستخدمُ أبدًا ليهدم، الكلمات كانت تستخدمُ بمحبة دائمًا، والتواصل الإنساني لم يكسر ربط السلام مطلقًا. إنه عالمَ بمقدورُه أن يعلّمنَا الكثير عن التواصل، ففي البدء أعلن الله عن ذاته وخطته وغايته من خلال كلمات. ومباشرة بعد أن خلقَ أدمُ وحواءُ، تحدثَ إليهم، فقد كان هذا اختيارُه ليعلنَ عن ذاتهَ ويحدد إرادته ويعطي هوية لأدم وحواء عن طريق وسيلة الكلمات. وكل وسائل إعلان ذاته الأخرى كانت تتحددُ وتُفسرُ من خلال هذه الوسيلَة الأساسيَة.

الله، الخالق ذو السيادة والرب، تكلم إلى أدم وحواء بكلمات حتى يستطيعوا أن يفهموا! دع هذه الأعجوبة تجذبك. الإله القدير وغير المحدود يجعل نفسه معروفًا ومفهومًا عبر كلمات إنسانية! فمنذ بداية الخليقة والله ليس بمعزل أو بعيد، وهو لا يختبئ في صمت، هو يقترب ويستخدم الكلمات ليعلن عن نفسه ويفسر كل شيء آخر، فالله ليس إلهًا يعمل فقط لكنه أيضًا يتكلمُ ـــ بقوةُ وبإسهابُ وباستمرارُ وبشمولُ ووضوحُ لشعبه، فكل مرحلة في عمله مميزة بكلماته، وهو لا يترك شعبه بلا شاهد.

إن تـواصـلَ الله قـد صمم بمحبة ليخاطب احتياج اللحظة بكلمات بسيطة يمكن فهمها. فقبل أن يعملَ الله في أمر فهو يكشف عما هو مزمع أن يفعلَ، وعندما يكون في العمل فهو يتحدث عما يفعله، وعندما ينتهي من العمل فهو يفسّر ما صنعه. هو إله من السهل أن يكونَ معلومًا لأنه إله يتحدث. إن الكتابَ المقدّس يقدّمه لنا كمقياس عظيم لكل أنواع التواصل.

والله من خلال كلماته يُعرّف شخصيته ومشيئته وخطته وغايته وحقه. الكلمات مثل: صخرة، شمس، حصن، درع، راعي، أب، قاضي، خـروف، باب، سيد، خبز ومـاء، كل هذه الكلمات تعبر عن من هو وماذا يفعل، نحن على دراية بهذه الكلمات والتي نميل لنسيان دلالتها، لكنها الكلماتُ التي بها استطعنا أن نتعرفَ على رب الأرباب وملك الملوك! أنت لا تستطيع أن تفهمَ التواصُل الإنساني بدون أن تبدَأ من هنا، وبمجد الله وبنعمته المذهلة في إعلانه عن ذاته تمكنّا من أن نفهمَ، وهذا هو الذي يغير جذريًا مفاهيمنا عن كل هذا.

لا يـوجـد مـثـال على ذلـك أفـضـل مـن الكلمات الـمـوجـودة بإشعياء ٤٠: ٩-٣١.

«عَلَى جَبَل عَال اصْعَدِي، يَا مُبَشِّرَةَ صِهْيَوْنَ ارْفَعِي صَوْتَكِ بِقُوَّةٍ، يَا مُبَشِّرَةَ أُورُشَلِيمَ. ارْفَعِي لاَ تَخَافِي. قُولِي لِمُدُنِ يَهُوذَا: «هُوَذَا إِلهُكِ. هُوَذَا السَّيِّدُ الرَّبُّ بِقُوَّةٍ يَأْتِي وَذِرَاعُهُ تَحْكُمُ لَهُ. هُوَذَا أُجْرَتُهُ مَعَهُ وَعُمْلَتُهُ قُدَّامَهُ. كَرَاعٍ يَرْعَى قَطِيعَهُ. بِذِرَاعِهِ يَجْمَعُ الْحُمْلاَنَ،

وَفِي حِضْنِهِ يَحْمِلُهَا، وَيَقُودُ الْمُرْضِعَاتِ». مَنْ كَالَ بِكَفِّهِ الْمِيَاهَ، وَقَاسَ السَّمَاوَاتِ بِالشِّبْرِ، وَكَالَ بِالْكَيْلِ تُرَابَ الأَرْضِ، وَوَزَنَ الْجِبَالَ بِالْقَبَّانِ، وَالآكَامَ بِالْمِيزَانِ؟ مَنْ قَاسَ رُوحَ الرَّبِّ، وَمَنْ مُشِيرُهُ يُعَلِّمُهُ؟ مَنِ اسْتَشَارَهُ فَأَفْهَمَهُ وَعَلَّمَهُ فِي طَرِيقِ الْحَقِّ، وَعَلَّمَهُ مَعْرِفَةً وَعَرَّفَهُ سَبِيلَ الْفَهْمِ.؟ هُوَذَا الأُمَمُ كَنُقْطَةٍ مِنْ دَلْوٍ، وَكَغُبَارِ الْمِيزَانِ تُحْسَبُ. هُوَذَا الْجَزَائِرُ يَرْفَعُهَا كَدُقَّةٍ! وَلُبْنَانُ لَيْسَ كَافِيًا لِلإِيقَادِ، وَحَيَوَانُهُ لَيْسَ كَافِيًا لِمُحْرَقَةٍ. كُلُّ الأُمَمِ كَلاَ شَيْءٍ قُدَّامَهُ. مِنَ الْعَدَمِ وَالْبَاطِلِ تُحْسَبُ عِنْدَهُ. فَبِمَنْ تُشَبِّهُونَ اللهَ، وَأَيَّ شَبَهٍ تُعَادِلُونَ بِهِ؟ اَلصَّنَمُ يَسْبِكُهُ الصَّانِعُ، وَالصَّائِغُ يُغَشِّيهِ بِذَهَبٍ وَيَصُوغُ سَلاَسِلَ فِضَّةٍ. الْفَقِيرُ عَنِ التَّقْدِمَةِ يَنْتَخِبُ خَشَبًا لاَ يُسَوِّسُ، يَطْلُبُ لَهُ صَانِعًا مَاهِرًا لِيَنْصُبَ صَنَمًا لاَ يَتَزَعْزَعُ! أَلاَ تَعْلَمُونَ؟ أَلاَ تَسْمَعُونَ؟ أَلَمْ تُخْبَرُوا مِنَ الْبَدَاءَةِ؟ أَلَمْ تَفْهَمُوا مِنْ أَسَاسَاتِ الأَرْضِ؟ الْجَالِسُ عَلَى كُرَةِ الأَرْضِ وَسُكَّانُهَا كَالْجُنْدُبِ. الَّذِي يَنْشُرُ السَّمَاوَاتِ كَسَرَادِقَ، وَيَبْسُطُهَا كَخَيْمَةٍ لِلسَّكَنِ. الَّذِي يَجْعَلُ الْعُظَمَاءَ لاَ شَيْئًا، وَيُصَيِّرُ قُضَاةَ الأَرْضِ كَالْبَاطِلِ. مْ يُغْرَسُوا بَلْ لَمْ يُزْرَعُوا وَلَمْ يَتَأَصَّلْ فِي الأَرْضِ سَاقُهُمْ. فَنَفَخَ أَيْضًا عَلَيْهِمْ فَجَفُّوا، وَالْعَاصِفُ كَالْعَصْفِ يَحْمِلُهُمْ. «فَبِمَنْ تُشَبِّهُونَنِي فَأُسَاوِيهِ؟» يَقُولُ الْقُدُّوسُ. ارْفَعُوا إِلَى الْعَلاَءِ عُيُونَكُمْ وَانْظُرُوا، مَنْ خَلَقَ هذِهِ؟ مَنِ الَّذِي يُخْرِجُ بِعَدَدٍ جُنْدَهَا، يَدْعُو كُلَّهَا بِأَسْمَاءٍ؟ لِكَثْرَةِ الْقُوَّةِ وَكَوْنِهِ شَدِيدَ الْقُدْرَةِ لاَ يُفْقَدُ أَحَدٌ. لِمَاذَا تَقُولُ يَا يَعْقُوبُ وَتَتَكَلَّمُ يَا إِسْرَائِيلُ: «قَدِ اخْتَفَتْ طَرِيقِي عَنِ الرَّبِّ وَفَاتَ حَقِّي إِلهِي»؟ أَمَا عَرَفْتَ أَمْ لَمْ تَسْمَعْ؟ إِلهُ الدَّهْرِ الرَّبُّ خَالِقُ أَطْرَافِ الأَرْضِ لاَ يَكِلُّ وَلاَ يَعْيَا. لَيْسَ

عَنْ فَهْمِهِ فَحصٌ. يُعْطِي الْمُعْيِيَ قُدْرَةً، وَلِعَدِيمِ الْقُوَّةِ يُكَثِّرُ شِدَّةً. اَلْغِلْمَانُ يُعْيُونَ وَيَتْعَبُونَ، وَالْفِتْيَانُ يَتَعَثَّرُونَ تَعَثُّرًا وَأَمَّا مُنْتَظِرُو الرَّبِّ فَيُجَدِّدُونَ قُوَّةً. يَرْفَعُونَ أَجْنِحَةً كَالنُّسُورِ. يَرْكُضُونَ وَلاَ يَتْعَبُونَ. يَمْشُونَ وَلاَ يُعْيُونَ.

وهنا اللغة الإنسانية بلغت ذروتها، لتعمل كنافذة نرى الله من خلالها.

كلمات الله ليست فقطَ تُعرّف من هوُ، إنما تُعرّف خليقته أيضًا. إنها تعطي الهويُة والمعنى والغاية لكل ما خلقه الله. ونحن فقط نتعرّف على أنفسنا عندما نستمع إلى الكلمات التي تحدث فيها عنا، الله يخبرنا من نحن، يُعرّفنا ما يتوجب علينا فعله والطريقة التي نفعله بها. لا نستطيع أن نكتشف أي من هذه الأشياء بأنفسنا! الرجاء الوحيد لآدم وحواء أن اللهَ سيتكلّمُ لهمُ، وأعطاهم هوية وغاية، وجعلهم يدركون العالم الذي وضعوا فيه.

كلمات الله تضع حدودًا وتعطى حرية. كلماته تخلق حياة وتجلب موت. الله خلق الكلام وكلمته الأولى لآدم وحواء توضح دلالاتها. الكلماتُ ليست رخيصَة. الكلمات تكشفُ، وتُعرّف، وتشرحُ، وتشكّلُ.

الناس يتكلّمون

ونحن ننظر للتواصل من الجهة الفضلى للخليقة، نحتاج أن نلاحظَ أن آدمَ وحواءَ كانا يتكلمان. ربما هذه النقطة تبدو واضحة جدًا

عن أن تذكر، لكن يجب أن لا نهملَ أهميتها لنا. فقدرة آدم وحواء على التواصل بالكلمات جعلتهما متميزين عن باقي المخلوقات. فيمكنهما أن يعبّرا عن أفكارهما، ورغباتهما، ومشاعرهما ويشاركاها مع بعضهما البعض، فقد كانا مثل الله؛ يستطيعا الكلام! بإعطائهم هذه القدرة، وضع الله شكلًا لحياتهما.

لا يوجد شيء آخر نعتمد عليه أكثر من قدرتنا على إرسال واستقبال التواصل، في محادثة هادئة في مقهى، في محادثة قلقة في مطار مزدحم، في محل دفاع عن سبب تأخرنا عن ميعاد حظر التجوال أو عن عدم إتمام مهمة بالعمل، في كل هذا نحن نتكلّم. في وقت لتعليم أطفالنا أو للفصل في جدال، في مناقشة مطولة عن البرلمان أو مناقشة حادة مع صديق، في كل هذا الناس تتكلّم. في أمسية هادئة جميلة، في كلام عن مباراة رياضية، في كلمات رومانسية عن الحب، في عبارات تصحيح وتوبيخ، غضب وسخط، في كل هذا الناس تتكلم. في الثرثرة المشوشة على رصيف محطة القطار، مع أصوات الأطفال الذين يمشون من البيت إلى المدرسة، في كل هذا الناس تتكلّم.

الكلمات توجه مسار وجودنا وعلاقتنا. إنها تُشكلَ ملاحظاتُنا وتحدد خبراتُنا. نحن في الحقيقة نبدأ في معرفة الناس الآخرين من خلال المحادثة، ونريد أن ننعزلَ عندما نسمع كلمات كثيرة ونشعر بالوِحدة عندما لا يكلّمنا أحد لفترة طويلة.

عندما خُلقنا بقدرة على الكلام، الله لم يميزنا عن باقي الخليقة فقط، لكنه حدد طبيعة حياتنا وعلاقتنا. أتريد أن تتعلمَ؟ استمع وتكلّمَ، أتريد أن تكونَ لديكُ علاقُات؟ استمع وتكلّمَ، أتريد الحصول على وظيفة؟ استمع وتكلّمَ، أتريد أن تتعبدَ؟ استمع وتكلّمَ، أتريد أن تكونَ أبًا لأولادُك؟ استمع وتكلّمَ، أتريد أن تشاركَ وسط جسُد المسيح؟ استمع وتكلّمَ. الناس تتواصل؛ وهذه طبيعة وجودنا. الكلمات تؤثر في كل الأشياء الأخرى والتي نفعلها ككائنات حية. الله خلق كلامنا وأعطى له قيمته.

فى تكوين ١ كان هناك بساطة وجمال في عالم التواصل البشرى، ولم تكن هُناك عوائقَ في التواصلِ ولا صراع في الكلمات. وكل شيء يُنطق كان يعكسُ مجدَ الله. لم يكن هُناك مجادلاتَ وأكاذيبَ، ولا كلمات كراهية، ولا قلة صبر، ولا إجابات غاضبة. ولم يكن هُناك صياحَ، وشتيمَة، أو إدانَة. لم يكن هُناك كلمات تنطق بكبرياءَ، ولا خداعَ ولا تلاعبَ بالكلمات، ولا كلمات أنانيَة. كان هناك كلمات صادقَة فقط وتنطق بوادعة ومحبة، وبالتالي لم يكن هُناك احتياجَ لكتابَ مثل هذا عن التواصل. كل كلمة كانت تتوافق مع مقياس مثال الله وتصميمه.

للأسف، إن عالمَ تكوين ١ قد انتهى منذ زمُنٍ بعيد. العطية العظيمة للتواصل أصبحت مصدر خطايا كثيرة ومعاناة. عادةً البشر يتكلّمون ويجهلون تصميم الله، ويدمّرون ما صنعه. وكما ننظر للوراء بتعجب

لـ تكوين ١، يجب أيضًا أن ننظرَ برجاء للمستقبل حيث اليوم الذي ينتهي فيه صراع الكلمات، عندما نكون مع الله ونصبح مثله، ونتكلّم فقط كما صممنا، للأبد.

تفسير الكلمات

لا زال هُناك شيء آخرَ نستطيعُ أن نتعلمَه من تكوين ١ عن الكلمات. الكلمات تحدد، وتشرح، وتفسر.

على الرغم من أن آدمَ وحواءَ كانوا أنُاس مثاليين يعيشون في عالم مثالي في علاقة مثالية مع الله، لكن ما زالوا يحتاجون أن يتحدثَ الله إليهم، فعالمهم يحتاج للتعريف، وهم يحتاجون أن يفهموا أنفسهم وأن يفهموا الحياة، كل شيء يحتاج لتفسير، وبالنسبة لآدم وحواء كانا يعتمدان على الله. لم يستطيعا أن يفهما الأشياء من أنفسهم. فمهما كانت الاكتشافات التي كانا من الممكنِ أن يفعلاها في العالم وحياتهم لكنهما مازالا يحتاجان لشرحَ وتوضيحَ بكلماتَ من الله. تفسير الكلمات.

التواصل البشري مثل الإلهي، فهو يدور حول تنظيم وتفسير وشرح للعالم من حولنا.

من أول التفاسير الصغيرة البسيطة التي تأتى من أفواه الأطفال («أمي، إني أعرف كيف يعمل البالون») إلى الأسئلة البحثية للمراهقين («لماذا من المهم ألا أمارس الجنس قبل الزواج؟»)

إلى أسئلة المحبطين من البالغين («لماذا عليّ أن أعملَ باستمرار، ومع ذلك لا يوجد مال يكفى للتنزه؟»)، الناس تستخدم الكلمات لتوصل المعاني التي وضعتها للأشياء.

الأطفال الصغار يرهقون والديهم بآلاف من «لماذا» في الأسبوع الواحد لأنهم يريدون أن يفهموا عالمهم. المراهقون يقضون ساعات لا حصر لها على التليفون، يناقشون أحداث اليوم مع أصدقائهم. الرجل العجوز يجلس في الحديقة مع صديقه وينظر كيف كانت حياته فيما مضى، ويتساءل بصوت عالي في أي شيء أمضاها. نحن نتكلم لأننا نريدَ أن نعرفَ؛ حتى نعرفَ يجب أن نتكلمَ. والكلامُ ليس رخيصًا لآن التفاسيرُ ليست رخيصَة. والطريقة التي نفسر بها الحياة تحدد كيف سنتعامل معها.

تكوين ١ وكلامنا

ما الذي يجب أن نأخذَه في الاعتبار من خلال فهمنا عن التواصل في تكوين ١؟

أولًا، كلماتنا تنتمي لله، فهو المتحدث الأعظم. إن روعَة، وأهميَة وعظمَة التواصلُ البشرى تكمن جذورها في عظمته وفى قراره أن يتكلّمَ معُنا وأنه سمحَ لنا أن نتكلمَ معه ومع الآخرين. إن اللهَ قد فتح أبوابُ الحُق لنا واستخدم الكلماتُ لتكون مفتاحَه. إن السببَ الوحيدُ لفهمنا أي أمر هو أن اللهَ تكلّمُ. والكلمات تنتمي لله، لكنه أقرضنا إياهُا حتى يمكننا أن نعرفهَ ونُستخدم بهِ.

هذا يعنى أن الكلماتَ لا تنتمي لنُا، كل كلمة ننطقها يجب أن تكونَ وفقًا لمقاييسُ الله ووفقًا لتصميمُه، يجب أن يكونَ صدى للمتكلّمُ الأعظمُ وتعكسَ مجدُه. وعندما نفقد هذه الرؤية، كلماتنا تفقد ملاذها الوحيد من الصعوبة. الكلام خلق بواسطة الله من أجل هدفه، وكلماتنا تنتمي إليه.

على المستوى الشخصي:

تقييم الذات في التواصل

بالأسفل يوجد بعض ثمر الله للكلام (انظر غلاطية ٥ : ٢٢-٢٣).

قيم ذاتك وأنت تبدأ هذا الكتابُ.

هل كلامك مع الآخرين يؤدى للحلول الكتابُية للمشاكل؟

هل كلامك يتخذ شكل «نحن معًا» أم «أنا ضده/ضدها/ضدهم»؟

هل كلماتك تشجع الآخرين لكي يكونوا منفتحين وصادقين فيما يتعلق بأفكارهم ومشاعرهم؟

هل أنت ودود وقابل للتعليم أم دفاعي وتحامي عن ذاتك عند التحدث مع الآخرين؟

هل تواصلك صحي في العلاقات الأساسية في حياتك؟

الأب – الابن

الزوج – الزوجة

النطاق الموسع للأسرة

علاقة الأشقاء والنسب

مدير – موظف

صديق – صديق

جسد المسيح

جار – جار

هل كلامك يشجع على الإيمان والنمو الروحي الشخصي في من هم حولك؟

هل تتحدث مع الآخرين لتطور علاقتك بهم، أم أنت تتكلم فقط لحل مشكلات خلال الأوقات الصعبة؟

هل تتكلم كلمات وداعة وصدق عندما تخطئ وكلمات غفران مخلصة عندما تغفر لأحد أخطأ بحقك؟

هل كلماتك تعكس استعدادك لخدمة الآخرين أم تطالبهم أن يخدموكَ؟

عندما تتواجه مع صراع الكلام، هل تفعل هذا بإدراك للإنجيل ـــ أي غفران الله، نعمته المعينة، والعمل المقدّس للروح القدس؟

أشجعك أن تبدَأ في قراءة هذا الكتابُ بإخلاص في امتحان ذاتك. اعترف بخطاياك لله والآخرين، والـزم ذاتك بعمل التغيير كلما استمريت في القراءة.

الفصل الثاني

الشيطان يتكلّم

«وَكَانَتِ الْحَيَّةُ... فَقَالَتْ لِلْمَرْأَةِ...» (تكوين ٣: ١)

بدا اليوم كيومًا رائعًا. وكان الطقس بديعًا كما تمنينا أن يكون، وكنا كأسرة قد انتهينا للتو من إفطار جميل معًا، وكنت متشوق لهذا اليوم، فقد كنا سنذهب للقيام بالأنشطة التي جلسنا نخطط لها لمدة ساعتين تقريبًا، لذلك كنت أستغل الوقت للقيام ببعض القراءات. لكن ابنتي المراهقة وابني الأصغر كانا يتشابكان أكثر من المعتاد، وكنت أستمع للحدة المتزايدة للألفاظ المتبادلة بينهما وهي تزداد تصاعدًا كل لحظة. جلست أنفس عن غضبي في الكتاب الذي بيدي، رافضًا أن أتدخل. «لا يجب أن أتفاعل مع ذلك في هذا اليوم» لقد بررت لنفسي بهذه الكلمات، «هذا يوم أجازتي»، وحتى إنني كنت مندهشًا لما لا تقوم زوجتي بفعل أي شيء. ألا تسمع ما يحدث؟

ثم ركض ابني إلى الحمام وابنتي تطارده، وبدأ كليهما في دفع الباب من الجهتين بكل ما فيهما من قوة، وها أنا قد نفذ صبري، فنهضت، وذلك لم يكن بدافع الإدراك الإلهي بسبب مسئوليتي كأب، إنما بقلب مليء بالغضب والشفقة على الذات. ألا يعرفان ما هو شكل حياتي؟ ألا يعرفان كيف أعمل بجد لأجلهم؟ ألا يدركان أهمية

هذا اليوم بالنسبة لي؟ ألا يران إنني أحاول القراءة؟ ألا يعرفان أن هذا النوع من المشاكل يحطم يومًا كهذا؟ ابنتي كانت الأكبر، لذا لما لم تضع حدًّا لهذا؟ لماذا أصبحت عنيدة؟

وبدافع هذه الروح قمت وتوجهت إلى المشهد، ورأيت ابنتي أولاً، وتحدثت إليها بدافع مشاعري التي كنت شخصيًا أعرف أنها خطأ، وكيف أنها حطمت يومي، وأنها لم تبالي. أعطيتها جمل «ما أفعله وأفعله من أجلها وكيف يكون هذا هو الشكر الذي أحصل عليه، لما لا تنضجين لمرة واحدة؟»، كلماتي كانت اتهامية وقاسية، نابعة من حبي لنفسي أكثر من حبي لها، إن الكلمات لم تخرج لتتمم الذي أراده الله في هذه اللحظة، لكن هذا ما كنت أريده أنا. وكانت ابنتي- وأنا مستمر في الكلام- لا تتوقف عن قول «لكن يا أبى أنت لا تفهم الأمر»، لكنني لم أكن هناك لأفهم، لكنني كنت هناك لأفرغ غضبي.

تركت غرفتها وارتميت بغضب على الأريكة لأستكمل القراءة، لكنني لم أستطع التركيز. فضميري كان منزعجًا بسبب الطريقة التي عالجت بها الأمور. وبالرغم من أنني حاولت أن أبرر لنفسي، إلا أنني لم أستطع أن أزيل عن عاتقي ثقل التبكيت، والذي تحول بسرعة إلى تأنيب ضمير. متى سأتعلم أن أفعل الصواب؟ كيف أعرف ما أعرفه ومازلت أساق لهذا النوع من الحوارات؟ صرخت في صلاة لطلب لغفران والمساعدة. وكانت تلك بالنسبة لي واحدة من اللحظات التي شعرت فيها بـ «كم أنا رجل تعيس». انتهيت من الصلاة وذهبت لغرفة ابنتي لطلب الغفران منها.

فقدان الجنة

إن كنا صادقين تمامًا، لكنّا عرفنا أننا لا نعيش بعد في العالم المدهش كما في تكوين ١، حين كانت كل كلمة منطوقة على تصميم ومقاييس الله. هذا بلا شك السبب لقراءتك لهذا الكتاب وهذا بالتأكيد ما دفعني لكتابته. في جنّة عدْن، لم يكن هناك خطية الكلام. لكن ماذا حدث؟ لماذا أصبح التواصل الإنساني البسيط عرضة للخطية والصراع؟ لماذا صعب علينا الكلام كما صممه الله؟

وفي خلال محاولتنا لتطوير فهمنا للمفاهيم الكتابية للتواصل، للأسف لا نستطيع التوقف عند تكوين ١. وعلى الرغم من حقيقة أن الله يتكلّم وكل شيء نقوله مغروس في كلامه لنا، ولكن هناك مُتحدث آخر في الجنة، فبمجرد وصوله بدأت حرب الكلمات العظيمة والتي نحن نحارب بسببها في كل يوم.

وَكَانَتِ الْحَيَّةُ أَحْيَلَ جَمِيعِ حَيَوَانَاتِ الْبَرِّيَّةِ الَّتِي عَمِلَهَا الرَّبُّ الإِلهُ، فَقَالَتْ لِلْمَرْأَةِ: «أَحَقًّا قَالَ اللهُ لاَ تَأْكُلاَ مِنْ كُلِّ شَجَرِ الْجَنَّةِ؟» فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ لِلْحَيَّةِ: «مِنْ ثَمَرِ شَجَرِ الْجَنَّةِ نَأْكُلُ، وَأَمَّا ثَمَرُ الشَّجَرَةِ الَّتِي فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ فَقَالَ اللهُ: لاَ تَأْكُلاَ مِنْهُ وَلاَ تَمَسَّاهُ لِئَلاَّ تَمُوتَا». فَقَالَتِ الْحَيَّةُ لِلْمَرْأَةِ: «لَنْ تَمُوتَا! بَلِ اللهُ عَالِمٌ أَنَّهُ يَوْمَ تَأْكُلاَنِ مِنْهُ تَنْفَتِحُ أَعْيُنُكُمَا وَتَكُونَانِ كَاللهِ عَارِفَيْنِ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ». فَرَأَتِ الْمَرْأَةُ أَنَّ الشَّجَرَةَ جَيِّدَةٌ لِلأَكْلِ، وَأَنَّهَا بَهِجَةٌ لِلْعُيُونِ، وَأَنَّ الشَّجَرَةَ شَهِيَّةٌ لِلنَّظَرِ. فَأَخَذَتْ مِنْ ثَمَرِهَا وَأَكَلَتْ، وَأَعْطَتْ رَجُلَهَا أَيْضًا مَعَهَا فَأَكَلَ.

فَانْفَتَحَتْ أَعْيُنُهُمَا وَعَلِمَا أَنَّهُمَا عُرْيَانَانِ. فَخَاطَا أَوْرَاقَ تِينٍ وَصَنَعَا لأَنْفُسِهِمَا مَآزِرَ.

وَسَمِعَا صَوْتَ الرَّبِّ الإِلهِ مَاشِيًا فِي الْجَنَّةِ عِنْدَ هُبُوبِ رِيحِ النَّهَارِ، فَاخْتَبَأَ آدَمُ وَامْرَأَتُهُ مِنْ وَجْهِ الرَّبِّ الإِلهِ فِي وَسَطِ شَجَرِ الْجَنَّةِ. فَنَادَى الرَّبُّ الإِلهُ آدَمَ وَقَالَ لَهُ: «أَيْنَ أَنْتَ؟». فَقَالَ: «سَمِعْتُ صَوْتَكَ فِي الْجَنَّةِ فَخَشِيتُ، لأَنِّي عُرْيَانٌ فَاخْتَبَأْتُ». فَقَالَ: «مَنْ أَعْلَمَكَ أَنَّكَ عُرْيَانٌ؟ هَلْ أَكَلْتَ مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي أَوْصَيْتُكَ أَنْ لاَ تَأْكُلَ مِنْهَا؟» فَقَالَ آدَمُ: «الْمَرْأَةُ الَّتِي جَعَلْتَهَا مَعِي هِيَ أَعْطَتْنِي مِنَ الشَّجَرَةِ فَأَكَلْتُ». فَقَالَ الرَّبُّ الإِلهُ لِلْمَرْأَةِ: «مَا هذَا الَّذِي فَعَلْتِ؟» فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ: «الْحَيَّةُ غَرَّتْنِي فَأَكَلْتُ». (تكوين ٣ :١-١٣)

لقد دخل صوت الحية إلى العالم المثالي للجنة. وللمرة الأولى فإن وضع وسلطان وكلمات الله الأصيلة أصبحت في موضع تحدى. وللمرة الأولى تكون الكلمات منطوقة بدون أن تحوي تصميم ومقاييس الله. فإن الشيطان تكلّم، وبسبب كلماته فإن العالم البسيط للتواصل أصبح ساحة مربكة للخطية والصراع. كل متاعبنا مع الكلام تكمن أصولها هنا في هذه اللحظة الدرامية للتغيير في الجنة. وفي عالم التواصل، هناك الكثير من المتاعب ولدت «بدايتها» هنا.

تغيير دراماتيكي، عناء للأبد

وللمرة الأولى يتم تحدي سلطان الله، حتى هذه اللحظة، لم يكن هناك تحدي لفظي لسلطان الله على الأرض. إن العالم الذي خلقه

الله يكمن بالكامل في سلطان الله وإرادتـه. آدم وحواء كانا يعيشان في طاعة في هويتهم كمخلوقات الله، مشابهين صورته، ووكلائه القائمين على الأرض. وكل تجاوبهما لله ومحادثتهما لبعض كانت تحمل خضوعًا تامًا لله. لكن ما حدث في هذه اللحظة بتكلم الحية كان دراميًا وغير متوقع. كانت كلمات منطوقة لتتحدى سلطان الله! العالم لن يكون كما كان مجددًا.

تخيل ما ستكون عليه الخليقة إن كانت كل كلماتنا المنطوقة خارجة بخضوع تام لله. كم ستكون حياتنا أقل تعقيداً! كثير من المشاكل التي تواجهنا عندما نتكلم مع الآخر تنبع من حقيقة التعدي على سلطان الله: فنحن نقول ما نريد أن نقوله، متى وكيفما نريد أن نقوله، ونتكلم كما لو كنا أصحاب السلطان وكأننا لدينا الحق أن نستخدم الكلمات لتحقيق أهدافنا، ولتحقيق ما يجعلنا سعداء. فنحن نتكلّم كما لو كنّا الله وليس خليقته التي دُعيت لتخضع لسلطان الله في كل كلمة صغيرة تُقال. والمشكلة في الطريقة التي تحدثت بها لابنتي هي إنني دخلت الغرفة كما لو إنني كنت الله، وليس كإنسان يخضع لسلطان الله، بقلب يشتهي أن يرى مشيئته الصالحة في حياتي وحياة ابنتي.

أصوات كثيرة، تفاسير كثيرة

في هذه اللحظة في الجنّة نرى أيضًا للمرة الأولى تفسيرًا للحياة مختلف عن تفسير الله. لاحظ ما يفعله الشيطان هنا، إنه يتكلّم عن نفس مجموعة الحقائق التي أمر بها الله آدم وحواء ويقلبها رأسًا

على عقب. وإن تم تصديق تفسيره، فالمُستمع لن يأخذ وقتًا للتفكير في أنه من الجيد أو الصحيح أو المهم طاعة الله. في الواقع يمكن لأي شخص أن يقول لو صح تفسير الشيطان، سيصبح من الغباء أن أستمر في طاعة الله. ولم يكن من قبل على الأرض أبدًا أي تفسير ضد تفسير الله. كل شيء أدركه آدم وحواء عن العالم كان مبنيًا على التفاسير التي أعطاها الله لهم.

ونحن نعيش اليوم في عالم مربك بتفاسير الكثيرة، معظمها لا يعطي معاني لسلطان الله أو يتماشى مع رغبة لإظهار الحياة بالطريقة التي تشملها كلمته، وهذا يثير نقطة في غاية الخطورة: أنا وأنت لا نتجاوب مع الناس أو الأحداث في حياتنا اعتمادًا على الحقائق، لكن تجاوبنا يكون مبنيًا على الطريقة التي فسرنا بها هذه الحقائق. عندما ذهبت للتحدث لابنتي، لم أكن أتجاوب مع ما حدث، لكن ببساطة تجاوبت مع تفسير ما حدث. تفسيري، الذي كان لسوء الحظ أنانيًا ولأجل بري الذاتي. لقد نظرت لسوء تصرف أطفالي من موقع الأفضلية في كل ما أريده أنا وكل ما فعلته أنا، حتى لم أضع أي اعتبار لمبادئ الله في هذا الموقف. وعندما فعلت ذلك، ملأني الشعور بالذنب وتأنيب الضمير.

إن كثير من مشاكلنا مع الكلمات ستُحل ببساطة لو توقفنا وسألنا أنفسنا كيف سيُقيم الله ويتجاوب مع الموقف الحالي. فنحن نترك لأفكارنا العنان دون أن نتحداها، ولكن لو كان تفسيرنا للأحداث خاطئٌ، فكلماتنا ستكون خاطئة.

هذا هو المبدأ الذي لا نريد أن نفقده: «**مشاكل الكلام دائمًا مشاكل تفسير خاطئة**». فنحن لا نقول الأشياء الصحيحة لأننا لا نؤمن بالأشياء الصحيحة، وهذا ما حدث في الجنّة، فصندوق المصائب قد فُتح، حيث أنها كانت المرة الأولى التي فيها آدم وحواء يسمعان ويؤمنان بتفسير لم يتوافق مع الله، وكان صوت الشيطان أول آلاف الأصوات التي ستأتي لتتحدى كلمة الله.

عندما يثور الأب على ابنه المراهق ويقول: «أنا لا أهتم بما سيتطلّبه الأمر ــ ولو كان آخر شيء سأفعله، فسأجعلك تحترمني!» وهنا فقد تكلم بكلمات عكس كلمات الله له كأب. وعندما تقول الزوجة لزوجها «أنا جيدة في كل علاقاتي الأخرى، لكن أنت تجعلني غاضبة» فكلماتها تعكس تفسيرها لغضبها الذي هو ضد ما يقوله الله. عندما يقول العامل، «لو لم يعينها في الوظيفة لما أصبحت أشعر بهذه المرارة» فإن مشكلته هنا ليست فقط في كلماته، انما اتجاه قلبه وراء هذه الكلمات. في كل مثل من هذه الأمثلة، الخطأ لم يكن في مفردات الكلام أو مستوى الصوت، لكن طريقة النظر للحياة بما لا يتوافق مع ما يقول الله إنه حق وصحيح. وكما رأينا في تكوين ٣، مشاكل الكلام دائما مشاكل تفسير خاطئة.

الاستماع للأكاذيب

حين تكلّمت الحية في الجنّة، كانت هناك مشكلة أخرى، فللمرة الأولى، **تنطق كذبة**، فحتى هذه اللحظة كل المحادثات كانت مثالية،

كاملة الصدق. وكلمات الله كانت موثوق بها بالكامل، وبالإمكان أن تُبنى الحياة عليها. كلمات آدم وحواء لبعضهم كانت محل ثقة لأن كلمتهم كانت متسقة مع كلمات الله. لكن بصورة مروعة هنا، كذبت الحية عن عمد لتحقق هدفها. إنها لم تخطئ، ولم تنسَ ما هو الحق. هي لا تجهل أو لديها نقص في الفهم. هي تعلم أن ما تقوله ليس صحيحًا. وهذا هو سبب قولها لذلك! هي لا تريد أن يعيش آدم وحواء في نور الحق أو في طاعة الله. هي تسعى لبيع كذبه لهما وهي تسعى لجعل هذه الكذبة تبدو منطقية.

هنا ومرة أخرى، لحظة من التغيير الدرامي. حسنًا إذًا، فالتواصل الإلهي يعتمد دائمًا على الحق، والأكاذيب والتزوير والخداع دائمًا تحارب ذلك. والأكاذيب ليست فقط لتشويه الحقائق، لكن أيضًا لتدمير الثقة اللازمة للناس ليتحدثوا مع بعضهم البعض، وكل كلمة ننطقها فهي تعود جذورها إلى الحق أو الكذب، أكثر مشكلات التواصل تحدث بسبب أننا نخادع، ونشوه، ونتلاعب بكلمتنا، فنحن نعيد تشكيل الحقائق من أجل صالحنا. نحن نعيد صياغة الأحداث، وذلك غالبًا من النقطة التي نرى أنها صحيحة من وجهة نظرنا. فعندما مشيت إلى غرفة ابنتي في ذلك الصباح، فقد كنت مقتنع تمامًا أنني على حق فيما كنت سأفعله، لكنني في الحقيقة مشيت وراء كذبة.

الاتهام واللوم

في ذلك اليوم أيضًا أحدثت كلمات الحية شيئًا آخر للمرة الأولى في الجنة: فللمرة الأولـى، **يتكلّم الناس ضد بعضهم البعض،** وحتى هذه اللحظة لم يكن هناك نقد، وإدانــة، وكلمات غضب، ولم يكن هناك اتهام أو سقوط، ولا هجوم على كلمات أو أفعال شخص في وجهه أو وجهها. إن علاقة آدم وحـواء كانت حرة من هذا لأنهم كانا أحـرارًا من الخطية. لكن بعدما أكلا الثمرة، نرى تغييرًا دراميًا، ليس فقط في علاقتهما بالله، لكن في علاقتهما ببعضهما البعض أيضًا. فعندما سأل الله آدم حول أكله من الثمرة المحرمة، فبسرعة اتهم آدم حواء، هو لم يقف معها، ولم يحميها، لم يتصرف كوسيط ويحامى عنها، ويناشد الله من أجلها، إنما أخذ جانبًا، وأتهم، وجوهريًا قال، «ضع اللوم عليها، يا الله هي من أوقعتني في هذه الفوضى.»

كم من أحاديثنا قائمة على إلقاء اللوم على الآخرين! «أنت جعلتني غاضب جدًا!» «لو لم تفعل ــــ لما كان

حدث ــــ.»، «أنا لم أكن هكذا أبداً قبل أن أقابلك «عندما تفعل هذا، فأنا لا أستطيع التحكم بنفسي.» «أنا لم أكُن عصبية هكذا قبل أن يكون لديّ أطفال.» «لو لم تكوني طباخة ماهرة، لما زاد وزني»

من منا لم يجرب أن يتهِم ويلوم عندما يوضع علينا حمل المسئولية؟ في الأوقات الصعبة، نكون دائمًا على أتم استعداد لنلقي اللوم أكثر

من البحث عن الحلول. ونـادرًا ما يمر يوم دون أن يعبر اللوم على شفاهنا أو آذاننا.

لكن هناك بُعد آخر لهذه المشكلة، فللمرة الأولى **توجه كلمات الاتـهام لله،** فعندما واجه الله آدم بعد أكل الثمرة، وقتها وجه آدم أصابع الاتـهام ليس فقط لحواء ولكن أيضًا لله. فقال آدم، «يا الله إن لم تعطني هذه المرأة، لما حدث شيء من هذا. الله، إنه خطأك؛ أنت خلقتها وانظر ما فعلته لي الآن!» وتمامًا مثل آدم، فعندما نلوم الناس والظروف على مشاكلنا، من داخلنا نحن نلقي اتهامات ضد الله.

عندما يقول الزوج، «زوجتي تجعلني غاضب جدًا!،» اتهامه لا يتوجه فقط لزوجته إنما لله، الذي رسم هذه العلاقة. والشخص الذي يقول «سأصبح أكثر فاعلية في خدمات كنيستي لو لم أكن أبذل هذا الجهد الكبير لتغطية نفقاتي» جوهريًا هو يقول، «يا رب إنه خطأك، لو أعطيتني عملًا أفضل لتوفير معيشتي، لكنت استطعت أن أخدمك بالطريقة التي أتمناها.» الوالد الذي يقول، « لقد كنت أكثر استجمامًا وصبرًا قبل أن يصبح لديّ أطفال،» ففي الحقيقة هو يلوم الله على الأعباء الأبوية الذي وجدها أنها تغمره. وفي السقوط، فإن الله الذي كان ينبغي أن يُحبّ، ويُطاع، ويُخدم أصبح كبش فداء لخطايا الناس. وفي كثير من أحاديثنا اليوم نسمع نفس الاتهامات الماكرة ضد الله.

الكلمات التي تتحدى سلطان الله والأكاذيب، والتفاسير الخاطئة لحياتنا، والاتهامات واللوم ضد الله والإنسان الذي خلقه، كل ذلك تعود

أصوله لهذه اللحظة الدرامية من التغيير. فالشيطان يتكلّم، وبسبب ردة فعل آدم وحواء تجاه كلماته، أصبح عالم الكلام عالمًا من الصراع، ولم نعد بعد نعكس صورة الله ببساطة بكلماتنا؛ بل نعكس صورة الحية. لم نعد نتحدث وفقًا لمقاييس الله؛ بل نتحدث دائمًا بما يتوافق مع مقاييس الحية. ولم تعد كلماتنا في صورة صادقة حسب تصميم الله؛ بل تصور دائمًا خداع الشيطان. فالكلام لم يعد سهلًا وآمنًا. بل أصبحنا نعيش في عالم التلاعب بالأكاذيب، وكلمات الغضب التي تجرح، والتزوير المدمر، والافتراء المؤذي، والإدانة التي تدمر، والكلمات الوقحة التي تتحدى السلطات التي أوجدها الله في أماكنها.

من منا لم يشعر بالندم عن أشياء قالها كوالد، وكقرين، وكصديق، وكجار، أو كموظف؟ من منا لم يحاول أن ينتزع كلماته للوراء ــ على نحو ما يمسح الشريط ــ بحيث لا يعد هناك وجود لهذه الذكرى؟ من منا لم يكرر ذهابه إلى أطفاله، وشريك حياته، أو أصدقائه ليطلب الغفران على أشياء قالها أو عن الطريقة التي قالها بها؟

شر لا يهدأ

وصف يعقوب في رسالته هذا العالم من الصراعات بكلمات درامية، وقد نبهنا إلى مقدار وتأثير الدمار الذي يمكن أن يحدث من خلال كلماتنا.

هُوَذَا الْخَيْلُ، نَضَعُ اللُّجُمَ فِي أَفْوَاهِهَا لِكَيْ تُطَاوِعَنَا، فَنُدِيرَ جِسْمَهَا كُلَّهُ. هُوَذَا السُّفُنُ أَيْضًا، وَهِيَ عَظِيمَةٌ بِهذَا الْمِقْدَارِ، وَتَسُوقُهَا رِيَاحٌ

عَاصِفَةٌ، تُدِيرُهَا دَفَّةٌ صَغِيرَةٌ جِدًّا إِلَى حَيْثُمَا شَاءَ قَصْدُ الْمُدِيرِ. هكَذَا اللِّسَانُ أَيْضًا، هُوَ عُضْوٌ صَغِيرٌ وَيَفْتَخِرُ مُتَعَظِّمًا. هُوَذَا نَارٌ قَلِيلَةٌ، أَيَّ وُقُودٍ تُحْرِقُ؟ فَاللِّسَانُ نَارٌ! عَالَمُ الإِثْمِ. هكَذَا جُعِلَ فِي أَعْضَائِنَا اللِّسَانُ، الَّذِي يُدَنِّسُ الْجِسْمَ كُلَّهُ، وَيُضْرِمُ دَائِرَةَ الْكَوْنِ، وَيُضْرَمُ مِنْ جَهَنَّمَ. لأَنَّ كُلَّ طَبْعٍ لِلْوُحُوشِ وَالطُّيُورِ وَالزَّحَّافَاتِ وَالْبَحْرِيَّاتِ يُذَلَّلُ، وَقَدْ تَذَلَّلَ لِلطَّبْعِ الْبَشَرِيِّ. وَأَمَّا اللِّسَانُ، فَلاَ يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ أَنْ يُذَلِّلَهُ. هُوَ شَرٌّ لاَ يُضْبَطُ، مَمْلُوٌّ سُمًّا مُمِيتًا. بِهِ نُبَارِكُ اللهَ الآبَ، وَبِهِ نَلْعَنُ النَّاسَ الَّذِينَ قَدْ تَكَوَّنُوا عَلَى شِبْهِ اللهِ. مِنَ الْفَمِ الْوَاحِدِ تَخْرُجُ بَرَكَةٌ وَلَعْنَةٌ! لاَ يَصْلُحُ يَا إِخْوَتِي أَنْ تَكُونَ هذِهِ الأُمُورُ هكَذَا! أَلَعَلَّ يَنْبُوعًا يُنْبِعُ مِنْ نَفْسِ عَيْنٍ وَاحِدَةٍ الْعَذْبَ وَالْمُرَّ؟ هَلْ تَقْدِرُ يَا إِخْوَتِي تِينَةٌ أَنْ تَصْنَعَ زَيْتُونًا، أَوْ كَرْمَةٌ تِينًا؟ وَلاَ كَذلِكَ يَنْبُوعٌ يَصْنَعُ مَاءً مَالِحًا وَعَذْبًا! (يعقوب ٣ : ٣-١٢)

بالنسبة ليعقوب، اللسان هو «عَالَمُ الإِثْمِ «و» يُدَنِّسُ الْجِسْمَ كُلَّهُ «و» يُضْرِمُ دَائِـرَةَ الْكَوْنِ» فهو يقول أنه مثل اللقمة الصغيرة ، الدَّفَّةٌ الصَغِيرَةٌ جِدًّا ، الشرارة، والحيوان الغير مروض. وبكلامنا، أما أن نعكس خالقنا وإلهنا، أو نعكس الحية، أي الشيطان. كلماتنا تبني وتعطي حياة أو تفكك وتهدم، إنها مهمة جداً.

صراع الكلمات

في سفر الأمثال أيضًا يصف صراع الكلمات كجزء لا يتجزأ من العالم الساقط. هنا بعض الفقرات التوضيحية:

«لإِنْقَاذِكَ مِنْ طَرِيقِ الشِّرِّيرِ، وَمِنَ الإِنْسَانِ الْمُتَكَلِّمِ بِالأَكَاذِيبِ،» (٢ : ١٢)

«لإِنْقَاذِكَ مِنَ الْمَرْأَةِ الأَجْنَبِيَّةِ، مِنَ الْغَرِيبَةِ الْمُتَمَلِّقَةِ بِكَلاَمِهَا،» (٢ : ١٦)

«إِنْ عَلِقْتَ فِي كَلاَمِ فَمِكَ، إِنْ أُخِذْتَ بِكَلاَمِ فِيكَ، إِذًا فَافْعَلْ هذَا يَا ابْنِي، وَنَجِّ نَفْسَكَ إِذَا صِرْتَ فِي يَدِ صَاحِبِكَ، اذْهَبْ تَرَامَ وَأَلِحَّ عَلَى صَاحِبِكَ.» (٦ : ٢-٣)

«هذِهِ السِّتَّةُ يُبْغِضُهَا الرَّبُّ، وَسَبْعَةٌ هِيَ مَكْرُهَةُ نَفْسِهِ: عُيُونٌ مُتَعَالِيَةٌ، لِسَانٌ كَاذِبٌ، أَيْدٍ سَافِكَةٌ دَمًا بَرِيئًا، قَلْبٌ يُنْشِئُ أَفْكَارًا رَدِيئَةً، أَرْجُلٌ سَرِيعَةُ الْجَرَيَانِ إِلَى السُّوءِ، شَاهِدُ زُورٍ يَفُوهُ بِالأَكَاذِيبِ، وَزَارِعُ خُصُومَاتٍ بَيْنَ إِخْوَةٍ.» (٦ : ١٦-١٩)

«تَارَةً فِي الْخَارِجِ، وَأُخْرَى فِي الشَّوَارِعِ، وَعِنْدَ كُلِّ زَاوِيَةٍ تَكْمُنُ.» (٧ : ١٢)

«كَثْرَةُ الْكَلاَمِ لاَ تَخْلُو مِنْ مَعْصِيَةٍ، أَمَّا الضَّابِطُ شَفَتَيْهِ فَعَاقِلٌ.» (١٠ : ١٩)

«كَلاَمُ الأَشْرَارِ كُمُونٌ لِلدَّمِ، أَمَّا فَمُ الْمُسْتَقِيمِينَ فَيُنَجِّيهِمْ.» (١٢ : ٦)

«مَنْ يَتَفَوَّهْ بِالْحَقِّ يُظْهِرِ الْعَدْلَ، وَالشَّاهِدُ الْكَاذِبُ يُظْهِرُ غِشًّا. يُوجَدُ مَنْ يَهْذُرُ مِثْلَ طَعْنِ السَّيْفِ، أَمَّا لِسَانُ الْحُكَمَاءِ فَشِفَاءٌ. شَفَةُ

الصِّدْقِ تَثْبُتُ إِلَى الأَبَدِ، وَلِسَانُ الْكَذِبِ إِنَّمَا هُوَ إِلَى طَرْفَةِ الْعَيْنِ.» (١٢ : ١٧-١٩)

«رَجُلُ الأَكَاذِيبِ يُطْلِقُ الْخُصُومَةَ، وَالنَّمَّامُ يُفَرِّقُ الأَصْدِقَاءَ.» (١٦ : ٢٨)

«الْفَاعِلُ الشَّرَّ يَصْغَى إِلَى شَفَةِ الإِثْمِ، وَالْكَاذِبُ يَأْذَنُ لِلِسَانِ فَسَادٍ.» (١٧ : ٤)

«لاَ تَلِيقُ بِالأَحْمَقِ شَفَةُ السُّودَدِ. كَمْ بِالأَحْرَى شَفَةُ الْكَذِبِ بِالشَّرِيفِ!» (١٧ : ٧)

«اِبْتِدَاءُ الْخِصَامِ إِطْلاَقُ الْمَاءِ، فَقَبْلَ أَنْ تَدْفُقَ الْمُخَاصَمَةُ اتْرُكْهَا.» (١٧ : ١٤)

«مُحِبُّ الْمَعْصِيَةِ مُحِبُّ الْخِصَامِ. الْمُعَلِّي بَابَهُ يَطْلُبُ الْكَسْرَ.» (١٧ : ١٩)

«اَلْجَاهِلُ لاَ يُسَرُّ بِالْفَهْمِ، بَلْ بِكَشْفِ قَلْبِهِ.» (١٨ : ٢)

«كَلاَمُ النَّمَّامِ مِثْلُ لُقَمٍ حُلْوَةٍ وَهُوَ يَنْزِلُ إِلَى مَخَادِعِ الْبَطْنِ.» (١٨ : ٨)

«اَلْمَوْتُ وَالْحَيَاةُ فِي يَدِ اللِّسَانِ، وَأَحِبَّاؤُهُ يَأْكُلُونَ ثَمَرَهُ.» (١٨ : ٢١)

«اَلشَّاهِدُ اللَّئِيمُ يَسْتَهْزِئُ بِالْحَقِّ، وَفَمُ الأَشْرَارِ يَبْلَعُ الإِثْمَ. اَلْقِصَاصُ

مُعَدٌّ لِلْمُسْتَهْزِئِينَ، وَالضَّرْبُ لِظَهْرِ الْجُهَّالِ.» (١٩ : ٢٨-٢٩)

«اَلسُّكْنَى فِي زَاوِيَـةِ السَّطْحِ، خَيْرٌ مِنِ امْـرَأَةٍ مُخَاصِمَةٍ وَبَيْتٍ مُشْتَرِكٍ.» (٢١ : ٩)

«أُطْرُدِ الْمُسْتَهْزِئَ فَيَخْرُجَ الْخِصَامُ، وَيَبْطُلَ النِّزَاعُ وَالْخِزْيُ.» (٢٢ : ١٠)

«أَقِمْ دَعْوَاكَ مَعَ قَرِيبِكَ، وَلاَ تُبحْ بِسِرِّ غَيْرِكَ، لِئَلاَّ يُعَيِّرَكَ السَّامِعُ، فَلاَ تَنْصَرِفَ فَضِيحَتُكَ.» (٢٥ : ٩-١٠)

«بِعَدَمِ الْحَطَبِ تَنْطَفِئُ النَّارُ، وَحَيْثُ لاَ نَمَّامَ يَهْدَأُ الْخِصَامُ. فَحْمٌ لِلْجَمْرِ وَحَطَبٌ لِلنَّارِ، هكَذَا الرَّجُلُ الْمُخَاصِمُ لِتَهْيِيجِ النِّزَاعِ.» (٢٦ : ٢٠-٢١)

«اَلْوَكْفُ الْمُتَتَابِعُ فِي يَوْمٍ مُمْطِرٍ، وَالْمَرْأَةُ الْمُخَاصِمَةُ سِيَّانِ، مَـنْ يُخَبِّئُهَا يُخَبِّئُ الـرِّيـحَ وَيَمِينُهُ تَقْبِضُ عَلَى زَيْـتٍ!» (٢٧ : ١٥-١٦)

«مَنْ يُوَبِّخْ إِنْسَانًا يَجِدُ أَخِيرًا نِعْمَةً أَكْثَرَ مِنَ الْمُطْرِي بِاللِّسَانِ.» (٢٨ : ٢٣)

«اَلرَّجُلُ الَّذِي يُطْرِي صَاحِبَهُ يَبْسُطُ شَبَكَةً لِرِجْلَيْهِ.» (٢٩ : ٥)

«اَلنَّاسُ الْمُسْتَهْزِئُونَ يَفْتِنُونَ الْمَدِينَةَ، أَمَّا الْحُكَمَاءُ فَيَصْرِفُونَ الْغَضَبَ.» (٢٩ : ٨)

«أَرَأَيْتَ إِنْسَانًا عَجُولاً فِي كَلاَمِهِ؟ الرَّجَاءُ بِالْجَاهِلِ أَكْثَرُ مِنَ الرَّجَاءِ بِهِ.» (٢٩ : ٢٠)

هذه فقط قائمة بفقرات توضيحية، ولا يزال سفر الأمثال يتوجه بوصف اللسان إنه «عالم الشر». وهذا العالم صٌورَ في كل سفر بالكتاب المقدّس. نحن بحاجة أن نعترف ببساطة أن هناك صراع في كلامنا. كلمات يعقوب وسفر الأمثال تصف لنا أننا لا نتكلم بطريقة تتمسك بتصميم ومقاييس الله. ونحن دائمًا ننحدر لمقاييس أبو الأكاذيب، والذي يخدع، ويُفرق، ويدمر ــــ الشيطان نفسه.

فنحن نضع مكائد بأفواهنا، ونغوي بكلماتنا، وكلامنا يثير الفتن، وقلنا كثيرًا وتحدثنا بتسرع، وكلماتنا أصبحت متهورة. واستسلمنا للنميمة وفي غضبنا كلماتنا أصبحت شريرة. وأصبحنا عدوانيين. وفي أوقات نبتهج لأننا فرضنا آرائنا الخاصة.، ونهزأ بالدعابات، وخننا ثقة الآخرين بكلماتنا.

تكوين ٣ وكلماتنا

ما الذي يجب أن نتخذه من خلال تأملاتنا فيما يخص التواصل في تكوين ٣؟ يجب أن نبدأ بأن ندرك بتواضع أن كلماتنا لها جذور، ليس فقط في كلمة الرب (تكوين ١)، ولكن أيضًا في كلمات الحيّة (تكوين ٣). وبإقرار هذا فإننا نعترف بأن عوائق التواصل ليست بالمقام الأول صراع بسبب التقنيات، لكن صراع بسبب القلب. معركة كلماتنا ليست مع الناس الآخرين؛ لكنها معركة بداخلنا. هل سنتحدث

بطريقة تمثل الله، المتكلم الأعظم، أم الحيّة، المخادع الأعظم؟ من سيتحكم في قلوبنا وكلمتنا؟

صراع الكلمات ظهر في تكوين ١ و٣ وذُكر في باقي الكتاب المقدّس. ونحن نصارع فيه يوميًا في حياتنا، وكلماتنا الآن تفرق، وتخدع، وتدمر. إنها عالم من الشر، يُسبّب عالم من المتاعب. إن الكلام ليس رخيصًا، بل إن تكلفته عظيمة.

كيف نتعامل مع هذه المشكلة؟ كل منا يحتاج أن يقول «يا رب، هذه الفقرات كشفتني. أنا أعترف أنني دائمًا لم أجعل كلماتي تنتمي إليك، أنا لم أتواصل بأمانة وفقًا لمثالك وخطتك، وقد أعلنت كلماتي بطريقتي، واستخدمتها لأغراضي. وسمعت للمخادع الأعظم ومرات كثيرة وبطرق كثيرة تكلمت مثله أكثر من أن أتكلم مثلك. أنا أسأل غفرانك وأتضرع طالبًا مساعدتك. أنا أعرف أنك الوحيد الذي تستطيع أن تهذّب لساني. وها أنا أُهدي لك كلامي مرة أخرى حتى أستطيع أن أتكلّم وفقًا لمقاييسك وتصميمك.»

ونحن نعترف بكل هذا، نحن بحاجة أن نصدق الوعد العظيم عن الحق الذي قاله بولس في كورنثوس الثانية ١٢ : ٩ «**فَقَالَ لِي: «تَكْفِيكَ نِعْمَتِي، لأَنَّ قُوَّتِي فِي الضَّعْفِ تُكْمَلُ».**»

لم يكن هناك مجال آخر يكشف ضعفنا بطريقة درامية أكثر من صراعنا مع الكلمات. لكن نحن بحاجة ألا نيأس. المسيح جاء. عاش، ومات، وقام من أجلنا! فيه لا نجد الغفران فقط إنما تحرير

من خطايا القلب التي تؤدي لخطايا اللسان. وفي ضعف تام، تستطيع قلوبنا أن تمتلئ بفرح يعكس عظمة خلاص المسيح، وفيه كلماتنا لها رجاء.

على المستوى الشخصي:

وقت للاعتراف

عليك أن تُقيّم عالمك من الكلمات. هل كانت هناك مرات حيث اتبعت كلماتك نمط العدو أكثر من نمط الله؟ خذ وقت لتنظر الأمر، تصلي، وتعترف. اعترف لله وللناس الذين تعيش وتعمل معهم.

هل هناك مرات كانت كلماتك تتحدى سلطان الله؟ (تسعى لأخذ سيطرة غير مشروعة، تتكلم كلمات الإدانة، تأديب الآخرين بالكلمات، زعزعة السلطان من القادة الذين عينهم الله، تذمر وشكوى من المواقف التي رتبها الله لحياتك، إلخ...).

هل كلماتك تكشف مواقع أخذت منها تفسيرات للحياة مختلفة عن تفسيرات الله (كما كشف لنا الكتاب المقدّس)؟ بمعنى آخر، هل كلامك يكشف عن نظرة للحياة متسقة مع الكتاب المقدّس بما يشجع الآخرين أن ينظروا للحياة بنفس الطريقة؟ (مثل: نوبات الغضب أثناء التكدس المروري أو تعكس ذلك باستخدام هذا الوقت لخوض محادثة مفيدة مع زوجتك وأولادك.)

هل تواصلك في المناقشات تأثر بكذبة الشيطان أن الأشياء التي تحتاجها من أجل الحياة تستطيع أن تجدها خارج المسيح؟

أمثلة:

«أنا يجب أن أكسب هذا الجدال.»

«أنا يجب أن أحصل على حبها، وتقديرها، واحترامها.»

«سأجعله يعترف بـ ــــــــ حتى لو كان هذا آخر شيء أفعله!»

«هذه هي الطريقة التي يجب أن تتم بها الأمور»

«لا أستطيع العيش بدون ــــــــ.»

«أنا لدي الحق لإسعاد نفسي»

تذكّر، المسيح لم يغفر فقط، بل حررنا. وهو لم يحرر فقط، بل ردنا، هو لم يردنا فقط، بل صالحنا.

الفصل الثالث

الكلمةَ صارَ جسدًا

«وَالْكَلِمَةُ صَارَ جَسَدًا وَحَلَّ بَيْنَنَا» (يوحنا ١ : ١٤)

إنني متزوج منذ أكثر من ربع قرن، وقد أعطاني الله زوجة صالحة، لديها مميزات أكثر مني، أنا و«لولا» نستمتع بعلاقة رائعة في العديد من الجوانب، كلٌّ منا تربى في بيوت مسيحية حيث تعلّمنا الحق منذ طفولتنا، وكلٌّ منا أتى للمسيح منذ الطفولة وتعلمنا في جامعات مسيحية، وقضينا حياتنا بالخدمة وأُنْعم علينا بأن نخضع لتعاليم الإنجيل الجميلة، وعملنا جاهدين لنتبع تصميم المسيح لزواجنا.

نقضي وقتًا سويًا كل أسبوع خارج المنزل للتحدث عن المواضيع التي نحتاج أن نناقشها، حاولنا خلال سنوات أن يكون لدينا وقت للعبادة الأسرية يوميًا. ولكن بينما كنت أعد هذا الكتاب، أدركت أنه رغم من كل ذلك لكن لا يخلو التواصل بَيننا من المتاعب. ولا أعني أننا نصرخ ونصيح، فنحن لم نكن دائمًا في حالة من الغضب وفي عراك دائم مع بعض، لكن ليس علينا أن نذهب بذاكرتنا بعيدًا لنرى الخطأ في كلامنا، قد نكون تكلّمنا بكلمة متسرعة وبدون تفكير، كلمة سخط، اتهام سريع، تعليق أو طلب أناني، أو جملة مثل «لقد قلت لك هذا» وقت الاحتياج لكلمة تعزية وتشجيع. وقد يكون

رد سريع غير صبور، أو لحظه لا داعي لها للتنقيب عن النقائض، أو تعليق مليء بالبر الذاتي أو الشفقة على النفس، أو موقف يحيى أخطاء الماضي للحظة.

على الرغم من كل التعاليم الكتابية التي تلقيناها، ومع كل الالتزام الشخصي الذي لدينا والمجهود العملي، ومع كل تضرعاتنا للغفران وصلواتنا للمساعدة، لكننا كزوجين لا يزال لدينا مشاكل بكلامنا. هكذا يكون احتياجنا! هكذا تكون عمق مشكلتنا!

ميولنا إلى النسيان

عندما أذهب إلى المكتبات المسيحية، أحيانًا أتساءل إذا كنا قد نسينا ما هي مشكلتنا الحقيقية، هل نعتقد حقًا إننا نستطيع أن نحل مشاكل التواصل للأبد بالأفكار الإنسانية والأساليب الأنيقة؟ هل نسينا أن مشكلات التواصل تكشف مشاكل أعمق وعلى مستوى أكثر جوهرية؟ وإذا لم نعالج هذه المشكلات العميقة، لن نستطيع أبدًا أن نحل مشكلات تواصلنا اليومي. ولو كانت المعرفة والمهارات هي ما نحتاج إليه لكننا استطعنا أنا و»لولا« حل مشكلات كلامنا منذ زمن بعيد، لكننا نحتاج شيئًا أعمق من الأساليب، والمهارات، والمعرفة. وكل يوم نكتشف هذا الاحتياج العميق في تواصلنا الأسرى.

لاحظت مُؤخرا أن أبنائي يتنازعون سويًا، لم يكن هذا شيئًا جديدًا؛ فالفرق بينهم سنتان وكانت لديهم الكثير من المنازعات، في الواقع لقد قاموا بهذا النزاع تحديداً العديد من المرات. لكن هذه المرة لفت

انتباهي، كانت كلمتهم محملة بالاتهام، صوتهم غاضب، لا يتوقف أحد للاستماع وكوابل من الكلمات تتصاعد والصوت يعلو، لم يمر الكثير من الوقت حتى قاموا بالتخلي عن المشكلة المطروحة والقيام بإلقاء إساءات من الماضي على بعضهما البعض. وقد تكلموا بدافع الألم، الإحباط والغضب، الهلع والغيرة. لم يتكلّما لحل المشكلات أو يستمعا ليفهما، كلماتهما ببساطة كانت أسلحة في حرب. فكلٍ منهما يريد أن يُخرس الأخر ويفوز. عبارتهما كانت مليئة بـ «أنت دائمًا» و»أنت لم». كلٍ منهما واقفًا هناك ملفوفًا برداء البر الذاتي، يشعر بالحق التام في اتهام الآخر. على الرغم من استمرارهما في المناقشة، لكن كلٍ منهما كان على يقين بأنهما يضيعان الوقت، وكانا متأكدان أن الأخر «لن يفهم» أبدًا.

و أنا أستمع لذلك سيطرت عليّ فكرتين، الأولى كانت أنني لا أريد أن أتعامل مع هذا «الصراع» كأول شيء بالصباح، لكن الفكرة الثانية كانت أكثر لاهوتية وجاذبية، فقد أدركت أنني لم أعلّم أولادي قط كيفية المجادلة والعراك، ولم أعلمهما من قبل كيفية أن يجرح أحدهما الآخر بالكلمات، ولم أحاضرهما قط من قبل عن اختيار اللحظة المناسبة لإلقاء سيل الأخطاء على الأخر، ولم أسعَ أن أكسبهم مهارات الاتهام والإدانة. ومع ذلك فإن أولادي منسوجين بالثقة والمهارات، ولديهم موهبة طبيعية لاستخدام الكلمات لتفعل تمامًا ما تريده قلوبهم الغاضبة.

عندما بدأت أن أتدخل، كان قلبي مليئًا بالحزن، أنا أستطيع أن أوقف المنازعة، لكنني لا أستطيع أن أغير ما يحتاج إلى تغيير

بالفعل، علاوة على ذلك أنني أدرك بقوة ما يجب أن يتغير فيهم، فهو يحتاج أن يتغير في كذلك. في بيتنا نادرًا ما تمر ساعات قليلة (فضلاً عن يوم كامل) بدون هذا النوع من الخلاف! (وصدق أو لا، فإن لدينا فعلاً أسرة جميلة جدًا) كم هو عمق احتياجنا! لقد تكلّمت إلى أولادي بدموع في ذلك الصباح، لأنه فجأة سيطر عليّ عمق احتياجنا الروحي أكثر من إحباطي في حل مشاجرة صغيرة.

ربما تتساءل لو أن أولادي كانوا سيستفيدون أكثر لو تعلموا أساليب تواصل أفضل أو حس أفضل للمكان والزمان، ولا شك نعم، لكن صراع الكلمات ذلك الصباح كان أعمق، لأنه عبر عن احتياج روحي عميق، لن يخففه قليل من المبادئ عن التواصل الجيد.

مجيء الكلمة

كيف يخاطب الله-المتحدث الأعظم- احتياجاتنا في هذا المجال؟ هو لم يطلب أن نتوافق مع مقاييسه بقوتنا، لا، فقد أرسل ابنه، الكلمة، ليصير جسدًا، ليعيش كإنسان وليكون الأعظم بين الجميع ورسالة الله لنا! فالكلمة صار جسدًا. استمع إلى كلمات يوحنا.

«فِي الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ، وَالْكَلِمَةُ كَانَ عِنْدَ اللهِ، وَكَانَ الْكَلِمَةُ اللهَ. هذَا كَانَ فِي الْبَدْءِ عِنْدَ اللهِ.

كُلُّ شَيْءٍ بِهِ كَانَ، وَبِغَيْرِهِ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِمَّا كَانَ.فِيهِ كَانَتِ الْحَيَاةُ، وَالْحَيَاةُ كَانَتْ نُورَ النَّاسِ، وَالنُّورُ يُضِيءُ فِي الظُّلْمَةِ، وَالظُّلْمَةُ لَمْ تُدْرِكْهُ....

كَانَ فِي الْعَالَمِ، وَكُوِّنَ الْعَالَمُ بِهِ، وَلَمْ يَعْرِفْهُ الْعَالَمُ. إِلَى خَاصَّتِهِ جَاءَ، وَخَاصَّتُهُ لَمْ تَقْبَلْهُ.وَأَمَّا كُلُّ الَّذِينَ قَبِلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ سُلْطَاناً أَنْ يَصِيرُوا أَوْلاَدَ اللهِ، أَيِ الْمُؤْمِنُونَ بِاسْمِهِ. اَلَّذِينَ وُلِدُوا لَيْسَ مِنْ دَمٍ، وَلاَ مِنْ مَشِيئَةِ جَسَدٍ، وَلاَ مِنْ مَشِيئَةِ رَجُل، بَلْ مِنَ اللهِ.

وَالْكَلِمَةُ صَارَ جَسَداً وَحَلَّ بَيْنَنَا، وَرَأَيْنَا مَجْدَهُ، مَجْداً كَمَا لِوَحِيدٍ مِنَ الآبِ، مَمْلُوءاً نِعْمَةً وَحَقّاً.

وَمِنْ مِلْئِهِ نَحْنُ جَمِيعاً أَخَذْنَا، وَنِعْمَةً فَوْقَ نِعْمَةٍ.لأَنَّ النَّامُوسَ بِمُوسَى أُعْطِيَ، أَمَّا النِّعْمَةُ وَالْحَقُّ فَبِيَسُوعَ الْمَسِيحِ صَارَا...

اَللهُ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ قَطُّ. اَلابْنُ الْوَحِيدُ الَّذِي هُوَ فِي حِضْنِ الآبِ هُوَ خَبَّرَ.»

(يوحنا ١: ١-٥، ١٠-١٤، ١٦-١٨)

فكّر في هذا، الإله الذي خلق الكلام، الذي تكلّم فوجد العالم، الإله الذي استخدم كلمات بشرية ليعلن عن نفسه للناس على مر العصور، يأتي إلى عالمه ككلمة للناس الذين تخلوا عنه، هو لا يتكلم بالحق فقط، إنما هو الحق، وفيه فقط يوجد لنا رجاء، فقط في الكلمة نجد رجاء لحسم صراع الكلمات و رجاء أن نتكلم مجددًا حسب مثال وتصميم خالقنا، الكلمة صار جسدًا لأنه لا يوجد طريق آخر لإصلاح ما أفسدنا.

حقيقة أن الكلمة صار جسدًا تخبرنا بشيء مهم جدًا عن متاعبنا مع الكلام: مشكلتنا ليست في الأساس نوع من الجهل أو العجز،

تذكر كلمات يعقوب: «**لأَنَّ كُلَّ طَبْعٍ لِلْوُحُوشِ وَالطُّيُورِ وَالزَّحَّافَاتِ وَالْبَحْرِيَّاتِ يُذَلَّلُ، وَقَدْ تَذَلَّلَ لِلطَّبْعِ الْبَشَرِيِّ. وَأَمَّا اللِّسَانُ، فَلاَ يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ أَنْ يُذَلِّلَهُ. هُوَ شَرٌّ لاَ يُضْبَطُ، مَمْلُوٌّ سُمّاً مُمِيتاً.**» (يعقوب ٣ : ٧-٨). يعقوب يشير هنا إلى أن مشاكلنا مع التواصل لا يمكن أن تُحل بالوسائل البشرية الطبيعية، وتغيير الأماكن، والمواقف، والتعليم، والتدريب، والتمرين، أو طبيعة العلاقة لن تحل المشكلة. اللسان لن يتمكن الإنسان من ترويضه! فإنه قوة وشر لا يهدأ ويتركنا جميعًا متحيرين.

الصراع الخفي وراء صراع الكلمات

هناك ملاحظة كتابية مهمة نحتاج أن ندونها حول هذه النقطة: الكلمة لم تكن لتأتي للعالم لو كان صراعنا الأساسي صراع لحم ودم، المشكلة في كلماتنا هي مشكلة روحية شديدة، ومشكلة في قلب الإنسان. ربما تكونين زوجة مجروحة جدًا من الطريقة التي يتواصل بها زوجك معك، أو ربما أنت مراهق ومن الصعب ألا تشعر بأنك مدان من خلال الطريقة التي يتحدث بها إليك والديك، وربما تكون زوج تشعر بالمرارة من قلة الاحترام التي تتلقاها من أسرتك. كلٌ منا لديه جرح شخصي من كلمات الآخرين، وكلٌ منا تكلم كلمات لدغت الآخرين. ولأجل هذا، من المهم أن ندرك أن صراع الكلمات هو حقاً ثمرة من صراع أعظم وأكثر أهمية، هذا الصراع هو حرب الحروب؛ وهو ما تدور حوله الحياة. بولس أشار

إلى هذا الصراع في (أفسس ٦ : ١٢)، «**فَإِنَّ مُصَارَعَتَنَا لَيْسَتْ مَعَ دَمٍ وَلَحْمٍ، بَلْ مَعَ الرُّؤَسَاءِ، مَعَ السَّلاَطِينِ، مَعَ وُلاَةِ الْعَالَمِ عَلَى ظُلْمَةِ هذَا الدَّهْرِ، مَعَ أَجْنَادِ الشَّرِّ الرُّوحِيَّةِ فِي السَّمَاوِيَّاتِ.**»

في أفسس ٤، يعطي الرسول بولس أهمية كبيرة لطريقة الكلام في جسد المسيح، هو يدعونا أن يكون بـ «**كُلِّ تَوَاضُعٍ، وَوَدَاعَةٍ، وَبِطُولِ أَنَاةٍ، مُحْتَمِلِينَ بَعْضُكُمْ بَعْضاً فِي الْمَحَبَّةِ.**»،«**مُجْتَهِدِينَ أَنْ تَحْفَظُوا وَحْدَانِيَّةَ الرُّوحِ بِرِبَاطِ السَّلاَمِ.**» لنتكلم «**بالحق في المحبة،**» «**لِذلِكَ اطْرَحُوا عَنْكُمُ الْكَذِبَ، وَتَكَلَّمُوا بِالصِّدْقِ كُلُّ وَاحِدٍ مَعَ قَرِيبِهِ، لأَنَّنَا بَعْضَنَا أَعْضَاءُ الْبَعْضِ.**»هو يقول، «**اِغْضَبُوا وَلاَ تُخْطِئُوا.لاَ تَغْرُبِ الشَّمْسُ عَلَى غَيْظِكُمْ.**» هو يحثنا على «**لاَ تَخْرُجْ كَلِمَةٌ رَدِيَّةٌ مِنْ أَفْوَاهِكُمْ، بَلْ كُلُّ مَا كَانَ صَالِحاً لِلْبُنْيَانِ.**» هو يدعونا «**لِيُرْفَعْ مِنْ بَيْنِكُمْ كُلُّ مَرَارَةٍ وَسَخَطٍ وَغَضَبٍ وَصِيَاحٍ وَتَجْدِيفٍ مَعَ كُلِّ خُبْثٍ.**»لـ «**وَكُونُوا لُطَفَاءَ بَعْضُكُمْ نَحْوَ بَعْضٍ،**» وأن تكونوا «**[مُتَسَامِحِينَ] كَمَا [سَامَحَكُمُ] اللهُ أيضًا فِي الْمَسِيحِ.**» . وفي أفسس ٥ – ٦، يطبق بولس هذه المبادئ على الكنيسة، والبيت، والعالم الخارجي.

لا تستطيع قراءة ما قاله بولس دون التأثر بمحتوى وعمق الوصايا. ربما تعتقد وتقول وأنت تقرأ « بولس، لابد أنك تمزح! أتكلّم بكل وداعة وتواضع في بيتي؟ لا يمكن! تواصل بدون غضب وخبث؟! هذا لابد أن يكون اليوم الموعود! لكن لا يزال هذا ما يدعونا إليه بولس، وهذه الوصايا المراد بها مساعدتنا.

أنت تقول «أنها لا تساعدني ــ أنها تحبطني فقط!» لكن ربما هذه هي النقطة، فعندما تواجه مقاييس الله السامية لكلماتنا وترى إلى أي مدى سقطنا جميعنا منها، فمن المفترض أن تدرك الشيئين الذي يركز عليهما هذا الفصل. أولاً، أنا وأنت نواجه حاليًا حقيقة مدى خطورة أساس مشكلات التواصل وهي أكثر من مجرد مهارات، وأساليب، ومعاني كلمات. والحقيقة الثانية تنبع من الأولى: بسبب أن احتياجنا أعمق من طرق وأساليب واحتياج إلى دورة تدريبية أو مجموعة جديدة من المهارات، فنحن بحاجة إلى تحرير المسيح فقط، الكلمة الحية ومخلّصنا من يستطيع أن يعيننا.

لذلك، عندما نبذل قصارى جهدنا لحسم صراع الكلمات ونفشل، فلدينا رجاء أعظم نعتمد عليه، لكنه ليس من داخلنا أومن دوافعنا، لكنه الكلمة وحضوره، وقوته، ووعوده. ولأجل أن يسوع جاء ليعيش، ويموت، ويصلب عنّا، فهناك رجاء أن نتكلّم مثل تصميم الله.

الحياة هي الصراع

في ضوء ذلك، كلمات بولس في أفسس ٦ : ١٢، لا يمكن أن تكون أكثر واقعية. عندما كتب بولس عن الحرب الروحية في نهاية رسالته، لم يغير الموضوع؛ لكنه قد لخّص كل شيء قاله من قبل (بما في ذلك ما قاله عن التواصل). بولس غيور علينا ويريدنا أن ندرك أن الحياة هي الصراع، وهي ليست مع الناس الآخرين، لكن مع قوى الشر الروحية في السماويات!

وهذا ما يحدث في البيت، والكنيسة، والعمل، والمجتمع. وهذه الحرب هي التي تجعل كل من هذه البنود صعبة، فنحن لا نصارع لنبقى فقط على وفاق مع الآخرين، لكن الأهم من ذلك، نحن نصارع لمقاومة خطط إبليس ضدنا!

الحياة هي الصراع، فالآن يدور صراع درامي بين قوة المتحدث الأعظم والمخادع الأعظم. فبينما يسعى الله ليرسّخنا أعمق في حياته، وسلامه، وحقه، فإن الشيطان يسعى لاستئصالنا بمكائده الخادعة، وأكاذيبه المقنعة، وحيله الماكرة.

ومثل كل الحروب، فإن هذه الحرب هدفها السيطرة والتحكم، إنه صراع للنيل من قلوبنا، وإذا لم يستمر هذا الصراع الروحي، لما استمر صراع الكلمات.

وكل هذا يزيد فهمنا للإنجيل، فلهذا السبب كان ينبغي أن يأتي يسوع؛ يسوع كلمة الحياة، أتى ليظهر ويُخلّص، وبذلك يمكنّا أن نجد ما نحتاج إليه لنتمسك بموقفنا في خضم الصراع. ولا نستطيع بأنفسنا أن نواجه «قوى الشر الروحية في السماويات» لذلك جاء المسيح، ليس فقط ككلمة لكن أيضًا كآدم الثاني، فآدم الأول يمثّلنا جميعًا، وعندما واجه الشيطان، صدّق كذبه، وخضع لحيله، وسقط بالخطية. ولكن المسيح قد أتي كآدم الثاني، مثلنا مجددًا، لنواجه الشيطان، وبالتالي قبل خدمته العامة، قد واجه المسيح عدوه، وثلاث مرات يُجرّب بنفس الحيل والأكاذيب القديمة، وثلاث مرات هزم الشيطان،

وأعلن سلطانه على قوات الشر وحقق انتصار عظيم لنا. (انظر متى ٤ : ١-١١؛ ١٢ : ٢٢-٢٩؛ رومية ٥ : ١٢-٢١).

ومن خلال عمل المسيح، فإنه يمكنّا ويجهزنا للمعركة، وعندما يأتي يوم الشر نكون قادرين على الوقوف ثابتين، ولا شيء يبعدنا عن الحياة التي دعانا إليها. وهذه الحياة تشتمل على التكلّم بطريقة تليق بالإنجيل. فانتصار يسوع أعطانا القدرة أن نحيا بسلام معه ومع الآخرين.

وذلك يعطينا منظورًا مختلفًا تمامًا عن صراع مثل من سيدخل المرحاض أولاً أو من أكل آخر كمية من حبوب الأسرة المفضلة، فالمشكلة التي تحدث في هذه المرات أن هذه المشكلات تذهب لما هو أبعد من كونها سطحية، فهناك الكثير من الناس، والعدد القليل جدًا من المراحض، والكثير من علب الطعام الفارغة. نحن الشيء الخطأ في هذه المواقف ونحن العنصر المشترك في كل مشكلات التواصل. وإنه لأمر في غاية الأهمية من ألا نحتقر مشاكلنا (بقول: أن هذه اللحظات غير مهمة) أو نستسلم للاستخفاف بالأمور (بقول: أنه لا يوجد أمل حقيقي في التغيير). هذه اللحظات الصغيرة مهمة لمن نعيش معهم كل يوم، ولا يزال هناك أمل في التغيير الجذري بسبب يسوع المسيح، الكلمة، المخلّص، قد أعطانا كل المصادر التي نحتاجها لنتكلّم كما دُعينا أن نتكلّم.

المصادر الصحيحة من أجل الصراع

ما الذي أعطته الكلمة لنا حتى نتكلم وفقًا لتصميم الله وتبعًا لمقياسه؟

في صلاة مختصرة في أفسس ١ :١٥-٢٣، استخدم بولس أربع كلمات ديناميكية ليصف المصادر التي وهبت لنا بسبب عمل فداء المسيح.

أول كلمة هي **الرجاء**، ففي الكلمة نجد رجاء لكلماتنا، والرجاء ليس أمنية حالمة أو توقعات ليس لها أساس من الصحة، فلا يوجد وعد كتابي ليس له توقعات مؤكدة ومضمونة نتائجه، وفيه (أي المسيح) نستطيع أن نحسم صراع الكلمات. ويجب علينا ألا نستسلم لمرارة النفس، والغضب، والتدمير، والمناقشات المسببة للخلاف، فنحن نستطيع أن يكون لدينا مقاييس عالية وأهداف سامية، ليس فضلاً منا، ولكن بسبب ما فعله لأجلنا. لذلك نرفض أن نستسلم للوضع الراهن، ونرفض أن نجعل تهكم قلة الرجاء يتسلل إلينا ويجعلنا نستسلم في مواجهة الصراع.

لا، فإننا نعيش ونتكلم بإيمان وشجاعة، ونصدق أنه يمكننا الوصول لشيء أفضل بسبب ما فعله لأجلنا.

كزوجة، لا تصدقي أن التواصل الزوجي الخاص بكِ لن يتحسن أبدًا، ففي الكلمة هناك رجاء. وكزوج، لا يمكنك أن تستسلم للغضب وللكلمات التي تُفرض عليك، فهناك رجاء. وكصديق، لا تستطيع

أن ترفض أن تتكلم في لحظات جرحك اعتقادًا منك أنه لا يهمّ، فهناك رجاء. وكوالد، يجب أن تصدق أنك تستطيع أن تخدم أولادك حتى في جرحك وإعيائك، لأن الكلمة قد تجسّد، وبهِ يوجد رجاء.

عزيزي القارئ، أسأل نفسك، «هل تواصلي ينبع من ثقتي بالمصادر التي مُنحت لي من خلال عمل الكلمة؟»

ما الرجاء الذي لنا حتى نتحدث بصفات الله عندما يقاومنا مراهق متمرد؟ ما هو رجاءنا في التحدث على مثال تصميم الله مع زوج غير ودود، أو زوجة ناقدة، أو صديق مسيحي عنيف، أو جار كثير الخصام؟ أين نجد القوة لنتحدث بحق مع مدير صعب، وكثير المطالب، وغير شاكر، أو مع أطفال أنانيين ومتذمرين؟ ما الرجاء الذي لدينا لخوض تواصل صحي عندما نخوض في محادثات صعبة، مرهقة ومحبطة؟ماذا سنفعل عندما نصارع ألمنا الشخصي، وعندما نكون غاضبين أو نتصارع مع طُرقنا الخاصة؟ وما الذي سيسعدنا عندما نشعر بالظلم، وعدم التقدير، والإهمال، أو نصبح أمرًا مفروغًا منه؟ وما هو الرجاء الذي لنا حتى نتشجع أن نتحدث بطريقة تمجّد عمل الله أكثر من أن نتحدث بشهوات طبيعة خاطئة؟ رجاؤنا الوحيد هو الكلمة، فإن عمله من أجلنا يغيّر بالتمام الطريقة التي نتعامل بها مع صراعنا مع الكلمات.

أتعرف كيف يجري الأمر. معظم تواصُلنا اليومي ليس مكتوب ومرتب، فنحن دائمًا نهرع للحظات ليست جزءًا من ترتيباتنا اليومية.

لنفترض إن ابني قد أتى إليّ في إحدى ليالي الخميس في تمام الساعة العاشرة ونصف وقال، «أبي، لديّ مشروع بمادة العلوم يجب أن يُسلّم غدًا وهناك بعض الأشياء التي أحتاجها منك.»لكَ أن تتخيل، إنه يعرف عن هذا الواجب منذ أسابيع! وها أنا أحاول أن أحافظ على هدوئي وأسأله ما الذي تحتاجه. «حسنًا، أنا أريد صنع لوحة عرض كرتونية» يقول هذا بصورة مبدئية، فأقول «هذا ليس سيئًا.» «يمكننا أن نقطعَ سويًا الكرتون المتواجد حول المنزل.» وأسأله «أي شيء آخر؟». يقول، «حسنًا، أريد بعض الأقلام الملونة.» بدأت أن أشعرَ أن مستوى غضبي يعلو، لكني عللت الأمر بأنه ربما يمكننا أن نسكُب الماء على بعض الأقلام الجافة لننتهي من مشروع واحد آخر. ومجددًا أسأل «هل هناك شيئًا آخر؟» وبلهجة خائفة وغير واضحة يقول، «كذلك اثنتي عشر دجاجة صغيرة.»

لا أستطيع أن أصدقَ ما أسمعه! شعرت أن وجهي توهج بالاحمرار، «بالتأكيد، يجب على أن أنزلَ مسرعًا إلى متاجر الدجاج الليلة واختار اثنا عشر دجاجة طازجة!»

في لحظة يندلع الصراع ـــ لا ليس بيني أنا وابني، إنما في قلبي، فأنا غاضب ومحبط، أنا مرهق من حقل ألغام المصاعب غير المتوقعة، وهناك جاذبية قوية لأتعامل مع هذا الموقف بأن أوبخ ابني بالكلمات، أريد أن أخبره كم أنه غبيّ، وأنه مجنون إذا اعتقد أنني سأساعده. أريد أن أخبرَهُ أنه في زمني لم أؤجل مشاريع أبدًا، هناك الكثير مما أود أن أقوله، وفي هذه اللحظة من الأفضل أن يكون عندي

رجاء يُمكنني أن أقف ضد كل شيء أريد أن أفعله بصورة شهوانية!

إذا اندلع الصراع في قلوبنا في هذه اللحظات الدنيوية الصغيرة، كم بالحري سيكون في لحظات المعاناة الزوجية، في خيبة أمل الوالدين، وأوهام الفشل في جسد المسيح! الكثير من هذه اللحظات لا نستطيع تجنبها، لكن يمكنك أن توجهها بطريقَة جذرية مختلفة أن كنتَ تصدق أنه بسببَ عمل الكلمة، هناك رجاء لنا. إن الكلمات الثلاث التالية التي استخدمها بولس تصف لنا هذا الرجاء.

كل ما نحتاج

الكلمة الثانية التي استخدمها بولس في أفسس ١ : ١٥-٢٣ ليصور المميزات الحالية لعمل الكلمة هي **غناه**. فبولس يقول في ذلك «**غِنَاهُ فِي الْمَجْدِ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ.**» ما الذي يتحدث عنه هنا؟

بطرس يصفها جيدًا عندما يقول «**كَمَا أَنَّ قُدْرَتَهُ الإِلهِيَّةَ قَدْ وَهَبَتْ لَنَا كُلَّ مَا هُوَ لِلْحَيَاةِ وَالتَّقْوَى، بِمَعْرِفَةِ الَّذِي دَعَانَا بِالْمَجْدِ وَالْفَضِيلَةِ**» (بطرس الثانية ١ :٣). وهو لا يقول الكثير، ولا يقول الكثير من، إنما يقول «كُلَّ مَا هُوَ» أي كل ما نحتاجه. تأمل الكلمات هنا، الفعل في الفقرة («قد وهبت») في زمن التام، الذي يشير لفعل في الماضي ولديه نتائج مستمرة في المستقبل. وهذا يعني أن المسيح قد وضع كل ما احتاجه في مخزني. ربما تسأل « ماذا أفعل بهذا؟»، إن بطرس يقول «كُلَّ مَا هُوَ لِلْحَيَاةِ وَالتَّقْوَى.» لم يهب فقط كل شيء احتاجه للحياة الأبدية، إنما كل شيء احتاجه لمعيشة حياة التقوى منذ الوقت

الذي خلصت فيه حتى الوقت الذي سوف يأخذني الله لوطني لأكون معه!

دع قوة هذه الكلمات تخترقك، إن الله لن يضعك أبدًا في موقف دون أن يعطيكَ كل ما تحتاجه لتستطيع فعل ما دعاك أن تفعلهُ.

لنفترض أنكِ زوجة تخوضين محادثة صعبة مع زوجك، فهناك غنى بداخل مخزنك من أجل هذه اللحظة. وربما تكون موظف تعاني من مدير ناقد جدًا، فإن كل ما تحتاجه لكي تتكلّم بطريقة الله قد أعطي لك بالفعل. وكوالد قد تواجه يومًا آخر مع مراهق متمرد ولا يكن أي احترام، فإن كل الغنى الذي تحتاجه لتجاوز ألمك وغضبك ولتكون أداة الرب قد تم بالفعل منحه لك. لقد أتى الله الكلمة وفي يده غنى المجد، وإمداداته هي الشيء الوحيد الذي يروض اللسان البشرى!

الشيء الثالث في قائمة موارد بولس هي **القوة**. بولس يضعها بهذه الطريقة: «**وَمَا هِيَ عَظَمَةُ قُدْرَتِهِ الْفَائِقَةُ نَحْوَنَا نَحْنُ الْمُؤْمِنِينَ**» (أفسس ١ : ١٩)، فبسبب عمل الكلمة، لدينا القوة لحسم الحرب التي تغذي عوائق كلماتنا. ببساطة نحن لا نصارع مع التواصل بسبب نقص المهارات أو المعاني، لكن مشكلتنا هي انعدام القوة. مشكلتنا هي عدم القدرة. لهذا السبب يعقوب يسأل سؤال بلاغي، «من يستطيع أن يضبطَ لسانهُ؟» وأفضل إجابة كتابية للسؤال هي، لا أحد في هذا الجانب من الكلمة!

لكن المسيح أتى ليعلن قوته في خدمته، ويمارس قوته على الشر فوق الصليب، ويبارك شعبه بالقوة الكامنة في شخص الروح القدس. بولس يقول عن اللهَ «**وَالْقَادِرُ أَنْ يَفْعَلَ فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ، أَكْثَرَ جِدًّا مِمَّا نَطْلُبُ أَوْ نَفْتَكِرُ، بِحَسَبِ الْقُوَّةِ الَّتِي تَعْمَلُ فِينَا**» (أفسس ٣ : ٢٠).

تخيل هذا للحظة، إن اللهَ لم يضع لنا مجموعة من التوجيهات العظيمة والنبيلة وبعدها يجلس ليرى هل سنُطيعه. لكن لا، إنه يدرك أن خطايانا جعلتنا بلا قوة، ونحن لن نعرف ما نحتاج أن نعرفه ولن نستطيع أن نفعل ما نحتاج إلي فعله حين نكون بعيدين عنه، لذلك حررنا وسكن في داخلنا بروحه، وقوته فوق الطبيعية أصبحت داخلنا! وهي ليست فقط بداخلنا، لكنها تعمل فينا! بولس يقول أننا أخذنا قوة تقارن فقط بالقوة التي قام بها يسوع نفسه من الموت.

وهذا يغير كل شيء، فالكلمة جعلتنا مسكنًا لها وبذلك يصبح لدينا القوة أن نتكلّم كما صممنا هو، وفيه يصبح المستحيل مُمكنًا، والصراع أصبح قابل للحسمْ، واللسان أصبح قابلُ للضبطَ، ولم يعد بعد أداة للشر، إنما مُنتج للخير.

ما يجعل هذا الكتاب مختلفًا عن باقي كتب التواصل، ليس السبب هو مخزون الحكمة والخبرة العظيمة لدى الكاتب، لكنه شيء واحد: الإنجيل. إنه يغيّر بشكل جذري الطريقة التي نفهم بها وأن نشوب صراع الكلمات لهي بشكلٍ كبيرٍ جزء من الصراع الإنساني.

إن الإنجيل يمنعنا من أن يكونَ لدينا نموذج للتواصل بالقوة الذاتية التي تفترض أن مشاكلنا يمكن أن تُحل بالتفكير الصحيح والمهارات. إن الإنجيل يُجبرنا أن نواجه عجزنا، والإنجيل أيضًا يمنعنا من أن يكون لدينا نموذج للتواصل نابع من الضعف والعجز والذي يجعلنا ننظر لأهداف الله ونقول «لو كنا فقط نستطيع!» لكن في المسيح نحتضن عجزنا وقدرتنا، والله الكلمة جاء ليملأنا بقوته الفائقة لأننا ضعفاء جدًا. ولكن في المسيح، نحن من كنا لا نستطيع الوقوف أصبحنا واقفين بقوة!

طبّق هذا على عالم كلماتك، لقد مُنحت لك قوة، وإنها تسكن فيك بالروح القدس وتصل للنقطة التي تعاني فيها من أكبر ضعف في التواصل. أيتها الزوجة إن ذلك يعد إنكارًا لبشارة الإنجيل حين تنظرين لزوجك وتقولين في داخلك «لماذا المعاناة؟! إنه لن يستطيع أن يتغيّر»، وأيها الزوج إن ذلك يعد إنكارًا لبشارة الإنجيل حين تكون ممتلئًا بالبر الذاتي والدفاع عن النفس وقتما تحاول زوجتك أن تتكلّم معك حول خطية في حديثك. أيها الآباء إنكم تنكرون بشارة الإنجيل حين تكون أحاديثكم مع أولادكم محكومة بمشاعر ورغبات مُطلقة. لأن الكلمة أتت وأعطتنا قوته، لذلك بإمكاننا أن نتقدم للأمام بشجاعة ومؤمنين أننا بإمكاننا أن نكسب أراضي جديدة في عالم الكلمات الخاص بنا.

وبسبب حضور روح الله الساكن، فإننا لدينا رجاء أن اللسان سوف يعمل الصالح كما عين الله له. لا يستطيع أحد بيننا أن يقول أننا ضعفاء

جدًا (« لو فقط كان لديّ إيمان أكثر» أو «لو كانت فقط لديّ الجرأة الكافية» أو «لو كنت فقط أفكر بشكل سليم فيما يجب أن أقوله»). ولا يمكن أن يلوم أي منا طبيعة شخصيته («أنني فقط شخص تلقائي» أو «أنا فقط شخص خجول» أو «أنا أسف لكنني لست شخص صباحي»). ولا يمكن أن يلوم أي منا الماضي («لم يكن لديّ أبدًا مثال جيد للتواصل» أو «لقد تعلّمت دائمًا أن أقاوم كردة فعل» أو «والديّ لم يقوما أبدًا بقضاء وقت معنا لتعليمنا»). ولا يمكن أن يلوم أي منا الأشخاص الآخرين («لو كان لديّ فقط أطفال أكثر طاعة» أو»لو كان فقط زوجي ودودًا أكثر أو حنونًا أكثر، لكنت ...» أو «لـو كـان مديري فقط مقدرًا لما أفعل من أجله كل يـوم»). ولا يستطيع أي منا أن يلوم حالته الحالية («لو كان فقط عندي مزيد من الوقت» أو «لو كانت وظيفتي أقل تطلّبًا»).

نعم، إننا نحيا مع أشخاص خطاة، وجدولنا مزدحم للغاية، والكثير منا نشأوا في بيئة سلبية، وكلنا نمتاز بشخصيات مختلفة تساعدنا أحيانًا وتعوقنا أحيانًا بطرق مختلفة، لكن هذه هي النقطة، أن الله أعطانا روحه وذلك ليس (بالرغم من) لكن (من أجل) هذه الحقائق. فالروح القدس قد أعطي لنا حتى نتمم مشيئة الله بالرغم من أننا خطاة ونعيش في عالم ساقط، وحتى تتمكن حياته وقوته من التغلب على كل تأثيرات خطايانا وخطايا الآخرين ضدنا، ولكي نفعل حقًا مشيئة الله! إن قوته ليست بعيدة أو خاملة، لكنها تعمل فينا!

بإمكاننا أن نتكلّم وفقًا لمعايير الله وطبقًا لتصميمه لأنه يعيش فينا بقوة عظيمة وفعالة.

حُكم الفداء الشخصي

إن الكلمة الأخيرة التي يمكن أن نلخص بها المصادر التي أُعطيت لنا في المسيح هي **الحُكم**. فبولس يقول «**وَأَخْضَعَ كُلَّ شَيْءٍ تَحْتَ قَدَمَيْهِ، وَإِيَّاهُ جَعَلَ رَأْسًا فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ لِلْكَنِيسَةِ، الَّتِي هِيَ جَسَدُهُ**» (أفسس ١: ٢٢-٢٣).

لن يمكن أن نمر بموقف لا يخضع لسيطرة المسيح، فإن حياتنا ليست خارجة عن السيطرة، فإن المسيح يدبرها بعناية لأجل مصلحتنا ولأجل مجده. الفكرة في سلطان وحكم المسيح مكانها الصحيح يكمن في محادثاتنا والتي دائمًا ما تنتهي على ما لا يرام، فدائمًا تُظهر كلماتنا محاولاتنا للتحكم في الأمور من أجل مصالحنا. فنحن نتحرك بدافع من مشاعرنا الشخصية لما نريده أو ما نعتقد أنه جيد، لذلك نتحدث بطريقة تضمن تحقيق ذلك، فنقوم بالدفاع أو الاتهام أو إلحاق الذنب أو المناورة أو التبرير أو الجدال أو التملق أو التسول أو التضرع أو التهديد، كل هذا نفعله بدافع التحكم في شخص أو في موقف. وفي بعض الأحيان نفعل هذا بدافع الخوف، ففي أوقات تبدو حياتنا وكأنها حقًّا خارج السيطرة، ويبدو أحيانًا أن من حولنا يقفون في الطريق الأفضل لنا، ويبدو لنا من الصواب أن نسيطر على الأمور، لأنه لو لم نفعل ماذا سيحدث؟ ولكن الأحاديث

التي يقودها الخوف تغفل واحدة من أغلى مواعيد الإنجيل: أن المسيح الآن، في هذه اللحظة يحكم الأمور لأجل صالحنا نحن بالأخص كأولاد له، قد لا أرى طوال الوقت يده وقد لا أدرك طوال الوقت الصالح الذي يصنعه، لكنه لا يزال يعمل ولا يزال يتحكم. إن المحادثات التي مغزاها هو إيجاد أمان شخصي عن طريق تولي السيطرة دائمًا تنسى واحدة من أجمل المواد في الإنجيل، وهي أن الله يتولى السيطرة في كل الأمور من أجل أولاده. بمعنى آخر أن كلماتنا دائمًا تكشف أننا لا نثق بالكامل في الرب بمحاولتنا أن نقوم بدوره. فنحن نحاول بكلماتنا أن نقوم بما يجب أن يفعله هو فقط، وعندما نفعل هذا فإننا نفشل ونجرح أنفسنا ونجرح من حولنا.

على سبيل المثال، لا يجب أن يقلق الوالد على أولاده كثيرًا لدرجة أنه يستخدم الكلمات ليفعل ما يجب أن يحققه الله بالنعمة: «لو كان هذا الأمر هو آخر ما سأفعله، فسأجعلك تحترمني» (تهديد)، «فكر في كل المجهود الذي نقوم به، وفكر في كل الأموال التي أنفقناها، وفكر في كل الوقت الذي استثمرناه، هل هذا هو الشكر الذي نحصل عليه؟» (الذنب) ،»هل تتذكر السيارة التي طلبتها في عيد ميلادك، إن قمت بـ...، فلا تدري وقتها قد تجد المفاتيح في يدك» (مناورة). في كل من الأمثلة السابقة فإن المتحدث يحاول تغيير قلب طفله بنوع من الأدوات اللفظية.

لكن المحاولات اللفظية للتحكم لا تنبع دائمًا من دافع الخوف، لكن غالبًا تنبع من الكبرياء، إننا كخطاة نميل لأن نكون أنانيين، ونميل

للصراع مع الاكتفاء وندخل في جميع المواقف مملوءين برغباتنا الذاتية. فعندما أصحو من النوم، عادةً يكون أول شخص أفكر فيه هو أنا! فأنا بالفعل مملوء برغباتي الشخصية وأكرر على مسمعي كيف أود أن يكون يومي، وعندما يرن تليفون مكتبي، دائمًا أفكر في داخلي ماذا الآن؟، خائفًا من أن يكون هناك شخص سيغيّر خططي، وعندما أقود السيارة عائدًا لمنزلي، فإنني أحلم بداخلي كيف ستكون هذه الأمسية، وأفكر في الكوارث التي أحضرها الآخرون للمنزل لتدمر أحلامي. إن كلماتنا دائمًا توضح لنا كيف أننا نُركز على ذواتنا بالكامل وكيف أننا مصممين على أن نأخذ ما نود من الآخرين.

« ألا يمكنني الحصول على ليلة واحدة بسلام!» هكذا قال الأب صارخًا في وجه ابنه الذي يطلب منه المساعدة في مشروعه الذي سيستغرق طوال الليل. «أنا لا أعتقد أنك تحبني بالفعل» هكذا قالت الزوجة لزوجها وهو يهرع خارجًا من الباب، وهو قد تأخر بالفعل وغاضب وأيضًا أصبح محبطًا الآن، وكلماتها هنا أنانية وليست مناسبة للزمن وكذلك غير متوافقة مع احتياجات زوجها. «لو لم أكن أعيش في ذلك المنزل لكانت نصف مشاكلي قد اختفت!» هكذا قال المراهق بأنين عندما تمت مواجهته حول سلوكه والسيئ وبسبب انسياقه خلف ما يريد فهو يرد الضربة لوالديه الذين بالنسبة له عائقًا في طريقه.

إن الكتاب المقدّس يتحدث أيضًا حول هذا الصراع، فإن المسيح يدعونا لخطة أسمى من سعادتنا الشخصية، فإن المسيح يحكم في كل شيء لصالحنا، لكن حكمه لم يتم تأسيسه حتى نكون سعداء،

لقد دُعينا لنخضع للمسيح حتى نكون مقدّسين وقداستنا وقتها ستجعله مُمجدًا. إن الكلمة جاءت لعالمنا وجلبت لنا سيطرة مُمجدة وشاملة وأمينة ومُخلصة. وكلماتنا يجب أن تنبع من الراحة التي وجناها في قيادته.

إن مصادر المسيح هي رجائنا الوحيد أن نتكلم وفقًا لمقاييس الله وطبقًا لتصميمه، ففي الكلمة نجد رجاء حين يبدو الوضع ميئوسًا منه، ونجد الغنى حين نشعر بالفقر، ونجد القوة حين نشعر بالضعف، ونجد قيادة حين نجد أن الأمور حولنا خارج السيطرة.

كلامنا في ضوء الإنجيل:

إن الأحاديث السليمة لجسد المسيح في المنزل والكنيسة والعمل يجب أن تنبع من الحقائق المجيدة التي في الإنجيل، إن الكلمة قد أتت وجلبت معها كل ما نحتاج لنعيش حياة مليئة بالكلام الإلهي، وبسبب أنه جاء فإن لنا رجاء أن تتبع كلماتنا مثال المتكلم الأعظم بدلًا من المخادع الأعظم. لقد أتى المسيح ليحررنا من تدمير السقوط المريع، الذي بسببه أصبحت عطية التواصل الرائعة عالم بشع من المشاكل، إن المسيح أتى ليهذب ما لن يستطيع الإنسان تهذيبه أبدًا، لقد أتى وليستخدم من أجل أهدافه ما لا يبدو أنه نافع، لقد أتى ليمنحنا غنى مجيد وقوة لا تقارن حتى يُمكن لألسنتنا أن تُستخدم كأدوات الحق الخاص به.

إن عالم كلماتنا لا ينبغي أن يكون عالم من المشاكل بسبب اعتمادنا على هذه الحقيقة الوحيدة: إن الكلمة قد جاءت.

على المستوى الشخصي:

المسيح وكلامك:

اختبر كلامك مع الآخرين هذا الأسبوع، هل هو مبني على الأسس الراسخة التي أوجدها لنا المسيح؟ على سبيل المثال:

هل تعترف أنك غير قادر وتطلب معونة الرب قبل الخوض في أحاديث هامة؟

في علاقاتك الأساسية، هل تسعى أن تحقق بكلماتك ما يستطيع فقط أن يفعله الرب بنعمته وقوته؟

هل تقع فريسة لليأس وإما أن تستسلم للصمت في وقت تكون كلماتك فيه لازمة أو أنك تخوض أنماطًا من الكلام الخاطئ؟

هل تعترف أن لديك ضعف في التواصل وتدرك المواضيع المتكررة وتعترف لله ولمن قمت بإهانتهم وتتعهد بأنماط جديدة للكلام؟ (كل هذا يعتمد على تعانقك مع وعد الله القائل «قوتي في الضعف تكمل»)

هل تستطيع بتواضع أن تفكر فيما يشير إليه الآخرون من خطايا في كلامك؟ أم إنك تنكر أو تبرر أو تقلب الطاولة أو تحول اللوم عنك أو تنحصر في فشلك؟

هل تشكر الرب يوميًا من أجل وصاياه والتي تعطيك رجاء لتتحدث بطريقة تبارك بها الآخرين وتمجده؟

أقرأ أفسس ١: ١٥-٢٣، واطلب من الرب أن يفتح عينيك حتى ترى المكاسب المجيدة بسبب عمل المسيح والرجاء الذي يقدمه لك. واطلب منه أن يُظهر لك المواضع التي تحتاج لتغيير وتحرك في ذلك بالإيمان.

وأخيرًا استقر في الحقيقة التي يقول عنها يوحنا في حديثه عن الكلمة: «**وَمِنْ مِلْئِهِ نَحْنُ جَمِيعًا أَخَذْنَا، وَنِعْمَةً فَوْقَ نِعْمَةٍ**» وصدق أن سيل نعمته المتدفق دائمًا يستطيع أن يغيّر جذريًا عالم الكلام الخاص بك.

الفصل الرابع

الكلمات الوثنية

«مِنْ أَيْنَ الْحُرُوبُ وَالْخُصُومَاتُ بَيْنَكُمْ؟
أَلَيْسَتْ مِنْ هُنَا: مِنْ لَذَّاتِكُمُ الْمُحَارِبَةِ فِي أَعْضَائِكُمْ؟
تَشْتَهُونَ وَلَسْتُمْ تَمْتَلِكُونَ. تَقْتُلُونَ وَتَحْسِدُونَ»
(يعقوب ٤ :١–٢).

تخيل معي أنه في صباح يوم من أيام الأسبوع وها أنا جالسُ بمكتبي أفكر في زوجتي العزيزة، وقد أدركت كم أنني مُبارك بزواجي من هذا الشخص لسنوات عديدة، وأخذت أتأمل في حقيقة أنني عرضت عليها الزواج عندما كنت في السابعة عشر من عمري! وأدركت أنه لم يكن لدى النضوج الكافي لأخذ قرار مهم مثل هذا وكيف أن زواجي اليوم هو شهادة عن نعمة الله ومحبته.

وأنا أجلس في مكتبي أيضًا فكرت في صعوبة أن أقضىَ أنا و»لولا« وقتًا بمفردنا سويًا، فلدينا أربعة أولاد لا يزالون يعيشون بالمنزل معنا: ولدان يذهبان إلى الجامعة في المدينة، ابنة بالثانوية، وابن بالإعدادية. ولست بحاجةُ أن أقول، أنه لا يوجد الكثير من الهدوء في جميع أنحاء المنزل! والأمر شبه مستحيل أن يكون هناك يوم يذهب فيه الأولاد للنوم ونقضى وقتًا سويًا، فأولادنا دائمًا مستيقظين حين نذهب

نحن للنوم، في الواقع، يوقظوني عادة عندما أغفو وأنا مُغطى بالجرائد ويطلبون مني أن أُنهي يومي، ومثل أبي من قبلي أدّعي بشكل عفوي أنني لم أكن نائمًا. لكن مؤخرًا أصبح ابني يجيب بأنه يعرفَ أنني كنت نائمًا بسبب اللعاب السائل على الجرائد!

على أي حال، فبينما أنا أفكر في «لولا» وأشكر الله من أجلها وأتحسر بسبب ضغوط الحياة الأسرية التي تبعدنا عن بعض، قررت أن أفاجئها في تلك الليلة بالعشاء في مطعم من اختيارها. وتحمست للفكرة وعلمت أنها أيضًا ستتحمس! وعند اقتراب حلول استراحة الغذاء سأذهب إلى المركز التجاري المحلي لشراء العطر المفضل إليها كتعبير عن حبي لها.

وكلما مر وقت الظهر، تأخذني الآمال لنزهة الليلة مع زوجتي. أحلم أحلام يقظة عن المساء ليأتي. في ذهني أنني أراه بهذه الطريقة: أقود السيارة إلى المنزل، أصعد السلالم، أفتح الباب الأمامي، وأجد «لولا» تنتظرني. وهي تقول، «بول، أنت بالمنزل أخيرًا! لقد كنت أنتظرك، فأنا أتشوق بشدة لمجيئك للمنزل كل مساء.» (تستطيع أن ترى لمن تكون هذه الخيالات!) وأنا أجبت، «قضيت يومي كله أفكر في كم أحبك، وكم أنعم الله عليّ بأن تكوني زوجتي. ولديّ فكرة رائعة. هيا نذهب لنأكل الليلة، فقط نحن الاثنان ـــ وأنتِ اختاري المطعم.» هي تقول، «معظم النساء التي أعرفها تود أن تتزوج برجل مثل هذا!»، «أوه!، أنا لديّ مفاجئة أخرى،» وقلت بينما أخرج

العطر من جيبي. «لقد اشتريت لك عطرك المفضل!»، أجابت «نعمة فوق نعمة، أكثر مما أستطيع أن احتويه!» «سأصعد للتو لأستعد. لا أستطيع التفكير في شيء غير قضاء الليلة معك.» تذهب فترة العصر كلما استحضر ذهني المفاجأة القادمة لزوجتي.

الآن تخيل معي أن اليوم انتهى بالفعل وأنا في طريقي للبيت. وفي هذا الوقت أصبحت مفتون للغاية بفكرة الخروج الليلة مع «لولا»، ومقتنع تمامًا أنها ستفكر أنها فكرةَ رائعة كذلك، وكنت أغني في طريقي للبيت، ولا أتذكر الإشارات المرورية التي توقفت عندها أو المنعطفات التي أخذتها. وأوقفت السيارة أمام المنزل، وصعدت السلالم، وفتحت الباب ـــ لكن لم يكن هناك أي شخص! ولكن ما زال حماسي كاملًا.

ثم ذهبت إلى غرفة الطعام عندما سمعت أصواتًا تأتي من المطبخ. ولم تكن أصواتًا سعيدة، ففي المطبخ وجدت «لولا» تقف بين اثنين من الصبية الأكبر سنًا، تُحكّم في شجار. وفي خضم حماستي، لم أنتظر أن ينتهيَ الأمرُ. وقلت للتو بدون تفكير، ««لولا»، لديّ فكرة رائعة!» ولم يكن أحد يلاحظ أنني دخلت الغرفة من الأصل. وها أنا أقول إعلاني مجددًا دون تفكير وفي هذا الوقت أجابت «لولا»: «هل قلت شيئًا ما؟»، «نعم،» قلت بإثارة «لقد كنت أفكر بك طوال اليوم ولدى فكرة رائعة. دعينا نخرج لنتعشى الليلة، فقط أنا وأنتِ. أنتِ اختاري المطعم وأنا سأحجز أثناء استعدادك للخروج»

نظرت إليّ للحظة وأجابت بتنهد، وهذه لم تكن علامة جيدة. فقلت «ربما لم تفهمي ما أقصد» وحاولت مجددًا. « أنا أريد أن نقضي ليلة خاصة بمطعمك المفضل، فقط أنا وأنتِ.» تنهدت «لولا» مجددًا (الأمور لا تبدو جيدة على الإطلاق!) وبعدها بدأت تتكلم. «هل تعرف كيف كان يومي؟» أنا أشعر أنني كنت مفوض السلام الوحيد في منتصف الحرب العالمية الثالثة. أنا منهكة تمامًا جسديًا وذهنيًا. وفكرة أن أتزينَ وأذهبَ إلى مطعم فاخر لا تبدو جذابة على الإطلاق. أنني أقدر أنك فكرت فيّ وأنك تحبُني، لكن لديّ فكرة أفضل، لما لا تأخذ المال الذي كنت ستصرفه في المطعم الفاخر وتأخذ الأولاد لشراء البيتزا أو أي شيء آخر؟ يمكنك أن تخرج الليلة مع الأولاد وأنا سآخذ حمامًا طويلًا ساخنًا وأذهب للنوم مبكرًا»

بكل بصعوبة أستطعت أن أصدق ما أسمعه، مُجيبًا «إن الله أنعم عليكِ بزوج يحبك، زوج يفكر فيكِ، ويريد حقًا أن يكون معكِ، وبهذا تجيبين؟! بالتأكيد، فكرة الاستحمام رائعة بالنسبة لكِ، لكن ماذا عني؟ هل تعلمين ماذا يحدث للنعم التي يهبنا الله لها عندما لا نحسن استخدامها؟ هل تعلمين كمّ النساء اللاتي يرغبن الزواج من رجل مثلي؟ نحن لن نحصل أبدًا على العلاقة التي يريدها الله لنا إن لم نلتزم سويًا أن نعملَ على إنجاحها! يبدو أن هناكَ شيئًا واحدًا فقط مشترك بيننا: أنا أهتم بنفسك وأنتِ تهتمين بنفسك أيضًا! وبالتأكيد سأذهب مع الأولاد إذا كان هذا ما تريدين! سوف نقضي وقتنا، وربما نذهب للحصول على بيتزا من «أوهايو!» (نحن نعيش في فيلادلفيا!)

«استمتعي بنفسك وانتقعي حتى يتجعّد جلدك ــ وبالمناسبة ثبتي هذه في الماء،» قلت هذا بينما أخرج زجاجة العطر. «لكن من الأفضل أن تفكريَ في علاقتنا ولأي مدى أنتِ حقًا ملتزمة بها.»

هذا و(لحسن الحظ) كان موقف خيالي اعتيادي لمعظمنا، ما الخطأ الذي حدث؟ وكيف بدأت الفكرة بشكر لله وحب لزوجتي وانتهت بهذا الغضب والاتهام؟ كيف أصبح الشخص الذي كان محور حبّي وتقديري هدفًا لغضب مثل هذا؟ ما الذي أطلق العنان لتدفق اللوم، والتلاعب بإلقاء اللوم، والبر الذاتي، والاتهام؟ إنه من السهل ملاحظة أن المشكلة هنا ليست أساليب التواصل فقط، فأنا لم أعاني من أن أجعل نفسي مسموعًا وكذلك أن أستخدم الكلمات لأوضح وجهة نظري! لكن هناك شيئًا أعمق يحدث، دعني أقولها في جملة وبعد ذلك أوضحها. المشكلة في كلماتي هي إنها كلمات وثنية. لا، إن النطق ليس خطأً. كثير من مشكلات تواصلنا تحدث لأننا نتكلم بكلمات وثنية.

الجذور والثمر

لنفهم ما أقصده، دعنا ننظر إلى فقرتين، ولنبدأ بكلمات المسيح في لوقا ٦ : ٤٣-٤٦:

«لأَنَّهُ مَا مِنْ شَجَرَةٍ جَيِّدَةٍ تُثْمِرُ ثَمَرًا رَدِيًّا، وَلاَ شَجَرَةٍ رَدِيَّةٍ تُثْمِرُ ثَمَرًا جَيِّدًا. لأَنَّ كُلَّ شَجَرَةٍ تُعْرَفُ مِنْ ثَمَرِهَا. فَإِنَّهُمْ لاَ يَجْتَنُونَ مِنَ الشَّوْكِ تِينًا، وَلاَ يَقْطِفُونَ مِنَ الْعُلَّيْقِ عِنَبًا. اَلإِنْسَانُ الصَّالِحُ

مِنْ كَنْزِ قَلْبِهِ الصَّالِحِ يُخْرِجُ الصَّلاَحَ، وَالإِنْسَانُ الشِّرِّيرُ مِنْ كَنْزِ قَلْبِهِ الشِّرِّيرِ يُخْرِجُ الشَّرَّ. فَإِنَّهُ مِنْ فَضْلَةِ الْقَلْبِ يَتَكَلَّمُ فَمُهُ.»

إن يسوع يستخدم تشبيهًا مألوفًا لنا جميعًا، وهو الشجرة. فهناك ترابط عضوي بين جذور الشجرة والثمر الذي تنتجه. وهذه هي الحقيقة التي تحدث مع كلماتنا، فهي ثمر لجذور من المشاكل الموجودة في قلوبنا. مشكلات الكلام ترتبط دائمًا بمشكلات القلب، لذلك لن نحل مشكلات التواصل بمعالجة كلماتنا فقط، وذلك مثل عدم استطاعتنا حل مشكلة إنتاج الثمر من الشجرة من خلال التعامل مع الثمر فقط. فإذا كانت الشجرة لا تنتج ثمرًا جيدًا، فإذًا هناك مشكلة بنظام الشجرة نفسها ويمتد إلى أعماق جذورها.

إن مَثَل يسوع العبقري يكشف أن شكل كلماتنا وطريقة التحكم بها يكون من خلال أفكار ودوافع قلوبنا. وإنه من المغري جدًا أن تلوم الآخرين («هي من جعلتني أغضب جدًا» أو «لقد ضغط على كل مفاتيحي») أو تلوم الظروف من حولك («أنا فقط لم يكن لديّ وقت لأجلس وأقرر بهدوء،» أو «مع أربعة أولاد بالمنزل يتحدثون بنفس الوقت، الجواب اللين لا يجدي»). لقد قال المسيح عن كلمات الشخصُ «مِنْ فَضْلَةِ الْقَلْبِ يَتَكَلَّمُ اَلْفَمّ». وفي القصة التي بدأت بها هذا الفصل، كان من المغري أن ألوم «لولا» على أنانيتي، وغضبي، وكلمات إلقاء الذنب. وأردت أن أقول أنني غاضب بسبب كونها أنانية، لكن المسيح كان ليقول لا أن «لولا» ليست سبب كلماتي، لكنها كانت ببساطة

الفرصة المناسبة، والدافع لقلبي ليعبر عن نفسه. ولقد كانت كلماتي تعبر عن شهوة قلبي الحقيقية.

إذا كنا نريد أن نفهمَ مشاكلنا مع الكلمات، يجب أن نبدأ أولاً بالقلب، فألسنتنا لا تهدأ من الشر بسبب أن «**اَلْقَلْبُ أَخْدَعُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ نَجِيسٌ، مَنْ يَعْرِفُهُ؟**» (إرميا ١٧: ٩). إن مشكلات الكلام تكشف مشكلات القلب. والناس والظروف حولنا لا تجعلنا نقول ما نقوله؛ إنما هم فقط الفرصة المناسبة التي تسنح لقلوبنا أن تعبر عما بداخلها في شكل كلمات.

إن «سو» و«جيم» يوضحان هذه المشكلة، فعندما كانا يحدقان لبعض بغضب في مكتبي، قفزا مرة أخرى لأخذ السيطرة على المحادثة التي تحولت من سرد بسيط للأسبوع إلى وابل كامل من الاتهامات. وهذا يبدو أنه يحدث عند كل مرة يحاولان أن يتحدثا. فهل لديهما بالفعل مشكلات جادة بالتواصل؟ نعم! هل هناك مبادئ كتابية كثيرة تخص محادثتهما سويًا؟ بالتأكيد! لكن عدم قدرتهما للحصول على محادثة سليمة وبمحبة وانضباط وبمنفعة مشتركة يكشف بقوة جذور مشكلتهما. وحتى يواجها ما في قلوبهما، لن يستطيعا أن يبقيا في داخل حدود الله في التواصل.

إنني أتذكر بوضوح يوم ما قالت «سو» لـ «جيم»: «لسنوات طويلة كنت ألومك بسبب عدم قدرتنا على التحدث. لقد اشتكيت إلى أصدقائي مدى صعوبة التعامل معك. لكن اللهُ بيّنَ لي هذا

الأسبوع أنني لدى مرارة تجاهك لعدة سنوات، وقد احتفظت بسجل لأخطائك ونظرت بعين ناقدة لكل شيء تقوم بفعله. ولقد صدمت اليوم بأنه كلما واصلت في كراهيتك في قلبي، فلن أستطيع أن أحبّك بفمي.» هذه البصيرة من الله جعلت «جيم» يعترف بنفس خطايا قلبه. وفي اعترافاتهما المتبادلة، فإن «جيم» و«سو» قد وضعا الأساس لتغيير دائم في تواصلهما.

مشكلة الكلمات التي ظهرت في حديثي لزوجتي في القصة الافتتاحية لهذا الفصل أنها كانت كلمات وثنية. والتي كشفت حقيقة الحب الذي يسيطر على قلبي، وإنه ليس «لولا» — لقد كان أنا! فالقلب المحب للأوثان ينتج كلمات وثنية.

الشهوات المتسلّطة

ما هي الشهوات المتسلطة؟ من الممكن أن نتعلم أكثر عن ذلك في يعقوب ٤: ١-١٠

«مِنْ أَيْنَ الْحُرُوبُ وَالْخُصُومَاتُ بَيْنَكُمْ؟ أَلَيْسَتْ مِنْ هُنَا: مِنْ لَذَّاتِكُمُ الْمُحَارِبَةِ فِي أَعْضَائِكُمْ؟ تَشْتَهُونَ وَلَسْتُمْ تَمْتَلِكُونَ. تَقْتُلُونَ وَتَحْسِدُونَ وَلَسْتُمْ تَقْدِرُونَ أَنْ تَنَالُوا. تُخَاصِمُونَ وَتُحَارِبُونَ وَلَسْتُمْ تَمْتَلِكُونَ، لأَنَّكُمْ لاَ تَطْلُبُونَ. تَطْلُبُونَ وَلَسْتُمْ تَأْخُذُونَ، لأَنَّكُمْ تَطْلُبُونَ رَدِيًّا لِكَيْ تُنْفِقُوا فِي لَذَّاتِكُمْ.

أَيُّهَا الزُّنَاةُ وَالزَّوَانِي، أَمَا تَعْلَمُونَ أَنَّ مَحَبَّةَ الْعَالَمِ عَدَاوَةٌ ِللهِ؟ فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ مُحِبًّا لِلْعَالَمِ، فَقَدْ صَارَ عَدُوًّا ِللهِ. أَمْ تَظُنُّونَ أَنَّ الْكِتَابَ

يَقُولُ بَاطِلاً: الرُّوحُ الَّذِي حَلَّ فِينَا يَشْتَاقُ إِلَى الْحَسَدِ؟ وَلكِنَّهُ يُعْطِي نِعْمَةً أَعْظَمَ. لِذلِكَ يَقُولُ: «يُقَاوِمُ اللهُ الْمُسْتَكْبِرِينَ، وَأَمَّا الْمُتَوَاضِعُونَ فَيُعْطِيهِمْ نِعْمَةً».

فَاخْضَعُوا ِللهِ. قَاوِمُوا إِبْلِيسَ فَيَهْرُبَ مِنْكُمْ. اِقْتَرِبُوا إِلَى اللهِ فَيَقْتَرِبَ إِلَيْكُمْ. نَقُّوا أَيْدِيَكُمْ أَيُّهَا الْخُطَاةُ، وَطَهِّرُوا قُلُوبَكُمْ يَا ذَوِي الرَّأْيَيْنِ. اكْتَئِبُوا وَنُوحُوا وَابْكُوا. لِيَتَحَوَّلْ ضَحِكُكُمْ إِلَى نَوْحٍ، وَفَرَحُكُمْ إِلَى غَمٍّ. اتَّضِعُوا قُدَّامَ الرَّبِّ فَيَرْفَعَكُمْ.»

عندما تسأل يعقوب لماذا نتكلّم كلمات الخصام، أو لماذا نبدو أفضل في صنع الصراعات عن صنع السلام، هو لم يجيب عن هذا التساؤل بهذه الطريقة: «**مِنْ أَيْنَ الْحُرُوبُ وَالْخُصُومَاتُ بَيْنَكُمْ؟ أَلَيْسَتْ مِنْ هُنَا: إنها بسبب نقص المهارات في حل الصراعات؟** أنتم تريدون أن تتجنبوا الصراعات، لكنكم لم تتعلّموا الاستراتيجيات والتقنيات لتنجحوا في ذلك» لكن نجد يعقوب يتجه إلى اتجاه مختلف جذريًا. لقد وجهنا لاختبار شهوات قلوبنا. فما أقوله مرتبط مباشرة بما أريد. وكلماتي هي واحدة من الوسائل التي استخدمها لأحصل على ما هو مهم لديّ.

لننظر مجددًا إلى الكلمات المحددة في هذه الفكرة. يقول يعقوب «**أَلَيْسَتْ[الْحُرُوبُ وَالْخُصُومَاتُ] مِنْ هُنَا: مِنْ لَذَّاتِكُمُ الْمُحَارِبَةِ فِي أَعْضَائِكُمْ؟ ؟ تَشْتَهُونَ وَلَسْتُمْ تَمْتَلِكُونَ.**» فبالنسبة ليعقوب، تأتي الْخُصُومَاتُ بسبب معركة الشهوات في قلوبنا. إذًا الآن، نحن نحتاج أن نكون حذرين هنا. فيعقوب لم يقل أنه من الخطأ أن نرغب في أمر

ما. فإن توقفت عن الرغبات، فمعناها أنك توفيت! فنحن دائمًا نشتهي شيئًا ما. لاحظ أيضًا أن يعقوب لم يقل أن المشكلةَ هي أن الرغبات شريرة، أو أننا نشتهي أشياء سيئة منهم ولهم.

فكر مجددًا في قصتي حين رغبت في قضاء المساء مع زوجتي. المشكلة ليست أنني أشتهيها. هذه الشهوة طبيعية، وصالحة، وصحية. ليست المشكلة أنني لديّ نوع من الشهوة الشريرة تجاه زوجتي. في الأساس شهوتي في أن أكون معها نبعت من قلب مليء بالتقدير لها والشكر لله. ويعقوب لم يقل أنه من الخطأ أن تشتهي أو أن المشكلة أنك تشتهي أشياء سيئة. فما المشكلة إذًا؟

الإجابة موجودة بهذه العبارة المهمة: «**إنها تأتي من شهواتك الْمُحَارِبَةِ فِي داخلك**.» هناك صراع يجري بداخل قلوبنا، صراع للتحكم. يقول يعقوب أنه عندما تأتي مجموعة محددة من الشهوات لتتصارع في «حلبة» قلوبنا، فإنها ستؤثر على الطريقة التي نتعامل بها مع الناس من حولنا. وأي أن كانت الضوابط التي تحكم قلوبنا ستتحكم في كلماتنا. وفي الواقع، يمكنك أن تجادلني في حالة إن كانت هناك شهوة معينة تتحكم في قلبي، فهناك طريقتان فقط أستطيع الرد بهما عليك، فإن ساعدتني للحصول على ما أريد، سأستمتع وأقدرك. لكن لو وقفت بطريقي، فسوف أشعر (وربما أعبر) عن غضب عندما تكون متواجد حولي. فأنا أريد شيئًا ما، لكن بسببك لم أستطع الحصول عليه، لذلك سأخاصم وأحارب!

في قصتنا هناك شيء مهم جدًا حدث لي خلال اليوم. فشهوة صالحة لقضاء وقت مع زوجتي شننت صراع بقلبي حتى أخذت السيطرة. والشهوات الشخصية تحارب من أجل السلطة التي ينبغي أن يأخذها الله وحده على قلبي. وعندما لا يعد يتحكم الله فعليًا في قلبي، فالشهوة تحولني لشخصية جديدة. وبوقت وصولي للمنزل، فإن الشهوة التي تحرّكني لم تعد تعبيرًا عن حبي لــ «لولا» وعبادة لله، بل قد أصبحت تعبيرًا عن حبي لذاتي. ولم أعد أبحث عن طريقة لجعل «لولا» تتواصل مع حبي وتقديري لها. إنما، أريد أن أسيطر عليها في المساء من أجل سعادتي الشخصية! المشكلة هي أنني لم أدرك أن الشهوة الأساسية «تحولت» إلى شيئًا آخر مختلف تمامًا.

إذا كنت فعلاً أتحرك بمحبة تجاه «لولا»، لكانت لديّ فرصة عظيمة لأعبّر لها عن هذا الحب بإعطائها ليلة هادئة من الاسترخاء. ولكانت لديّ الفرصة الرائعة أن أخدم الله من خلال تعليم أولادي، على سبيل المثال، أن يجدوا طريقة لحب قريبهم مثل أنفسهم. لكنني لم أعد أسعي للتعبير عن حبي وتقديري لــ «لولا.» إنني أريدها لنفسي ولن أدعها تقول لا. الشهوة أصبحت تطلب. وفي هذه اللحظة أخذت وبشكل فعّال مكان الله كمتحكم في قلبي. والإنجيل يدعو هذا صنمًا. وعبادة الأوثان هي أن يكون أي شيء آخر غير الله متسلط على قلبي أو مسيطر عليه.

وهذا يحدث لنا أكثر مما قد نتخيل. فالشهوة للنجاح في العمل أصبحت مطلب للتقدير من المدير. والشهوة للحصول على مال

كاف لدفع الفواتير تحولت إلى شهوة للثراء. والشهوة لأن تكون أب صالح أصبحت شهوة لأن يكون لديّ أولادًا يجمّلون سمعتي. والشهوة للصداقة أصبحت مطلبًا لأكون مقبولًا وعندما لا أكون كذلك أصبح غاضبًا. ما هي المرة الوحيدة التي جعلت فيها شهوة صالحة تأخذ السيطرة، ومتى حدث ذلك، فالشهوة التي تحركني في الأساس تتحول إلى شيئًا آخر مختلف تمامًا. وبدلاً من أن أتحرك بمحبة الله وأقربائي، فأنا أتحرك باحثًا عما يجعلني سعيدًا، وأغضب من أي شخص يقف في طريقي.

رفع مستوى الشهوة

القلب الوثني يُنتج كلمات وثنية، والكلمات تخدم الوثن الذي يتسلط علينا. ومن الصعب أن نتحكم في شهواتنا بحرية، إنما هي التي تسيطر علينا، إن مستوى شهواتنا يميل إلى الارتفاع لمرحلة لا يمكن أن تتحقق أبدًا. وهنا ما يحدث: فالشهوة تصارع لأخذ السيطرة حتى تصبح مطلبًا، ثم يتم التعبير عن المطلب (وعادة يُمارس ذلك) كاحتياج. («أنا احتاج العلاقة الجنسية.» «أنا احتاج الاحترام.») وشعوري بالاحتياج يحدد توقعاتي، وعندما لا تتحقق توقعاتي تؤدي إلى خيبة أمل، وخيبة الأمل تؤدي إلى نوع من المعاقبة. «أنت تريد شيئًا ما، لكن لا تستطيع أن تحصل عليه، أنت تخاصم وتصارع.» لذلك عندما يقول يعقوب، «**أَيُّهَا الزُّنَاةُ وَالزَّوَانِي**» هو لم يغير الموضوع، إنه يقول شيء واضح جدًا، فالزنا يحدث حين أعطي المحبة التي

وعدت بها شخصًا ما إلى آخر. والزنا الروحي يحدث عندما أعطي المحبة المنتمية لله إلى شيئًا أو شخصًا آخر. فيعقوب يقول أن الصراع الإنساني متأصل من الزنا الروحي! وهذا ما حدث في قلبي وأنا أخطط لذلك المساء. إن هذا تفكير خطير! فنحن لن نحل مشكلة الكلمات الغاضبة الخاصة بنا حتى نعالج بوداعة الزنا وعبادة الأوثان التي بقلوبنا.

لقد رفع يعقوب المستوى أكثر مما كان عليها الأمر، وربما لا يبدو هذا مريحًا، لكن بقيامه بذلك فهو يُظهر لنا الحل الوحيد الذي يصل بنا حقًا لأساس المشكلة. إن وعد الإنجيل يمتد لأعمق من التقنيات والاستراتيجيات الجديدة. إنه يسعى لأكثر من هدوء مؤقت في عاصفة الكلام. والإنجيل لم يعد بشيء أقل من قلب جديد، الذي لا يعود يُستعبد لعواطف وشهوات الطبيعة الخاطئة. لذلك بالنسبة لـ «جيم» و«سو»، ولـ «بول» و»لولا»، أصبح هناك رجاء لتغيير حقيقي يدوم.

كيف يبدأ هذا التغيير؟ نحن بحاجة لنلاحظ كلمات يعقوب مجددًا عندما يقول، «**فَاخْضَعُوا لِلهِ.**» التغيير يبدأ من مستوى القلب. ويجب أن نعترفَ بالأصنام التي أخذت مكان الله ونحول قلوبنا له مرة أخرى حتى تعكس كلماتنا قلب فقط يسيطر الله عليه، فبالنسبة ليعقوب، هذا التغيير يُرى على مستويين، فيجب أن «**نغسل أيدينا**» تعبيرًا عن أنه يجبَ أن يكونَ هناك تغيير في سلوكنا والكلمات التي ننطقها والطريقة التي ننطق بها، فكل هذه الأشياء مهمة عندما نفعلها، لكنها ليست كافية. فيعقوب أيضا يقول، «**وَطَهِّرُوا قُلُوبَكُمْ.**» فالتغيير يجب

أن يشملَ أفكارنا ودوافعنا أيضًا، إننا نحتاج أن نغيّر كليهما فيما يخص المحتوى والطريقة التي نتكلّم بها وما يسيطر بفاعلية على قلوبنا.

المبادلة العظمى

في لحظة وصولي للمطبخ في تلك الأمسية الخيالية، حدث تبادل كبير وبدون أن أدرك، فقد بدلت شكري لله وحبي لزوجتي إلي عبادة لذاتي ولحاجة ملحّة أن تخدمني زوجتي. فلقد دخلت الغرفة غير راغب في قضاء هذا المساء بدون زوجتي. ولم تعد لديّ رغبة تحكّم بسهولة وتُكرم الله، إنما طلب ملح نما فيه الشعور بالحاجة. ولقد توقعت بالتمام أن «لولا» ستدعم فكرتي وستذهب لتستعد سريعًا. وفي مواجهة رفضها، غضبت عليها في الحال وفعلت كل شيء حتى أستطيع أن أجعلها ترضخ لرغباتي. إن الشخص الذي كان هدف حبي أصبح المركز لغضبي. فهي لم تكن السبب في غضبي — لقد نبع من شهوتي الوثنية. ومجددًا هذه الشهوات ليست شريرة في جوهرها، لكنها تصبح كذلك عندما تتحكم الشهوات وتأخذ مكان الله كمتحكم على قلبي. وعلى الرغم من أن كلماتي كانت أنانية، وغاضبة، ومتلاعبة، إلا أن المشكلة الأخطر كانت أنها وثنية.

رومية ١ يناقش الموضوع ليجعله أوضح لنا: «**الَّذِينَ اسْتَبْدَلُوا حَقَّ اللهِ بِالْكَذِبِ، وَاتَّقَوْا وَعَبَدُوا الْمَخْلُوقَ دُونَ الْخَالِقِ، الَّذِي هُوَ مُبَارَكٌ إِلَى الأَبَدِ. آمِينَ.**» (عدد ٢٥)

الكلمة المفتاحية لهذه الفقرة هي «**اسْتَبْدَلُوا.**» هذا أساس ماهية الخطية. ففي قلب كل خاطئ هناك رغبة لاستبدال خدمة وعبادة الخالق، إلي خدمة وعبادة الأشياء المخلوقة. فكل المخلوقات البشرية عابدة؛ القضية هنا ما ومن نعبد. عبادة الأوثان تعطي العبادة التي تنتمي لله إلي جانب من خليقته. وربما تكون الرغبة للحب البشري، والاحترام، والتقدير، أو الاستحسان، ربما يكون شخص معين، مركز، حالة اقتصادية، أو ظروف المعيشة. وليس هناك نهاية للأشياء المخلوقة التي يمكن أن تحل محل الله كهدف لعبادتنا.

إن هناك نزوح مستمر في قلب كل خاطئ عن عبادة وخدمة الله، إلي عبادة وخدمة جانب من الخليقة. ويمكن أن يكونَ نزوحًا مستمرًا مدى الحياة ــــ وهذه السمة للقلب الوثني يمكن أن تلازم الشخص كل الحياة ــ أو يمكن أن تكونَ أكثر تلقائية ولمدى قصير، كما في القصة التي ذكرتها. ففي هذه الحالة، الشهوة تأخذ السيطرة لساعات قليلة، لكن تزال تُلحق الدمار.

وضع التواصل في الدرج الصحيح:

ما يعنينا هنا هو صميم صراع الكلمات. والإنجيل يخبرنا إن أردنا أن نرى تغييرًا يدوم في تواصلنا، فيجب أن نبدأ بداخلنا. وفقط إن عالجنا الأوثان التي في قلوبنا فبإمكاننا أن نتحرر من التكلّم بكلمات وثنية. وكما قلنا في الفصل الأول، الله هو سيد وخالق اللغة الإنسانية. وكل كلماتنا يجب أن تُنطق وفقًا لهدفه ومجده. وفعل أي شيء أقل من هذا يعتبر عبادة أوثان.

هناك قطعة أخيرة من الحكمة الكتابية يمكن أن تساعدنا هنا. عندما حاول الفريسيون إيقاع المسيح في الشرك بسؤالهم له أي وصية هي العظمي في الوصايا. كانت إجابتهُ من أهم الفقرات في كل الكتاب المقدّس (انظر متي ٢٢ : ٣٧-٤٠). المسيح قال يمكنك أن تجمع كل التعاليم الكتابية في جهتان: محبة الله ومحبة الناس، وقال شيئًا آخر مهمًا، هناك ترتيب بحسب الأهمية هنا: فمحبة الله هي أساس لكل شيء أخر. إن لم تحب الله فوق كل شيء آخر، لن تعرف أن تحب قريبك كنفسك. وأي نقص في محبة قريبك، بالكلام أو الفعل، تعكس خللًا في محبتك لله (انظر يوحنا الأولى ٤ :٧-٢١). لهذا السبب يقول يعقوب أن الصراع الإنساني متأصل في الزنا الروحي.

إن كلمات يسوع تكشف واحدة من الأخطاء الأساسية التي تقع فيها الكنيسة عندما تتعامل مع موضوع التواصل. لقد قال المسيح أن هناك دُرجان في خزانة ملفات الله: الدرج الأول تحت عنوان «تحب الله» والدرج الثاني عنوانه «تحب قريبك». كل شيء يُعلّمنا إياه الحق يمكن أن يوضع في إحدى هذين الدُرجين. أخطائنا في التعامل مع قضية التواصل هو أننا نتعامل معها على أنها مشكلة الدرج الثاني. فعندما نتعامل مع مشكلات التواصل في الزواج والأسرة، وفي التربية، والصداقة، والمجتمع، وجسد المسيح، دائمًا ما نتحول في الحال إلي الوصايا والمبادئ الكتابية التي تتحدث عن هذا الموضوع دون ذكر الفقرات التي تتحدث عن القلب قبل المبادئ. وبفعلنا ذلك نُهمل مشكلات القلب التي يجب أن نعالجها

إن كان يجب أن نطيع هذه الفقرات. فالكلمات التي تنطق وفقًا لمقاييس الله وتصميمه تبدأ دائمًا بقلب محب لله فوق كل شيء، وذلك يجعله يرغب في أن يتكلّم إلى قريبه بمحبة.

مشكلة التواصل تخص كل من الدرج الأول والثاني، إذا لم نتعامل مع ما نحبه حقًا، ومع من يتحكم في قلوبنا حقًا، لن نستطيع أبدًا أن نتحدث إلى الآخر بالطريقة التي دعانا لها الله أن نتكلمَ بها. لكن يجب أن نبدأ بالقلب، ولهذا السبب قال المسيح في لوقا ٦، «**فَإِنَّهُ مِنْ فَضْلَةِ الْقَلْبِ يَتَكَلَّمُ فَمُهُ**». وكما قال يعقوب، نحن نصارع ونتخاصم بسبب الشهوات التي تسيطر علينا. كلماتنا طريقة من الطرق التي نسعى بها اكتساب، وتثبيت والحفاظ على المهم بالنسبة لنا، وما نحتاجه حقًا، وما نعيش فعلًا لأجله. وإذا أردنا أن تتحول الكلمات الوثنية إلي كلمات تكرم الله، يجب علينا أن نبدأ باختبار قلوبنا. ما الذي أو من الذي نخدم حقًا؟

ما شعورك وأنت تقرأ هذا؟ ربما تفكر» عظيم يا بول، لقد بدأت بمشكلة واحدة الآن لديّ إثنان! إنني لم أر قط هذا الغضب وكلمات الخصام كشيء ضد الله. هذا فعلاً محبط! لكن لا تيأس، الله لن يكشف قلوبنا مُطلقًا كي يحبطنا. إن تبكيت الله على خطايانا واحدة من أعمق الطرق التي يبين بها محبته لنا. هو ملتزم أن يكمل عمله فينا، ولن يدعنا نعيش بقلوب مستعبدة. فهو يعمل في كل الظروف لنعرف الحرية التي وهبها لنا بموته. فلذلك لم ينزع فقط ثمار خطايانا (الكلمات الخاطئة

لكن أيضًا جذور خطايانا (القلب الوثني). فتبكيت قلوبنا دلالة على إننا أولاده الأعزاء، الذين لم تغفر خطاياهم وحسب، بل إنهم في خضم عملية التحرير منها.

لا تفقد الأمل! فمخلّصك جاء. ويحارب بدلاً عنك في كل موقف، في كل علاقة، وبذلك أنت تستطيع أن تحسم صراع الكلمات.

على المستوى الشخصي:

الوصول للب مشكلات التواصل

بأي طريقة ترغب في أن تلوم مشكلات تواصلك على الظروف التي حولك؟ (في هذا العالم الساقط هناك طرق عديدة لإلقاء اللوم!)

هل ترغب في لوم المناقشات السلبية على الظروف؟

المرور

الوقت

الموارد المالية

الجو

السيارة

العمل

الأسرة

العائلة المقربة

هل ترغب في لوم الآخرين؟

الزوجة

الزوج

الوالدين

المدير

زملاء العمل

جسد المسيح

هل ترغب في لوم الله؟ «لو فقط عندي ...»

مال أكثر

شريك أكثر تفاهمًا

تعليم أفضل

القس / الكنيسة أكثر تفاهمًا

أولاد أكثر طاعة

العائلة الكبيرة أكثر حبًا ودعمًا

أقرباء أفضل

مدير أكثر عقلانية

اختبر قلبك برجاءٍ، وتذكّر «**إِنِ اعْتَرَفْنَا بِخَطَايَانَا فَهُوَ أَمِينٌ وَعَادِلٌ، حَتَّى يَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَيُطَهِّرَنَا مِنْ كُلِّ إِثْمٍ.**» (يوحنا الأولى ١ : ٩)

الجزء الثاني

منهاج جديد لكلامنا!

«فِي كُلِّ طُرُقِكَ اعْرِفْهُ، وَهُوَ يُقَوِّمُ سُبُلَكَ.»
(أمثال ٣ : ٦)

يا الله، قد وقفت
في ظلال الجبال،
عند حافة المحيطات،
تحت امتداد السحب،
تحت الشجر ذو الخشب الأحمر ـــ
وقد علمت عظمتك.
يا رب، قد لمست
أصابع صغيرة،
ريش من الكناري،
بتلات وردة،
ورغوة صابون ـــ
وقد تذكرت لطفك.
يا بابا، لقد عرفت
الصداقة الحقيقية،
أفراح المحبة،
الاهتمام بدون قلق،
الرعاية غير المقيدة ـــ
ولقد تعلمت من صلاحك.
يا الله العظيم، والكريم، والصالح،
اصنع صلاحًا وكَرمًا وأشياء عظيمة اليوم من خلالي،
حتى يعرف الآخرون أكثر عنك،
أنا أصلّي،
في اسم المسيح،
آمين.

الفصل الخامس

هو الملك!

«فَوْقَ كُلِّ رِيَاسَةٍ وَسُلْطَانٍ وَقُوَّةٍ وَسِيَادَةٍ، وَكُلِّ اسْمٍ يُسَمَّى لَيْسَ فِي هذَا الدَّهْرِ فَقَطْ بَلْ فِي الْمُسْتَقْبَلِ أَيْضًا، وَأَخْضَعَ كُلَّ شَيْءٍ تَحْتَ قَدَمَيْهِ، وَإِيَّاهُ جَعَلَ رَأْسًا فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ لِلْكَنِيسَةِ.» (أفسس ١: ٢١ – ٢٢)

هل شعرت من قبل أن عقلكَ مُمتلئ لدرجة أن أي فكرة إضافية ستؤدي لانفجاره؟ لقد شعرت بهذا عندما كنت أقفُ بالحي الفقير في نيودلهي، الهند. لقد كنت هناك لأرى عمل قادة الإرساليات والذين جئت للهند من أجل تدريبهم. إن خبرات الأيام السابقة ملأت ذهني إلى درجة الإرهاق. لقد كانت الشمسُ ساطعَة بوضوح والأولاد يلعبون في الشارع، لكن هذا لم يكن كوطني. فلقد سحقني الفقر المدقع الذي رأيته؛ ولا زال لديّ معاناة في وصف هذا بالقدر الكافي. فلقد غمرت بظلام روحي ــ عظيم جدًا، وعميق جدًا ومنتشر جدًا، وبدا كأنهُ سحابة تغطينا.

لقد رأيت أمهات جائعة يحملن أطفالًا مرضى، وجائعين ومصابون بأمراض الطاعون. لقد رأيت متسولين متقدمين في العمر قضوا لحظات قليلة من حياتهم دون معاناة جسدية أو احتياج. لقد رأيت

أماكن تُدعى منازل وأنا لم أكن لأستخدمها لتخزين جزارة عشب الحديقة. لقد رأيت كاهن شاب، ذكي، وسيم يسجد لصنم خشبي. لقد سمعت معلّم يدافع عن مطلب من أجل التعليم لمدة سبعة عشر عامًا، التعليم الذي تقدّم بطلبه ولم يحدث ولا يبدو قريب الحدوث. لقد تحركت لأرى أولاد صغار في سن العاشرة والحادية عشر بعدين آلاف الأميال عن منزلهم، يعيشون بالفعل في الصومعة الروحية. لقد تأثرت عندما رأيت أسرة سافرت لمسافة أربع مائة ميل، تقريبًا معظمها كان سيرًا علي الأقدام، ليصلوا إلى المكان المُقدّس الذي يقدمون فيه الولاء للآلهة.

لقد كان عقلي ممتلئًا ــ لم يكن ممتلئًا فقط بالمشاهد والتجارب، إنما أيضًا بسبب إدراك الفرق الهائل بين الحياة التي أراها وحياتي. فمن ناحية، كان من الواضح أن هؤلاء أناس مثلي تمامُا، يضحكون، ويبكون، ولديهم أحلام وأمنيات، ولديهم أسر، وأصدقاء، ونوعًا ما من المنازل، وهناك أشياء يؤمنون بها وأخرى لا، وفي نفس الوقت، حياتنا مختلفة تمامًا، لدرجة أننا نبدو من كوكب آخر. لذلك ما أدركته في هذا الحي الفقير في ذلك الصباح المشرق، صدمني. لقد كان هناك تفسير واحد فقط لهذا الفرق الهائل في معيشتنا ــــ إنه الله. لقد كان هذا، ولا شيء آخر!

لم أعلم متى كان لدي مثل هذا الوعي القوي لسلطان الله المطلق أكثر من هذه اللحظة. لم يكن هناك تفسير أخر محتمل. فاختيار مكان الميلاد، الأسرة، وظروف المعيشة كلها له. كان من الممكن أن أولد

في هذا الحي الفقير! ليس بسبب حكمتي قد ولدت في «توليدو، أوهايو!» لكن هذا اختيار سلطان الله. إن اختيار من سيفهم الحق ومن سيتبنى الباطل هو لله، لله وحده. فقد كان من الممكن أن أكونَ هذا الكاهن الصغير، الذي لم يكن متواجدًا هناك بسبب غباءه، إنه اللهَ من سمح لي أن أولدَ في أسرة مؤمنة، هو الذي خطط أن يتم تبكيتي من خلال كلمات (رومية ٣) وأنا بالتاسعة من عمري، وكانت لديّ الفرصةُ أن أقضي حياتي لا أعبد صورة خشبية، إنما أدرس وأتعلّم كلمة الله. كلمات رومية ١١ : ٣٣-٣٦ تدفقت إلى ذهني:

«يَا لَعُمْقِ غِنَى اللهِ وَحِكْمَتِهِ وَعِلْمِهِ! مَا أَبْعَدَ أَحْكَامَهُ عَنِ الْفَحْصِ وَطُرُقَهُ عَنِ الاسْتِقْصَاءِ! «لأَنْ مَنْ عَرَفَ فِكْرَ الرَّبِّ؟ أَوْ مَنْ صَارَ لَهُ مُشِيرًا؟ أَوْ مَنْ سَبَقَ فَأَعْطَاهُ فَيُكَافَأَ؟». لأَنَّ مِنْهُ وَبِهِ وَلَهُ كُلَّ الأَشْيَاءِ. لَهُ الْمَجْدُ إِلَى الأَبَدِ. آمِينَ.»

ربما أن تتساءل ما علاقة هذا بالتواصل. الإجابة هي أن حياة التواصل الإلهي متأصلة في اعترافي الشخصي بسلطان الله. دعني أوضحها بهذه الطريقة: فقط عندما أخضع لحكم الله، الذي وضع خطة رائعة ويسيطر على الأمور بالكامل، حينها سوف أبدأ في أن أعيش وأتكلم حسب قصده. فقط عند هذا المستوى، أوثان القلب التي تؤدي إلى كلمات وثنية ستنكسر. وهنا فقط ستتحرر كلماتي من أن تكون أداة لجدول أعمالي الخاص، ومحاولاتي للسيطرة، والبحث عن المجد الشخصي.

فعندما يتحكم في قلبي شهوة للمخلوقات (شخص، ممتلكات، مركز، أو خبرة) أكثر من شهوة للخالق، سوف أسعي للسيطرة علي عالمي (والناس الذين فيه) لأحصل علي ما أريد. فالمراهق يصرخ في وجه والديه عندما يقولون (لا) له، «لا أستطيع أن أتحملك أنت وقوانينك»، والزوج الذي يريد أن يحقق رغبته مع زوجته يجادلها في مناقشة مخرج لها. والزوجة تسعى أن تنقل الشعور بالذنب إلى زوجها. ويستخدم الملاعب الكلمات المتملقة ليحصل على ما يريد من صديقه. فلا أحد يعتمد على سلطان الله، معتقدًا أنه سيفعلها بطريقة أفضل.

لكن عندما ندرك سلطان الله ونخضع لقوانينه، نستطيع أن نعيش ونتحدث كما صممنا الله، وهذا هو التناقض التام للحياة والتحدث وفقًا لخططنا، ولسيطرتنا، ولمجدنا الشخصي. وهذه المصالح الشخصية هي التي تجلب المتاعب الكثيرة لكلامنا. فصراع الكلمات في الأساس صراع للسلطان.

ربما لذلك تصبح الخيالات نوع من الإغراء الأرضي، فعندما أتخيل فأنا أذهب إلى عالم من صنعي حيث أحكم بسلطان مطلق. وكل شخص يلبي دعوتي، وكل المواقف تظهر حسب رغبتي. وفي ذهني أتعامل كأنني الله وأتحكم دون منازع. فهذا العالم وُجد لإسعادي ويعمل تمامًا كما أتمنى. والخيال يمكن أن يكونَ إحدى الطرق التي أملأ بها شهوة قلبي بأن أكونَ سيد على ظروفي وعلاقاتي.

إن الصراع من أجل السيادة يظهر في تواصلنا. فإرادة الله أن تكون كل أحاديثنا لإعلاء مجده ــ ومن أجل منهاج مثير جدًا ومختلف تمامًا عن الخاص بنا، فلهذا السبب من المهم أن ندرك ما يُعلّمنا إياه الكتاب المقدّس عن سلطان الله، إنه حجر الزاوية لمنهاجنا الجديد لكلماتنا.

في الحديث عن هذه التعاليم، فأنا أعلم أنني أناقش قضايا شائكة أبعد من النطاق النموذجي لمحادثات التواصل. وعلاقة ذلك بالطريقة التي نتكلّم بها لن تبدو واضحة الآن. لكن أنا أصر أن تبقى معي، لأنني أؤمن أن هذا أحد الأسباب التي تنشئ مشكلات كثيرة في المقام الأول! نحن نعيش في ثقافة كنسية تدعم فصل الوصايا والمبادئ الكتابية عن باقي الكتاب المقدّس. فنحن ننظر إلى أعداد معينة عن التواصل ونسعى أن نطبقها على حياتُنا، دون فهم الطريقة التي تأصلت بها في التاريخ واللاهوت الكتابي. فنحن نفتقد الصورة الشاملة ــ والطريقة التي تجعل هذه الوصايا مرتبطة بباقي الكتاب المقدّس مما يعطي المعنى والمنطق. وتنبع وصايا ومبادئ الكتاب المقدّس من اللاهوت الكتابي، والأكثر من ذلك، أنها تعطي الرجاء والمعنى في شخص وعمل المسيح.

وعلى سبيل المثال، إن السبب الوحيد العقلاني في أن تصنعَ صلاحًا لعدوك هو أن الله هو الشخص الذي قال لنا ذلك، إله العدل الكامل. والدعوة للغفران متأصلة في حقيقة أن المسيحَ غفرَ لنا. والدعوة

في أن أقدم بتضحية متأصلة في وعد الله أنه سيملأ كل احتياجاتنا. وكل وصية ومبدأ متأصلة في حقائق الفداء ــ ما فعله وما سيفعله الله لأجلنا في المسيح، إن هذا هو اللاهوت ــ لكن بالتأكيد أن ذلك ليس خلاصة معلومات! إن سبب امتلاء الكتاب المقدّس باللاهوت أنه حين نفهم الحقيقة عن الله، نفهم لماذا وكيف ننفذ وصايا الكتاب المقدّس. ولتفهم كيف ترتبط أفعالك بما يفعله الله، وكيف تأتي حقًا بالمجد لاسمه.

إدراك سلطان اللّه

إذًا ما الذي يعلّمنا إياه الإنجيل عن حكم سلطان الله؟ نحن نحتاج أن نفهم هذه التعاليم المهمة، لأن جذور التواصل الكتابي تنمو في أرض سلطان الله. فإذا لم تنبع كلماتي من قلب يقع تحت سيطرته، فهي تنبع إذًا من قلب يسعى للسيطرة، وحتى أستطيع الحصول على ما أريد. فأنا بحاجة لفهم أكثر ما يفعله الله.

وعندما يتحدث الإنجيل عن سلطان الله، فهو يقصد بذلك الأتي:

إن له السيادة دون منازع على الكون. والله هو ملك الملوك ورب الأرباب، ليس له نظير؛ هو ليس فقط رب على كل حاكم في الأرض، إنما هو رب السماوات. ويخضع الكون بالكامل لإرادته الصالحة، ولم يُعلّم أحد الله، ولم يُعطه أحد نصيحة، ولا يستطيع أحد أن يستجوبه بمشروعية، ولا يستطيع أحد أن يقفَ في طريق إرادته. هو يجلس على عرش الكون، وهو فقط الذي يحكم.

وتصف كلمات «نَبُوخَذْنَصَّرُ» هذا الحق بعدما أعاده الله إلي كامل قوه العقلية.

«سُلْطَانُهُ سُلْطَانٌ أَبَدِيٌّ، وَمَلَكُوتُهُ إِلَى دَوْرٍ فَدَوْرٍ.وَحُسِبَتْ جَمِيعُ سُكَّانِ الأَرْضِ كَلاَ شَيْءَ، وَهُوَ يَفْعَلُ كَمَا يَشَاءُ فِي جُنْدِ السَّمَاءِ وَسُكَّانِ الأَرْضِ، وَلاَ يُوجَدُ مَنْ يَمْنَعُ يَدَهُ أَوْ يَقُولُ لَهُ: «مَاذَا تَفْعَلُ؟»».
(دانيال ٤: ٣٤-٣٥)

الآن، ماذا يعني كل هذا للتواصل الذي يخصني؟ إنه يعني شيء واحد، هو أنني لن أكون أبدًا في موقف، مكان، أو علاقة لا يسود عليها الله. ولحظات الحياة هي لحظاته؛ لا يجب أن أدّعي أنها ملكي. وكل كلمة أنطقها يجب أن تعلن سلطانه. ليست مهمتي أن أحصل على ما يسعدني، إنما إقامة السلطة أو السعي لسلطانه، ومهمتي أن أخضعَ لحكم الله وأفعل مشيئته. فعندما نتكلم عن التواصل، فمهمتي أن أتحدثَ بالطريقة التي ترضي الشخص الذي يحكمني في كل لحظة أتكلم فيها.

وعندما أدرك أن الله هو المسيطر على حياتي، لن أرتعب، لن أبدأ في التفكير أن حياتي ليست تحت السيطرةَ، ولن أيأس عندما أكون حائر فيما يحدث حولي. إنني أعرف أن كل موقف تحت السيطرة الدقيقة من ملك الملوك. وكلما أمسك بإيمان في هذا الوعد، أستطيع أن أصغي لما دعاني الله إليه ــ أن أحيا وأتكلّم بطريقة تعطيه المجد.

الله يسيطر على كل الأمور لصالح الكنيسة. إن حكم الله له اتجاه وغرض: إن غرضه نعمة الفداء لشعبه. لقد خلق كل شيء؛ لقد سيطر على كل لحظة في تاريخ البشرية؛ لقد نفخ في التراب ليصنع إنسان علي صورته؛ لقد أقام ملوك وأمم وطرحهما؛ لقد سخر كل قوى الطبيعة لأجله؛ لقد أقام أنبياء، وقضاة، وملوكًا، ورسلًا؛ لقد أظهر نفسه بطرق لا تحصى؛ لقد أرسل ابنه ليعيش على الأرض وليموت ميتة المجرمين؛ لقد وهبنا الكلمة؛ وهو يسيطر على حياة الأفراد؛ وسيأتي مجددًا. لماذا؟ ليقيم خاصته (بطرس الأولى ٢ :٩)، شعبه الذي دعاه من الظلمة إلى نوره العجيب ليحيوا حياة أبدية لمجده! فهو يحكم من أجل شعبه ــ من أجلنا نحن.

على الرغم من قولنا أن اللهَ يحكمَ لأجلنا فإن هذا لا يعني أنه يحكم حتى نستطيع أن نحصل على ما نريد، إنما حكمه للخلاص. إن الأمر كالآتي، أنه يتحكم في الكون حتى يكون هدفه لخلاصنا ووعده لخلاصنا مكتملاً. هو يحكم ليكون البر، والتقديس، والمجد الذي وعد به مضمونًا. إلى المنتهى، يأتي المسيح، يجتاح مملكة الظلمة، ويقود شعبه للحياة لمجده في مملكة النور (كولوسي ١ : ٩-١٤). ليضمن هذا، حكم الله منذ قديم الأزل إلى الأبد. وبولس يقول هذا عن المسيح:

«إِذْ أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ، وَأَجْلَسَهُ عَنْ يَمِينِهِ فِي السَّمَاوِيَّاتِ، فَوْقَ كُلِّ رِيَاسَةٍ وَسُلْطَانٍ وَقُوَّةٍ وَسِيَادَةٍ، وَكُلِّ اسْمٍ يُسَمَّى لَيْسَ فِي هذَا الدَّهْرِ فَقَطْ بَلْ فِي الْمُسْتَقْبَلِ أَيْضًا، وَأَخْضَعَ كُلَّ شَيْءٍ تَحْتَ قَدَمَيْهِ،

وَإِيَّاهُ جَعَلَ رَأْسًا فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ لِلْكَنِيسَةِ، الَّتِي هِيَ جَسَدُهُ، مِلْءُ الَّذِي يَمْلأُ الْكُلَّ فِي الْكُلِّ.» (أفسس ١ : ٢٠-٢٢)

إذا تمسّكنا بهذا الحق، كيف ستتحول طريقة كلامنا إلى أخرى؟

فكر كم من مرة في تواصلنا اقتضى الأمر أن نتذمر على ظروفنا، وفواتيرنا، وصعوبة الأقرباء، والوظيفة الصعبة، والأطفال المتمردين، وبُعد الزوج، والزوجة غير الشاكرة، والقادة غير الفعّالين بالكنيسة، نقص حصاد الحديقة، والسيارة المحطمة، والضرائب الثقيلة، ومصاريف الجامعة، وعدم القدرة على قضاء أجازة «جيدة».

كم من مرة تكلّمنا بطريقة تعبّر عن الغضب من الناس الذين يقفون بطريقنا؟ أفراد الأسرة الذين سلبوا منا سلامنا وهدوئنا أو من مزقوا الجريدة قبل أن نقرأها؟ الأطفال المتمردون الذين سرقوا منا راحتنا وهدوئنا؟ أفراد الأسرة الذين يقفون في طريق قضاء الأمسية بالخارج؟ أو الشخص الذي يرفض إعطائي الاحترام والإعجاب الذي اعتقد أنني أستحقه؟ الشخص الذي يمنعنني من الحصول على ترقيتي بالعمل؟ الابن أو الابنة الذي يشغلون الحمام عندما أحتاج إليه؟ الزوجة التي لم تصنع أبدًا الوجبة المفضلة لديّ أو تشكرني عندما أعطيها مال التسوق؟ المراهق الذي لا يبدو أبدًا مبتهج أو سعيد؟ القس الذي لم يطلب مني من قبل أن أفعل أي شيء ذو أهمية في الكنيسة؟ القائمة مليئة بأشياء وأشياء.

كثير من كلامنا ينم عن حسد تجاه الآخرين الذين تبدو حيلتهم أسهل من حياتنا: الجار غير المسيحي الذي يستخدم ماله الزائد في بناء المزيد في منزله؛ الصديق المسيحي الذي يبدو أنه مستهدف ببركات من الله؛ الصديق الذي حصل على منحة دراسية كاملة في أفضل الجامعات؛ أخي في المسيح الذي شغل وظيفة مكتبية مؤمنة لسنوات؛ الصديق/الصديقة الذي لديه زوجة سعيدة ومرحة أو التي لديها زوج ودود؛ الصديق غير المؤمن الذي لم يجد مشكلة أبدًا في دفع فواتيره ويبدو أن لديه أطفالًا رائعين؛ وعامل المصنع الذي حصل على اليانصيب لتوه.

كثيرًا يكون حمدنا لله محدودًا باللحظات التي يصنع فيها الله صلاحًا: أوقات الشفاء الجسدي، واليسر المادي، وتحسن الأوضاع، واستعادة العلاقات، أو حل المشكلات. في هذه المواقف نحمد الله على أمانته.

لكن ما الذي يجعلنا نفقد كل هذا التواصل؟ الحقيقة أن الله فعّال في كل لحظة في حياتنا، وكل الأشياء التي تحدث في حياتنا تحدث لخلاصنا. من المهم جدًا، جدًا أن نصدق هذا! عندما نفعل هذا، يكون لدينا قلوب متكلمة بالتواضع والتعبد. فنحن ندرك أن الله أوجدنا في المكان الذي نحتاج أن نكون فيه، وبذلك أهدافه ووعوده لنا يمكن أن تتحقق.

الله يتحكّم في كل التفاصيل الدقيقة في حياتنا. وسلطان الله ليس فقط عمومي أو عالمي، إنما أيضًا فردي. فنحن رأيناه يقوم بهذا في حياة

الأشخاص المعروفين بالكتاب المقدّس. لقد كان سيدًا على تفاصيل حياة كل من موسى، ويعقوب، وعيسو، ويوسف، وأستير، وراعوث، وداود، وإرميا، ودانيال، وبطرس، وبولس، وهذه ليست كل الأمثلة بل بعضها. وهو يسود علينا أيضًا، ويشمل حكمه بالفعل تفاصيل حياة كل إنسان عاش في أي وقت! وعظمة هذا أكثر بكثير من ما يمكن أن تُدركه أذهاننا. نحن من لدينا مشاكل في تنظيم حياتنا الخاصة! ولكن الله عظيم جدًا في سلطانه الذي يدير التفاصيل الدقيقة في حياة كل إنسان في نفس الوقت.

تكلم «بولس» بهذا في مجمع أريوس باغوس عندما كان يشرح لأهل أثينا الإله المعروف عندهم بـــ «المجهول»: «**وَحَتَمَ بِالأَوْقَاتِ الْمُعَيَّنَةِ وَبِحُدُودِ مَسْكَنِهِمْ**» (أعمال ١٧ :٢٦).

حُكم الله ليس بعيدًا أو مجهولًا، بل العكس تمامًا! فالله يتحكم في تفاصيل حياتي حتى أستطيع أن أجده وأتواصل معه (انظر عدد ٢٧). هو يدعونا أن نفكّر، نصلّي، ونخطط وأن نحيا حياة منظمة وتحت سيطرتنا، لكن على أساس استنادنا وإدراكنا لقوانينه.

ربما يكون لديك صعوبات في التواصل بأشياء تعتقد أنها مشاكل، لكن الله لا يعتقد أنها كذلك. نحن عادة نركز على الناس والمواقف، إنما تركيز الله علينا نحن. فهو يستخدم الأشياء التي في حياتنا كأدوات لإعلان عمله فينا.

الله يتحكم في كل جوانب فدائنا. لقد كان هذا الجانب من أكثر الجوانب المثيرة للجدل عن سلطان الله في الكنيسة، مع أنه يعلن بوضوح هذا الأمر في الكتاب المقدّس، وهو يعد من الأساسيات لأمان كل مؤمن. وهنا الآثار النهائية لاعتمادنا علي القوى البشرية، والأداء، والصلاح، والاكتفاء الذاتي تصبح من النفايات. وتبدأ العبادة الحقيقية من إدراكنا لنعمة سلطان الله. وخلاصنا يتأسس على صخرة مشيئته. وحتى النفخة الأولى لإيماننا قد تم تحديدها قبل تأسيس العالم. وبدون حبه الذي وضعه علينا، لكنا قد أقصينا من السكنى مع شعبه، وانفصلنا عن وعود عهده، بدون رجاء وبدون الله في العالم (أفسس ٢ : ١٢)!

يا الله، افتح أعيننا الروحية حتى نرى، وأذاننا الروحية حتى نسمع (انظر متى١٣ : ١١-١٧؛ يوحنا ١٠: ٢٥-٣٠). فكل جانب من خلاصُنا يعتمد عليه. ولا توجد عبارات أوضح من هذا الحق أكثر من التي قالها بولس: «**كَمَا اخْتَارَنَا فِيهِ قَبْلَ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ، لِنَكُونَ قِدِّيسِينَ وَبِلاَ لَوْمٍ قُدَّامَهُ فِي الْمَحَبَّةِ، إِذْ سَبَقَ فَعَيَّنَنَا لِلتَّبَنِّي بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ لِنَفْسِهِ، حَسَبَ مَسَرَّةِ مَشِيئَتِهِ، لِمَدْحِ مَجْدِ نِعْمَتِهِ الَّتِي أَنْعَمَ بِهَا عَلَيْنَا فِي الْمَحْبُوبِ**» (أفسس ١ : ٤-٦)

ما هو قصد الله من سلطانه على خلاصُنا؟ إنه ثنائي. أولاً، تحبط نعمة سلطان الله كل الغرور والأفكار البشرية عن الاكتفاء الذاتي كلما ندرك أن اعتمادنا الكامل عليه. وإذا كان هناك أي من حياة روحية، وإيمان، وصلاح، ومحبة، ورجاء، ونعمة، وصفاء، وحكمه وثمار تمجد الله في حياتنا، فذلك بسبب نعمة الله. فنحن علي ما نحن

ثانياً، هدف الله أن يحول الغرور الذي بداخلنا إلى إعطاء التسبيح له بدلاً من ذلك. بولس يقول، «**حَتَّى كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ:«مَنِ افْتَخَرَ فَلْيَفْتَخِرْ بِالرَّبِّ».**» (كورنثوس الأولى ١: ٣١) . لاحظ العبارة التي تقررت في أفسس ١ ــ «**لِمَدْحِ مَجْدِ نِعْمَتِهِ.**» هذا ما يوجد في ذهن الله: أن سلطانَه على كل جوانب خلاصنا يُنتج غناء أبديًا من التسابيح.

هذا هو عمق التواصل الكتابي، الهدف الأول والأسمى في كل كلامنا: أن كلماتنَا تعكس طريقة من العبادة التي تعبر عن إدراكنا للاعتماد المطلق علي الله لخلاصُنا. لقد اختارنا أن نكون أولاده، لقد دعانا لنفسه، لقد نفخ حياته فينا، لذلك نستطيع أن نرى ونصدق الحقيقة، لقد بررنا وضمنا إلى عائلته، إنه يعمل يوميًا لتقديسنا، وسيأخذنا إلى المجد. كل ذلك بسببه. وينبع من هذا الإدراك حياة من التواصل الذي يفيد الآخرين ويكرمه.

الحقيقة أن كلماتنا دائمًا تعبر عن عبادة ــ لكن ليست دائمًا لله. لقد رأينا أننا نميل إلي تبديل العبادة والخدمة للخالق بالعبادة والخدمة للأشياء المخلوقة (رومية ١ :٢٥). نحن نرى ذلك في الزوجة التي تقول، «لا تخبرني بكم يحبني الله. أنني أريد زوج يحبني!» نحن نسمعها من مراهق يقول، «إنني أكره الحياة هنا. لا أستطيع أبدًا فعل ما أريد فعله!» حتى إن ذلك يظهر واضحًا للطفل الصغير الذي يدخل في نوبة غضب في متجر اللعب بسبب أن أمه رفضت أن تشتري له كرة. وأيضًا نجد القس يقول «لماذا أحاول خدمة هؤلاء

الناس؟ كل ما أحصل عليه هو النقد.» ويقول الموظف «كل ما أريده من عملي هو زيادة المرتب وقرض صغير»

وفي كل حالة من هذه، كل الجمل كانت بدافع لعبادة وخدمة المخلوقات أكثر من عبادة وخدمة الخالق. إن الله يريد أن يحول اهتماماتنا.

الله يتسلط علي ظروف لأجل تقديسنا. ربما لا يوجد موضوع أهم من هذا في حياتنا اليومية: الله يعمل في كل موقف ليطابقنا بصورة ابنه. هذه الحقيقة معلنة في كل العهد الجديد (انظر رومية ٨ : ٢٨-٢٩؛ يعقوب ١ : ٢-٤؛ بطرس الأولى ١: ٣-٩).

فكل فقرة تخبر بأهمية نفس الشيء: أن الله يعمل ليكمل عمل خلاصنا الذي بدأ قبل تكوين الأرض. يقول بولس، أنه يعملَ كل الأشياء للخير حتى نشابه صورة ابنه. ويقول يعقوب، يجب أن نستقبل التجارب بفرح لأن الله يستخدمها ليكملنا. ويقول بطرس، نحن نستطيع أن نرىَ التجارب كوسيلة نستقبل بها غاية إيماننا، والخلاص لأرواحنا. إن الله يسود على ظروف حياتنا، لكن يقولُ الكتابَ أكثر من هذا، إنه يخبرنا أن هذه الظروف وسيلة رئيسية أنتجها الله بالفعل لعرض ما خططه لحياتنا من قبل تأسيس العالم ــ بذلك يمكنا أن نتغيّر لنشابه ابنه، قديسين كما هو قدوس.

عندما نشتكي من المشاكل والضغوط في حياتنا، فنحن بالضرورة نتذمر في وجه الله. فنحن نشتكي أننا قد تم اختيارنا بمحبته ونعمته،

وأنه وضعنا في مواقف صممت لتجعلنا شعبه المقدّس! إن هذه العلاقات والظروف، وهذه المشاكل والتجارب، وأوقات الآسى والمعاناة، تأتي من يده. وتأخذ روعة نعمة الله التي أعطيت لنا لتحررنا من قوى الخطية المتبقية! ووراء الظروف آلة الحب الذي يعمل بدون كلل ليجعلنا مقدّسين. إن التسبيح الذي ينبع من قلوب متعبدة هو الرد المنطقي الوحيد على هذه الظروف. بدلاً من أن تخبرنا أن الله قد نسينا، فإن ظروفنا تصرخ فينا لتخبرنا أنه يتذكرنا ولم يتركنا حتى يكمل عمله! حقًا إن إدراك ذلك سوف يجعلنا نغيّر الطريقة التي نتكلم بها.

على سبيل المثال، أنا شخص منظم جدًا. أستيقظ كل يوم وعندي جدول أعمالي. وأحاول أن أفعلَ كل شيء بإنجاز. فأنا أميل إلى أن أحسب مدى نجاح اليوم علي كمية الأشياء التي فعلتها. لذلك من السهل جدًا أن أحبطَ عندما لا يمر اليوم كما خطط له، وأجد نفسي أزداد إحباطًا مع الأشياء («كمبيوتر غبي!»)، مع الناس («لماذا هو ليس هنا؟ ألا يعلم كم أنني مشغول؟»)، ومع المواقف («لماذا قرر كل العالم أن يحصل على الأدوات المكتبية عندما احتاج المزيد من الحبر لقلمي؟»). وفي كل هذا أميل إلى أن أتناسى أن الله لا يركز على «نجاح» يومي، إنما على التقوى في شخصيتي، فأنا أميل لأركز على النتائج، لكن هو ملتزم بأن يجعلني قديسًا. وعند غضبي وإحباطي، فأنا لا أحارب فقط الناس والمواقف، إنما أحارب الله.

ما الذي يخرج من فمك في وقت المصاعب؟ ما الذي يفكر فيه قلبك وينطق به فمك عندما تتعرقل خطتك أو تفشل ببساطة؟ كيف يكون ردك عندما تخذلك الناس أو عندما لا يقومون بدورهم؟ ماذا تقول في لحظات الإحباط وخيبة الأمل؟ كيف يكون ردك عندما تواجه شيء غير متوقع تمامًا؟ كيف تكون ردة فعلك تجاه هؤلاء الذين يبدون أنهم يقفون في طريق جدولك وخطتك؟ كيف يكون ردك عندما تنهار أفكارك اللامعة وأفضل مجهود لديك؟ كيف تتفاعل مع التجارب التي لا تبدو بسبب خطأ منك؟ هل كلماتك تعلن خطة سلطان الله على كل ظروفك لتكريسك؟

يخبرنا كتّاب العهد القديم أنه ينبغي ألا نندهش عندما نواجه متاعب، وتجارب، ومعاناة. فإنها تخبرنا ألا نستنتج أبدًا أن الله نسينا، وتخبرنا أن الأمر بالنسبة للمؤمن هو العكس تمامًا: فالتجارب هي نتيجة لعهد محبته! نحن نختبر الصعوبة بالتحديد بسبب أننا أولاد محبته. إن الله لن يهملنا أبدًا حتى نتمكن من اختبار الراحة التي نريدها، بل سيكمّلنا من خلال تجربة وراء تجربة.

إن شعب الله دائمًا كان يصارع مع هذه الحقيقة. عندما كان شعب إسرائيل محاصرًا عند البحر الأحمر أمامهم والمصريين الذين من خلفهم، وخروج ١٣ يخبرنا أن موقفهم لم يكن حادثة أو نتيجة للتخطيط الضعيف من جانب «موسى.» لقد كان خطة وتدبير الله. فقد كان من الممكن لشعب إسرائيل أن يأخذ طريقًا أقصر بكثير لفلسطين، لكن لقد عرف الله إنهم روحيًا لن يكونوا مستعدين.

وقد سجلها «موسى» بهذه الطريقة: «**لأَنَّ اللهَ قَالَ: «لِئَلاَّ يَنْدَمَ الشَّعْبُ إِذَا رَأَوْا حَرْبًا وَيَرْجِعُوا إِلَى مِصْرَ».**» (عدد ١٧). قادهم الله لطريق مختلف حتى عسكروا عند البحر الأحمر. ليس فقط ذلك، إنما قسّى الله قلب فرعون لذلك كان يلاحقهم (خروج ١٤: ١-٤). لماذا؟ لقد سجل موسى إجابة الله: «**فَأَتَمَجَّدُ بِفِرْعَوْنَ وَبِجَمِيعِ جَيْشِهِ، وَيَعْرِفُ الْمِصْرِيُّونَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ.**» (عدد ٤). لقد كان الله متحكمًا في كل الظروف، ويقوي شعبه للمعارك التي سيواجهونها في أرض الموعد.

كيف تجاوب الشعب؟

«**فَلَمَّا اقْتَرَبَ فِرْعَوْنُ رَفَعَ بَنُو إِسْرَائِيلَ عُيُونَهُمْ، وَإِذَا الْمِصْرِيُّونَ رَاحِلُونَ وَرَاءَهُمْ. فَفَزِعُوا جِدًّا، وَصَرَخَ بَنُو إِسْرَائِيلَ إِلَى الرَّبِّ. وَقَالُوا لِمُوسَى: «هَلْ لأَنَّهُ لَيْسَتْ قُبُورٌ فِي مِصْرَ أَخَذْتَنَا لِنَمُوتَ فِي الْبَرِّيَّةِ؟ مَاذَا صَنَعْتَ بِنَا حَتَّى أَخْرَجْتَنَا مِنْ مِصْرَ؟ أَلَيْسَ هذَا هُوَ الْكَلاَمُ الَّذِي كَلَّمْنَاكَ بِهِ فِي مِصْرَ قَائِلِينَ: كُفَّ عَنَّا فَنَخْدِمَ الْمِصْرِيِّينَ؟ لأَنَّهُ خَيْرٌ لَنَا أَنْ نَخْدِمَ الْمِصْرِيِّينَ مِنْ أَنْ نَمُوتَ فِي الْبَرِّيَّةِ».**» (أعداد ١٠-١٢)

أليس هذا نموذج تقليدي لردة فعل البشر؟ يمكنك أن تسمع الإسرائيليون يسألون بعضهم البعض، «هل انتخبنا موسى؟» أو يقولون، «لقد كنا نعلم ــــ إنه بالفعل فاشل... لقد كان من الواضح أنه سيأخذنا للفوضى!» ولا يبدو أنهم كانوا يدركون أن شعب إسرائيل يمر بهذه الظروف بسبب الله. فلقد أحضرهم للمكان الذي يريدهم أن يستقبلوا ما أراد أن يعطيهم. كان من الواضح أن هذا لم يكن خطأ موسى لأن إسرائيل كانت تقاد بعمود سحاب بالنهار وعمود نار بالليل

(خروج ١٣: ٢٠-٢٢) ــ وهذا مؤشر واضح إلى أنهم أتوا إلى البحر الأحمر بواسطة الرب، وفي ذعرهم، نسوا الله وخطته الإلهية، وبدلاً من هذا، انتقدوا واتهموا قائدهم البشري.

لاحظ أن هذه التجربة أنتجت ما خططه الله لشعبه بالتمام. «**وَرَأَى إِسْرَائِيلُ الْفِعْلَ الْعَظِيمَ الَّذِي صَنَعَهُ الرَّبُّ بِالْمِصْرِيِّينَ، فَخَافَ الشَّعْبُ الرَّبَّ وَآمَنُوا بِالرَّبِّ وَبِعَبْدِهِ مُوسَى.**» (خروج ١٤ : ٣١). يقول بولس، أن هذه الحوادث تعتبر مثالاً وتحذيرًا لنا (كورنثوس ١٠ :١١)، فإنها تكشف قلوبنا وتعرّض تفاعلاتنا أمام التجارب، فنحن أيضًا ننسى حضور سلطان الله ونلعن حالتنا ونلوم الناس من حولنا. فالله يريدنا أن نتذكر أن حقيقة تقديسنا تتغلب على ظروفنا. وهذا هو الطريق الوحيد لبناء نموذج كتابي للتواصل.

فالجيران الصارمين، والمدير كثير المطالب، والقريب الشديد الحساسية، والصديق المسيطر، والطفل المتمرد، والحوادث غير المتوقعة كلها أدوات لتقديسنا في يد إلهنا. وأنا مثلك، لديّ صعوبات في تفسيرهم بالطريقة الصحيحة، فأنا أميل أن أراهم كإشارات أن الله قد نسيني بدلاً من أن أراها أنها علامات مؤكدة أنه قريب، ويتحكم في الأشياء بعناية لخيري. فلذلك أغضب وأشتكي بدلاً من أن أرتاح وأتعبد.

الله يتحكم في العلاقات لتقديسي. فالناس المتواجدون في حياتي ليسوا صدفة، بل هم أيضًا أداة في يد مخلّصي، ومن خلالهم يكمل

عمله الذي بدأه فيّ. وهذا مُبين بقوة عندما تحدث بولس عن الكنيسة (انظر أفسس ٢ : ١٤-١٦، ١٩-٢٢، ٤ : ١٦؛ كورنثوس الأولى ١٢ :١٢-١٣، ١٨-٢٠، ٢٧).

إن الله يسود على علاقاتي، لقد وضع الحجارة بالمعبد في المكان الذي يريده. لقد رتبَ كل جزء من الجسد كما يريده أن يكونَ. وهذه العلاقات وسيلة ليكمل بها الله عمله. فالصراع الذي يسببوه ليس صراعًا بلا معنى أو عائق للضيق وصورة بعيدة عن الحياة السعيدة، بل أنهم هنا بسبب وعد الله المتعهد به ليعلّمنا النضوج، «**لأَجْلِ تَكْمِيلِ الْقِدِّيسِينَ لِعَمَلِ الْخِدْمَةِ، لِبُنْيَانِ جَسَدِ الْمَسِيحِ.**» (أفسس ٤ :١٢).

كنت قسيسًا شابًا، وفي صباح أحد أيام الأحاد طلب أن يتحدث معي أحد الأشخاص في مكتبي الخاص بي في لقاء يوم الاثنين، وقد كنت في غاية الحماسة فقد شعرت بأن أحدهم تأثر أخيرًا بعظتي ويطلب مني المشورة، ولم أكن أعلم ما الذي ينتظرني، وعندما تقابلنا في أمسية الاثنين قال لي «يا «بول» أنا لم أتي هنا لأتحدث عني بل عنك أنت!» (لم يكن هذا بالضبط ما توقعت)، وفي الساعتين التاليتين قام بتفكيك كل جوانب خدمتي وشخصي كذلك. كنت محطمًا، واعتقدت أنني لن أكون في حالة أسوأ من هذه، إلى أن اقترح عليّ أن نذهب معًا للمنزل حتى أتحدث مع زوجته، ولمدة ساعة ونصف قامت بترديد الآراء التي قالها زوجها.

لم أكن أعلم متى شعرت أنني مظلوم للغاية أو مجروح للغاية، لكني قلت لـ «لولا» أنني لا أريد أن أنهي خدمتي، بل أنني أود الموت! واتصلت بأخي «تيد» رغبةً مني في أن يضمد جراحي، ويقول لي كيف أنني شخص رائع، وأنني لم أكن في حاجة إلى أن أستمع لهذا الثنائي المريع، لكنه قال لي العكس تمامًا، لقد قال لي «تيد»: «يا بول، انتبه إن الله أراد أن يضعك في هذه الغرفة لسبب، أي أن كان الشر الذي أرادوه بك فهو ليس في أهمية ما يريد الله أن يفعله بك».

يا إلهي، لم أكن أريد أن أسمع تلك الكلمات! لقد أردت أن أقول لتيد: «هل جننت؟ كيف يمكن أن يكون هذا لخيري؟ لقد خدمت الله بكل ما في وسعي وهذا ما أحصل عليه؟!». لكنني استمعت له، وعندما مضى الجرح، بدأ الله يظهر لي الدوافع والأفعال التي كانت تعوق العمل الذي يريد أن يصنعه من خلالي. والآن أستطيع أن أقول أنني شاكر لليلة الاثنين الموجعة تلك، فقد استخدمه الله لتغيير حياتي وخدمتي.

كم مرة نسينا هذه الحقيقة حين تكلمنا (مع وعن) الناس الموجودون في حياتنا؟ كم من المرات تعاملنا مع الناس على أنهم مثيرين وعوائق؟ كم من المرات نهاجمهم غاضبين بسبب أنهم يقفون في طريق خططنا ولحظات سعادتنا؟ كم مرة شكونا للآخرين بسبب أفعالهم وردات أفعالهم وكلماتهم؟ كم من مرة تحسّرنا فيها على أن حياتنا تأثرت بسبب اختيارات الآخرين؟ عندما نعانق سلطان الله على علاقتنا فسوف تتغير كلماتنا عن الناس الذين وضعهم الله في حياتنا.

إن الله يحكم في كل شيء من أجل مجده. إن هذا هو مضمون كل المقاطع الموجودة في الكتاب المقدّس التي تتحدث عن سلطان الله. فهو يفعل ما يفعله من أجل مجده. التاريخ هو قصته، وكل لحظة هي ملك له، نحن خاصته، وكل النعم والهبات والقدرات التي لدينا هي ملك له، إن الكل منه والكل له. وكما قال بولس ثلاث مرات في أفسس ١ أن كل شيء (**لِمَدْحِ مَجْدِهِ**).

إن الله لا يعمل من أجل سعادتنا الزائلة، وهو لا يعمل من أجل أن نشعر بالاكتفاء أو بالكمال، أو من أجل أن يكون لدينا صورة إيجابية عن نفسنا أو أسلوب حياة مريح، بل هو يعمل من أجل أن نصبح نور في الظلام، وحتى يرى الناس أعمالنا الحسنة ويمجدوه (متى ٥:١٦)، فالناس الذين يتمسكون بحقه، يضيئون مثل (**مَدِينَةٌ مَوْضُوعَةٌ عَلَى جَبَل**) و(**لاَ يُمْكِنُ أَنْ تُخْفَى**) «عدد ١٤»

ولهذا يعلّمنا الله في الكتاب المقدّس مراراً وتكراراً أن حياتنا موضوعة في يده، ويجب أن يفسح كل التفاخر البشري المجال للغرض المطلق لمجده. وعندما نتكلم وكأننا متحكمين (أو ينبغي أن نكون)، وعندما نأخذ المجد لذواتنا أو نتذمر على ما وضعه الله في مائدتنا، فعندها نحن نرفض غرضه المطلق لحياتنا ـــ وهو أننا الشعب الذي يجب أن يعيش (ويتكلم) من أجل مجده. ونحن بحاجة أن نعترف مع يعقوب «**مِنَ الْفَمِ الْوَاحِدِ تَخْرُجُ بَرَكَةٌ وَلَعْنَةٌ! لاَ يَصْلُحُ يَا إِخْوَتِي أَنْ تَكُونَ هذِهِ الأُمُورُ هكَذَا**» (يعقوب ٣:١٠).

وفي ضوء ذلك، فإن كل كلمة نتفوه بها يجب أن تكون وفقًا لمعيارين، أولاً، أن كل كلمة يجب أن تأتي بالمجد الذي يستحقه الله. وثانيًا، أن كل كلمة يجب أن تأتي بالفداء لحياة الناس الذين وضعهم الله من حولنا. وهذه دعوة عليا لكلماتنا ـــــ العبادة والفداء. ولكن ذلك أيضًا سبب لما هناك صراع في الكلام، لأن العدو يحارب تتميم هذه الدعوة، فالمُخادع يريدنا أن ندّعي أن عالم كلماتنا هو أمر خاص بنا، ونتكلم بدافع من رغبتنا الذاتية، ونتكلم لمجدنا الشخصي، وكي نتكلم بدافع من قلوب أنانية تريد فقط كل ما يبدو لصالحنا. ومجددًا، إن صراع الكلمات هو صراع من أجل السلطة، فأي أن كان الشخص أو الأشياء التي تسود على قلوبنا ستسود على الكلمات التي ننطق بها، والرسالة الواضحة الموجهة لنا في الإنجيل هي أن نتحدث بقلوب شاكرة بخضوع لله، في كل المواقف والظروف.

هل لديك فكرة أفضل عما يود سلطان الله أن يفعل بكلماتنا التي نتفوه بها؟ إنه الأساس لجدول أعمال جديد. فعندما أخضع لله وقتها فقط سأستطيع أن أعيش وأتكلم كما أراد هو، ووقتها فقط سأصبح حرًا في أن يكون توجهي في الكلام هو العبادة وأن أكون أداة من أجل الفداء، وأترك الأشياء التي لا أفهمها أو لا أتحكم بها لمعرفته التي لا تستقصى وحكمته واختياراته السيادية.

عندما كتبت هذا الفصل، كان لي الشرف أن أكون جزءًا من تجربة محزنة لكن قوية، لقد احتُجزَ حماي في المستشفى بسبب سرطان العظام المنتشر في جسمه، وقد كان مستلقيًا على السرير متألمًا

بشدة ومع ذلك غير غاضب. لم يكن يتذمر أو يتساءل «لماذا أنا؟» وقد وقفت زوجتي عند طرف السرير وهي تنظر لذلك الرجل الذي كان يومًا ما قويًا والآن يكمن في ضعف وانكسار. وفي نهاية زيارتنا له، طلب منا أن يصلّي، وقد صلّى صلاة لن ننساها أبدًا، فأول شيء فعله هو أنه شكر الله على ظروفه، وأنه يعلم أن الله صالح، وكل أمر يفعله لحياة أولاده هو صالح حتى عندما لا نفهمه، وبعدها طلب من الله أن يجعله أبًا صالحًا ومثالًا جيدًا من خلال معاناته، وبعدها شكر الله على الحياة الغنية بالنعم التي وهبها له.

إن هذا الرجل لم يكن عالم لاهوت، وكانت هناك مرة حيث لم أستطع فيها أن أحترمه بسبب أنه لم يبدو عليه فهم بعض الحقائق التي كنت أعتقد أنني أتقنتها في معهد اللاهوت، لكن منذ ذلك الحين بدأت أدرك أن حياته تعلن عن تمسكه بسلطان الله وأنا لم يكن لديّ هذا. فأنا أتمنى أن يكون لديّ مثل هذه الراحة وسط المتاعب! وأتوق إلى أن يكون كلامي نافع وللبنيان وعابد مثل كلامه، ولم أعد بعد أنازع مع احترامي لحماي. وسأكون شاكرًا جدًا إن أصبح أولادي مثله، إن «بيرت جاكسون» قد ربح حرب الكلمات بسبب أن حرب السيادة قد رُبحت في قلبه، ففي لحظات ألمه الشديد، قد شجعت كلماته وعضدت الناس من حوله وأتت بالمجد لله. لماذا؟ لأنه صدق بالفعل أهم الحقائق، وهي أن الله لديه خطة مثالية وأنه في كامل السلطان، وهو أراد حقًا أن يكون كل ما يقول وكل ما يفعل من أجل مجد الله، وهو لم يفكر أن تكون المعاناة الشخصية إعاقة له عن إتمام هذه الدعوة العليا.

إن صراع الكلام هو صراع للسلطة، فمن أو ما الذي يحكم قلبك؟ أي كان أو من كان فسوف يتحكم في لسانك هكذا.

على المستوى الشخصي

المعركة من أجل السيادة:

كيف يكشف حديثك عن الإحباط من الناس أو من الظروف؟

ما هي الطريقة التي تحاول بها من خلال كلامك أن تأخذ السلطان؟

كيف ترد عادة عندما تُحبط خططك؟

كيف يكون ردك عندما يرسل الله ألمًا أو خيبة أمل في طريقك؟

هل تشجع من حولك على أن يستريحوا في عناية الله المتحكمة؟

وهل تشير لهم على الدلائل التي تؤكد على يده المُحبة؟ وكيف؟

هل تسعى للتكلم بطريقة تشجع عمل الله في الآخرين؟

هل تكشف كلماتك أنك مرتاح في ظل سيادة الله أم أنك تصارع مع ذلك؟

اقضِ وقتًا في إجابة هذه الأسئلة، واطلب من الله أن يساعدك لتكون أمينًا، وكن حساسًا لعمل الروح القدس وأنت تجيب، وتذكّر أن الله يكشف لنا الأمور ليس من أجل أن يحبطنا بل لكي يجذبنا لنقترب من دائرة محبته، فهو يُقوّم الذين يحبهم.

الفصل السادس

تبعية الملك من أجل كل الأسباب الخاطئة!

«اِعْمَلُوا لاَ لِلطَّعَامِ الْبَائِدِ، بَلْ لِلطَّعَامِ الْبَاقِي لِلْحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ الَّذِي يُعْطِيكُمُ ابْنُ الإِنْسَانِ.» (يوحنا ٦: ٢٧)

لقد جلست معه في غرفة المعيشة، وأنا في حالة من الذهول مما يقول، وذلك ليس بسبب أنني لم أسمع عن هذا النوع من الأشياء من قبل، لكن بسبب أنه تكلم بمشاعر قوية. لقد حدث هذا في نهاية اليوم عندما كان ولدا «جوش» الصغار يتغنوا بمقاطع غير منتهية من أنين المطالب، ويبدو أن وظيفته كانت تتسبب في استنزافه أكثر وأكثر، وكان هو وزوجته لا يشعران بالتقدير الكافي تجاه أحدهما الآخر، وقد ألقى بجسمه على الأريكة وحدق للحظة في الأرض، وهنا يمكنك أن ترى «جوش» بدأ ينفس عن غضبه.

ثم قال، «لماذا فعلت هذا؟ ما الذي يستحق كل هذا؟ كل هذه السنوات أدرس الكتاب المقدّس وأصلّي، وأذهب للكنيسة في كل الأوقات... أنا أصارع لكي أفعل ما هو صحيح، وما الذي حصلت عليه؟ حياة مستحيلة! يقول الناس، «فقط ثق في الله.» لماذا؟ هو لا يجيب، هو لا يهتم، لقد فشلت! كان يجب ألا أتزوج، كان يجب ألا يكون لديّ

أطفال أبدًا، لا أستطيع التعامل مع هذه الوظيفة، والله جالس هناك بالأعالي وسمح لكل هذا أن يحدث. إذًا أنا مسيحي! ما الخير الذي فعله معي؟ أنا متعب، أنا محاط بمسؤولياتي، وأنا لا أرى أي مخرج. لكن لو تركت كل هذا، سأُعاقب. ما الخطأ بهذه الصورة؟»

لم أكن الشخص الوحيد الذي سمع «جوش» يتكلم بهذه الطريقة، نفس الاستياء كان يمتد إلى أحاديثه اليومية مع زوجته وأطفاله، في تدفق مستمر من الشكوى، والسخط، والملل، والاتهام، وفي بعض الأحيان التهديدات.

لقد حاولت أن أجاوبه بلطف، لكن «جوش» كان غاضبًا ولا يرغب في الاستماع لي. فهو لم يكن يتحدث لي على أي حال، لقد كان وجودي في الغرفة فقط مجرد مصادفة. كانت لحظة من الصراحة الشديدة وقد كنت بالصدفة شاهد عليها. وقد كشفت كلمات «جوش» الغاضبة قدرًا كبيرًا من حقيقة الأفكار والشهوات التي بقلبه وراء مظهره الأنيق، كل شيء جيد خارجي كان يجعل الناس تراني في عبادة يوم الأحد كرجل قلبه يصارع مع الله. ولقد اتبع «جوش»الملك، ولم تكن النتائج كما توقع.

وكما لاحظنا في لوقا ٦، إن الكلمات التي ننطقها تنبع من قلوبنا، وهذا يعني أن بطريقة ما يميل كلامنا إلى أن يكشف الحب الحقيقي في قلوبنا. الخطأ في كلام «جوش» لم يكن فقط أنه نطق كلمات معينة أو نبرة صوت معينة، ولن نحل مشاكل التواصل لديه بأن نقول له:

لا تقل هذه الكلمات مجددًا أبدًا، لكن لنرى تغييرًا يدوم في عبارات «جـوش»، فإن الشك والاستياء وراء كلماته يحتاج أن ينكشف. ونحتاج أن نتعامل بالحب الحقيقي مع قلب «جوش»، فما الذي يحدث مع «جوش»؟ وكيف أصبحت أحاديثه تثير استياء الله وهادمة جدًا للناس من حوله؟ لماذا لم يكن يتكلم ما كان يجب أن يتكلم من ــ محبة، ولطف، وتشجيع، وكلمات مملوءة نعمة؟

الحقيقة التي ظهرت بكلمات «جـوش» هي محور تركيز هذا الفصل. فهذا الموضوع يجب علينا جميعًا أن نواجهه إذا كنا نريد أن يكون تواصلنا كما يريد الله. كن أمينًا واسأل نفسك، هل يوجد «جوش» صغير بداخلي؟ أنا أعلم أنه بداخلي! مرات كثيرة تساءلت هل الأمر يستحق كل ذلك، وخلال هذه الأوقات من السهل التذمر والشكوى مما حولك في خلال اليوم.

وحقيقة الصراع المسيحي الذي اختبره «جوش» مهم ــ وشائع. إنه ببساطة هكذا: كثير منا يتبع الملك لأجل كل الأسباب الخاطئة، فلا يكفي أن تكون متحمسًا للملك، لكننا نحتاج أن نكون كذلك من أجل السبب الصحيح.

حلم من؟ أي خبز؟

لو أتيح لك أن تكتبَ حلمك في الحياة، ماذا ستكتب؟ ما الأشياء التي تمثل لك «لو فقط .....» «لو لديّ فقط......» «لو أعطاني الله

فقط..سأصبح سعيدًا»؟ ربما الطريقة الأفضل لطرح هذا السؤال هي «ما نوع المخلّص أتريد أن يكون يسوع بحياتك؟» احتفظ بالإجابة في ذهنك ونحن نستعرض واحدة من أكثر القصص المشهورة في الكتاب المقدّس الموجودة في يوحنا ٦.

في هذه القصة، يأخذ يسوع غداء طفل صغير وبواسطة قوته الإلهية يحوله إلى وليمة لخمسة آلاف شخص وإثني عشرة قفة مملوءة من الأكل المتبقي. تخيل ردة فعلك لو كنت هناك، وتأمل في تأثير قوة هذا الرجل على حياتك. الجماهير تهمس «هذا هو». هذا نبي، المسيح أتى. لنأخذه سريعًا وننصبّه ملكًا لنا! هذا ما كنا ننتظره كل هذه السنين.

يمكنك أن تعتقد أن هذه هي اللحظة الذهبية ليسوع. ألم يأتي ليكون ملكًا لهذا الشعب؟ أليس هو نبي الأنبياء؟ بالطبع هو، لكن لاحظ ما فعله يسوع. غادر، وانسحب، واختفي، ما الذي يحدث؟ لماذا تجاوب بهذه الغرابة؟ وتبحث الجموع في كل مكان عن يسوع، يريدون أن ينصبوه ملكًا عليهم، لكن يبدو أنه لا يريد أن يفعل شيئًا حيال هذا، لماذا؟ أليس هذا ما قد جاء لأجله؟

في يوحنا ٦ : ٢٥، كان يسوع قد عبر بحر الجليل والجموع وجدته هناك.

«وَلَمَّا وَجَدُوهُ فِي عَبْرِ الْبَحْرِ، قَالُوا لَهُ:«يَا مُعَلِّمُ، مَتَى صِرْتَ هُنَا؟» أَجَابَهُمْ يَسُوعُ وَقَالَ:«اَلْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: أَنْتُمْ تَطْلُبُونَنِي لَيْسَ لأَنَّكُمْ رَأَيْتُمْ آيَاتٍ، بَلْ لأَنَّكُمْ أَكَلْتُمْ مِنَ الْخُبْزِ فَشَبِعْتُمْ. اِعْمَلُوا

لاَ لِلطَّعَامِ الْبَائِدِ، بَلْ لِلطَّعَامِ الْبَاقِي لِلْحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ الَّذِي يُعْطِيكُمُ ابْنُ الإِنْسَانِ، لأَنَّ هذَا اللهُ الآبُ قَدْ خَتَمَهُ». فَقَالُوا لَهُ:«مَاذَا نَفْعَلُ حَتَّى نَعْمَلَ أَعْمَالَ اللهِ؟» أَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمْ:«هذَا هُوَ عَمَلُ اللهِ: أَنْ تُؤْمِنُوا بِالَّذِي هُوَ أَرْسَلَهُ». فَقَالُوا لَهُ:«فَأَيَّةَ آيَةٍ تَصْنَعُ لِنَرَى وَنُؤْمِنَ بِكَ؟ مَاذَا تَعْمَلُ؟ آبَاؤُنَا أَكَلُوا الْمَنَّ فِي الْبَرِّيَّةِ، كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ: أَنَّهُ أَعْطَاهُمْ خُبْزًا مِنَ السَّمَاءِ لِيَأْكُلُوا».

فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ:«الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: لَيْسَ مُوسَى أَعْطَاكُمُ الْخُبْزَ مِنَ السَّمَاءِ، بَلْ أَبِي يُعْطِيكُمُ الْخُبْزَ الْحَقِيقِيَّ مِنَ السَّمَاءِ، لأَنَّ خُبْزَ اللهِ هُوَ النَّازِلُ مِنَ السَّمَاءِ الْوَاهِبُ حَيَاةً لِلْعَالَمِ». فَقَالُوا لَهُ: «يَا سَيِّدُ، أَعْطِنَا فِي كُلِّ حِينٍ هذَا الْخُبْزَ». فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «أَنَا هُوَ خُبْزُ الْحَيَاةِ. مَنْ يُقْبِلْ إِلَيَّ فَلاَ يَجُوعُ، وَمَنْ يُؤْمِنْ بِي فَلاَ يَعْطَشُ أَبَدًا. وَلكِنِّي قُلْتُ لَكُمْ: إِنَّكُمْ قَدْ رَأَيْتُمُونِي، وَلَسْتُمْ تُؤْمِنُونَ.» (الأعداد ٢٥-٣٦)

ما الذي يقوله يسوع لهؤلاء الناس حول رغبتهم في تنصيبه ملكًا لهم؟ هل كان سعيدًا، ومتحمسًا، ومستعدًا للتجاوب؟ لا لكنه بدلاً من أن يشكرهم، وبخهم، ويقول بما معناه «لقد أسئتم فهم الأمر كله.»

في كتابة إنجيله، قام يوحنا بأمر مفيد جدًا، فهو لم يحب أن يطلق على المعجزات التي فعلها يسوع اسم المعجزات. كان يحب أن يطلق عليهم آيات (علامات)، ماذا تعني آيات (علامات)؟ إنها تشير إلى شيء آخر، إلى الحقيقة التي تبحث عنها حقًا أو المكان الذي تريد

أن تتواجد فيه بالفعل. فعلى سبيل المثال، عندما تأخذ أجازة، لا تتوقف عند إشارات الطريق مع أسرتك وتقول، «وصلنا! وصلنا! أحضري الأطفال وأفرغي الحقائب يا عزيزتي»، لكنك تتبع الإشارات وتقود حتى تصل إلى مكان وصولك الحقيقي. فالإشارات بطول الطريق ما هي إلا إشارة للحقيقة المرادة.

كان هذا هو الخطأ الذي فعله هؤلاء الناس وأيضًا في تفاعلهم مع المسيح. لقد اختبروا المعجزة، لكن لم يفهموا الآية (الإشارة). والبركة المادية من الخبز كان المقصود بها حقيقة روحية أعمق بكثير، والمسيح قال، «لم تفهموا بعد.» لقد اهتموا بمعجزة الخبز كما لو كانت هي الحقيقة النهائية، كان المسيح محددًا جدًا فيما يقول، فالمصطلح الذي استخدمه عندما قال، «**فَشَبِعْتُمْ**» يمكن أن يترجم حرفيًا بـ «أكلتم من المرعى» هو يقول، «لقد رعيتم وأكلتم حتى امتلئتم، لكن حتى الآن لم تفهموا.»

ما الدافع وراء مطاردة هؤلاء الناس للمسيح؟ ما الذي أرادوه بالفعل؟ أنا لا أعتقد أنهم كانوا يتبعون يسوع بدافع من التواضع والخضوع لإرسالية المسيح ورغبةً منهم لأن يتبعوه إلى أي شيء يقودهم إليه، لكن تبعيتهم للمسيح نبعت من حبهم لذاتهم ورجائهم في أن المسيح هو الوحيد الذي سيملأ احتياجاتهم. لقد كانوا متحمسين لتبعية الملك ــ لكن من أجل كل الأسباب الخاطئة.

إنني أخشى أن كثير منا يتفاعلون مع يسوع بنفس الطريقة. ما يحرّكنا ويحفز كل الأمور التي نقوم بها ليس الخضوع لإرادة

الله والشهوة المتلهفة لمجده، لكن مجموعتنا الخاصة من الشهوات وأحلامنا الشخصية. فنحن نتحمس للملك بسبب أننا نراه كنظام توصيل ممتاز لهذه الأحلام. ويمكنك أن تعرف ما الذي يحمسك حقًا حين تقع في الإحباط واللوم، عندما لا يتحقق «الخير» الذي نريده. إن الشفاه التي كانت تسبّح الآن تتذمر، والشفاه التي كانت تشجع الآن تتهم. ولتجنب هذا يجب أن نتعلم أن نسأل، لمن الحلم الذي نريد أن نحققه؟ وما هو الخبز الذي نريده حقًا؟ ومجددًا هذا الصراع بداخل القلب سوف يشكّل الكلام الخارج من أفواهنا.

الخبز المادي والخداع الروحي

هذا الصراع للجسد ضد الروح هو الصراع الأساسي في الحياة المسيحية. هو الصراع الأساسي في الحياة الإنسانية. في وسط هذا الصراع هناك المخادع، الذي يجعلنا نعتقد أن الحياة كلها تدور حول الخبز المادي، ووضع أهمية قليلة للأشياء الروحية. ونحن نُقذف بهذه الرسائل منذ ولادتنا، أنها من حولنا في المجلات، والجرائد، والتليفزيون، وعلى لوحات الإعلانات، وفي المتجر التجاري، وفي محادثات المترو أو العمل. فالحياة تدور حول كم الخبز المادي الذي تستطيع أن تكسبه، وتحافظ عليه، وتستمتع به. والسعادة الحقيقة وجدت، كما قيل لنا في الناس، والممتلكات، والمراكز، وحيث أننا «نعيش مرة واحدة» فإعلانات البيرة تخبرنا بأننا يجب أن نفعل هذا بكل «الاستمتاع» الممكن.

هذا الصراع علي الخبز صورَ في عديد من الفقرات الكتابية. لقد كـان في قلب تجربة الشيطان للمسيح (متي ٤ : ١-١١). وقد حدث بصورة تراجيدية عندما باع يهوذا المسيح بثلاثين قطعة من الفضة (متى ٢٦ : ١٤-١٥). أنه شكل قوي من النزعة الإنسانية لتبديل عبادة وخدمة الخالق بعبادة وخدمة الأشياء المخلوقة (رومية ١ :٢١-٢٥). وهذا ما حذرنا منه يوحنا عندما دعانا لنتخلى عن حب العالم (يوحنا الأولى ٢: ١٣-١٥)، ولقد صورِ هذا بوضوح في مثل المسيح عن الغني الغبي، الذي ظل يبني مخازن أكبر ليخزن أشيائه، وذلك ليموت ويقابل خالقه (لوقا ١٢ : ١٣-٢١). وناقش بولس هذا الصراع في مفهوم الحياة بعين تنظر للأبدية، يقول أنه ثبتَ عينيه «**لا على الأشياء التي تُرى إنما على الأشياء التي لا تُرى**» (كورنثوس الثانية ٤ :١٦-١٨). أيضًا مزمور ٧٣ يكشف هذا الصراع عندما يحسد كاتب المزمور غنى ويُسر الشرير. رسالة المخادع في كل مكان حولنا، وهذا أصبح الأساس للصراع الروحي في حياة كل إنسان حيّ.

هناك أربعة أكاذيب ماكرة وهـي جـزء لا يتجزأ من رسالة إغراء المخادع. فيبدو أنه يقدّمَ حياة، لكن قبولها يؤدي للموت، وكل كذبة يقصد بها إبعادنا عن كل شيء خلقنا من أجله، وحياة المحبة والخضوع للخالق. دعونا نتعامل مع هذه الأكاذيب الأربعة الماكرة كأكاذيب مقنعة:

الأشياء المادية دائمة. إن الكتاب المقدّس يخبرنا مرات كثيرة وبطرق عديدة أن العالم يمضي. فيوحنا يقول «**وَالْعَالَمُ يَمْضِي وَشَهْوَتُهُ**» (١ يوحنا ٢ : ١٧). ويخبرنا بولس أن «**الْخَارِجُ يَفْنَى**» (كورنثوس الثانية ٤ : ١٦). وكاتب المزمور يقول أن حياة الأشرار وغناهم مثل الحلم الذي يمضي سريعًا عند الاستيقاظ (مزمور ٧٣ : ١٨-٢٠). ولهذا السبب يحذرنا المسيح «**بِيعُوا مَا لَكُمْ وَأَعْطُوا صَدَقَةً. اِعْمَلُوا لَكُمْ أَكْيَاسًا لاَ تَفْنَى وَكَنْزًا لاَ يَنْفَدُ فِي السَّمَاوَاتِ، حَيْثُ لاَ يَقْرَبُ سَارِقٌ وَلاَ يُبْلِي سُوسٌ**» (لوقا ١٢ : ٣٣).

الخبز المادي هو الخبز الوحيد. يميل الخطاة إلى تعظيم الخليقة ويرفعوا من أهميتها أكثر من الذي صنعها. ويميلوا للتخلي عن تبعية الله غير المنظور لجمع الممتلكات الشخصية. ولهذا السبب نحن متحمسون لا لتخزين كنوز على الأرض إنما لطلب ملكوته أولاً (متى ٦ : ١٩-٣٤). ولهذا السبب قيل لنا أن نحيا كمهاجرين، كساكني الخيام، لا نهب أنفسنا لجمع الأشياء المصنوعة كما لو كان هذا هو الخبز الوحيد الذي يحصى. الشخص الذي يصدق هذه الأكاذيب فهو أحمق (لوقا ١٢: ٢٠).

النجاح البشري يقاس بكمّ الخبز المادي الذي نمتلكه. من منا لا يحسد الأغنياء؟ من منا لا يحلم بالفوز في اليناصيب والحياة المثالية تكون من نصيبه؟ من منا لم يفكر في أنه سيكون أكثر سعادة لو كان معه مال أكثر؟ من منا ليس متأثرًا حتى لو بشكل بسيط بصور

المال والنفوذ والنجاح التي تقذف علينا من خلال التلفزيون؟ ومن منا لا يريد أن يلقي نظرة من البوابات ليري كيف يحيا «النصف الآخر»؟

يصوب الكتاب المقدّس هذه الكلمات القوية لنا في هذه اللحظات: «**لأَنَّهُ مَاذَا يَنْتَفِعُ الإِنْسَانُ لَوْ رَبِحَ الْعَالَمَ كُلَّهُ وَخَسِرَ نَفْسَهُ؟ أَوْ مَاذَا يُعْطِي الإِنْسَانُ فِدَاءً عَنْ نَفْسِهِ؟**» (متى ١٦: ٢٦). ويتكلم المسيح مباشرة إلى هذه الكذبة ويقول، «**انْظُرُوا وَتَحَفَّظُوا مِنَ الطَّمَعِ، فَإِنَّهُ مَتَى كَانَ لأَحَدٍ كَثِيرٌ فَلَيْسَتْ حَيَاتُهُ مِنْ أَمْوَالِهِ.**» (لوقا ١٢: ١٥). يُعرّف يسوع النجاح البشري في ضوء عهدين أساسين: أن تحب الله أكثر من كل شيء وأن تحب قريبك كنفسك (متى ٢٢: ٣٧-٤٠). إن عشت بهذه الطريقة تصبح غنيًا ولا يهم مدى قلة الأشياء الأرضية التي جمعتها التي جمعتها.

الحياة موجودة في الخبز المادي. هذه كذبة الأكاذيب ـــ أن الحياة يمكن أن توجد بطريقة ما خارج العلاقة مع الله. هذه الكذبة قالها المخادع في الجنة، وهذه الكذبة يقولها مجددًا بطرق غير معدودة يوميًا، فالتغذية على الخبز المادي تؤدي فقط إلى جوع أكثر. وكلما تتغذى بالمسيح وبالإيمان فقط، تستقبل حياته التي تشبعك للأبد. هو الخبز، هو الحياة! كل العروض المقدمة للحياة خارج المسيح تقود الناس العطشى للشرب من آبار مجففة. هو الخبز الحقيقي. هو نهر الحياة. اتبعه وستتدفق بداخلك أنهار مياه حية (يوحنا ٤: ١٣-١٤). وبدونه أنت ميت، حتى لو كنت تحيا بجسدك (أفسس ٢: ١-١٠).

من السهل أن تشتري كذبة أن الحياة يمكن أن توجد في القبول البشري، والممتلكات، والمراكز البشرية. ومن السهل أن تتحكم في حياتك وأحلام النجاح في مهنتك. ومن السهل أن تصدق أنه لا شيء يشبع غير الحب الرومانسي. ومن السهل أن نقع في السعي وراء الصور الوثنية للثقافة الغربية ــ منزل في أحد الضواحي الكبيرة، والسيارات الفارهة، والأجازات الباهظة ، وإلخ...، عندما نفعل هذا نترك تغذيتنا بالمسيح، وتبدأ حياتنا التعبدية في التدهور. ونصلّي قليلاً وعندما نصلّي، نصلّي أكثر بطريقة أنانية. ونجد أن جدولنا الزمني ليس فيه وقت للخدمة، ونقضي معظم الوقت مع زملائنا بالعمل أكثر مما نقضيه مع الأخوة والأخوات في جسد المسيح. وفعليًا نحن نتغذى علي خبز العالم، ليس على خبز المسيح.

وحياتنا تتحدد بالكامل على الخبز الذي نسعى وراءه. فلا يوجد أخطر من هذه الكذبة التي تقونا بعيدًا عن المحبة الممتلئة بالرجاء والخضوع للخالق الذي لا نستطيع أن نراه، ويقودنا إلي عبودية للمنتهي. إن عدم الاكتفاء يجعلنا نسعى إلى ما هو فانٍ.

لمن الحلم ــ للمسيح أم لك؟

الآن تخيل حياتك الخاصة، زواجك، وظيفتك، أطفالك، أصدقائك، بيتك، كنيستك. ماذا تريد من المسيح؟ لمن الحلم الذي تأتي به أمامه؟ هل حلمك ليس أكثر من مفهومك الشخصي عن السماء؟ أنا متأكد أن كل زوج وزوجة قد حلموا بمقابلة شريك حياة مثالي، وكل الآباء

حلموا بأن يكون لديهم طفل مثالي، وكل طفل حلمَ بأب وأم مثالين، وكل عامل حلمَ بمدير مثالي، وكل منا حلمَ بصديق مثالي أو كنيسة مثالية بقس مثالي، وكل منا حلمَ بمنزل مثالي وحياة مادية مثالية حيث تُدفع كل الفواتير بيُسر. لكن السؤال هنا: ما هو المستوى الأعمق لجوعك اليوم؟ هل تجد نفسك محبط من الحاضر؟ هل تصارع مع ما وهبه الله لك اليوم؟ يقول بطرس شيئًا مهمًا عما نتحدث عنه هنا:

«مُبَارَكٌ اللهُ أَبُو رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي حَسَبَ رَحْمَتِهِ الْكَثِيرَةِ وَلَدَنَا ثَانِيَةً لِرَجَاءٍ حَيٍّ، بِقِيَامَةِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ مِنَ الأَمْوَاتِ، لِمِيرَاثٍ لاَ يَفْنَى وَلاَ يَتَدَنَّسُ وَلاَ يَضْمَحِلُّ، مَحْفُوظٌ فِي السَّمَاوَاتِ لأَجْلِكُمْ، أَنْتُمُ الَّذِينَ بِقُوَّةِ اللهِ مَحْرُوسُونَ، بِإِيمَانٍ، لِخَلاَصٍ مُسْتَعَدٍّ أَنْ يُعْلَنَ فِي الزَّمَانِ الأَخِيرِ.» (بطرس الأولى ١: ٣-٥)

يبدو هذا رائعًا، أليس كذلك؟ يقول بطرس، «ألا تدرك ما لديك؟ أنت خلصتَ برحمة الله. غُفرت خطاياك. أنت جزء من عائلة الله. وليس ذلك فقط، بل هناك ميراث ينتظرك لاَ يَفْنَى وَلاَ يَتَدَنَّسُ وَلاَ يَضْمَحِلُّ.»

نحن نتجاوب «بلى»، «هذا رائع!»

لكننا نحتاج أن نكمل قراءة. فبطرس تحدث عن الماضي، والغفران الذي لنا برحمة الله. وتكلم عن المستقبل، وميراثنا القادم. لكن ماذا عن الحاضر؟ ما الذي سيحدث في الحاضر؟ دعنا نكمل من حيث توقفنا.

«بِإِيمَانٍ، لِخَلاَصٍ مُسْتَعَدٍّ أَنْ يُعْلَنَ فِي الزَّمَانِ الأَخِيرِ. الَّذِي بِهِ تَبْتَهِجُونَ، مَعَ أَنَّكُمُ الآنَ - إِنْ كَانَ يَجِبُ - تُحْزَنُونَ يَسِيرًا بِتَجَارِبَ مُتَنَوِّعَةٍ، لِكَيْ تَكُونَ تَزْكِيَةُ إِيمَانِكُمْ، وَهِيَ أَثْمَنُ مِنَ الذَّهَبِ الْفَانِي، مَعَ أَنَّهُ يُمْتَحَنُ بِالنَّارِ، تُوجَدُ لِلْمَدْحِ وَالْكَرَامَةِ وَالْمَجْدِ عِنْدَ اسْتِعْلاَنِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي وَإِنْ لَمْ تَرَوْهُ تُحِبُّونَهُ. ذلِكَ وَإِنْ كُنْتُمْ لاَ تَرَوْنَهُ الآنَ لكِنْ تُؤْمِنُونَ بِهِ، فَتَبْتَهِجُونَ بِفَرَحٍ لاَ يُنْطَقُ بِهِ وَمَجِيدٍ، نَائِلِينَ غَايَةَ إِيمَانِكُمْ خَلاَصَ النُّفُوسِ.» (الأعداد ٥-٩)

ماذا عن الآن؟ الحياة في الحاضر تدور حول شيء أعمق من الاستيقاظ مبكرًا في الصباح بابتسامة، وأعمق من وظيفة مشبعة، وعطلات رومانسية في نهاية الأسبوع مع زوجتك، وصداقات مشجعة، وأطفال يحسنون التصرف، ومنزل جميل في مجتمع صالح. إنها أكثر من أن يكون القس مهتم بك حقًا، وأكثر من مجرد ميزانية جيدة.

بطرس يشير هنا أن إرادة الله أن يساوم على أشياء مثل هذه لينتج شيئًا أعظم، أشمل، وأعمق في داخلنا: إيمان حقيقي. إن هذا ما يريده الله في الخبرات التي تجعلنا نتساءل هل يحبنا بالفعل، هل يستمع لصلواتنا، خبرات بسبب حسدنا للمؤمنين الآخرين، أو ربما حتى من الناس الذين لا يعرفونه. لماذا هذه الخبرات توضع في طريقنا؟ لأن الله لم يكمل عمله فينا بعد. هو يعمل ليعطينا هدفًا لإيماننا، وخلاصًا لنفوسنا. فبدلاً من التذمر والشكوى والشك في صلاح الله، يجب أن نكون قادرين على التجاوب بالعبادة. بدلاً من «يا رب،

لماذا أنا؟» يجب أن نكون قادرين أن نقول، «يا رب أشكرك. أريد المزيد من خلاصك. سيدي، أنا أريد كل ما يمكن أن تعطيني، أنني أعلم أنك لم تنتهي من عملك معي» الصراعات ليست خطأ، بل هي رموز عن المحبة المفتدية. والتجارب لا يجب أن تقودنا للشك في محبة الملك؛ إنما يجب أن تقنعنا به.

في اعتقادي، أن شهوة قلب كل خاطئ أن تكون الحياة كالمنتجع. أنت تدفع أموالك وتحصل على كل ما تريد، أي شيء تريد. شرح أحدهم لي واحدة من هذه العروض، فقال، « لك اثني عشر وجبة في اليوم» اثني عشر! وقال بعد ذلك، «الوجبة الأخيرة في منتصف الليل، وفي الساعة الثانية صباحًا يمكنك أن تطلب بيتزا في غرفتك لو أردتَ هذا.» يبدو ممتعًا بالنسبة لي! فلا أحد يستطيع أن يرفض طلبك! وفي أي لحظة يمكن أن تقررَ فعل ما تريد. لكن لو أراد الله أن تكون الحياة كالمنتجع، كانت لتكون كذلك.

إدراك العلامات

الآن تمسك بالمبدأ هنا، فالبركات التي وهبها لك الله في أسرتك، وعملك، وبيتك، وكنيستك، وأصدقائك، ومجتمعك يُقصد بها أن تحقق شيئًا لأجلك. المقصود بها أن توجهك إلى بركات أشمل وأعمق من حضور السيد يسوع المسيح في حياتك. فهو الحياة! الحياة السعيدة ليست شريك حياتك، وأطفال، ومنزل، وسيارة، وممتلكات، ووظيفة، وأصدقاء، أو كنيسة. لكن الحياة السعيدة

هي في يسوع المسيح! الحقيقة المدهشة إنه لنا ونحن له! هذا هو الخبز الذي يستحق الحياة لأجله، وليس خبز البركات المادية، لكن الخبز الروحي، فالمسيح يهبنا الخبز الأرضي. والبعض منا متحمس للمسيح بسبب اعتقادنا أنه سيعطينا المزيد من الخبز المادي، فنسقط في إحباط روحي عندما يُنزع الخبز المادي كي نصبح مجددًا أكثر جوعًا للخبز الذي يشبعنا بالفعل. هل تستطيع أن ترى ما وراء الخبز المادي وأن ترى المسيح وأمجاد نعمة؟ أم تريد أن تستهلك الخبز المادي دون أي رغبة في البركات الروحية الذي يعطيها لنا: محبة، فرح، سلام، طول أناة، لطف، صلاح، أمانة، وداعة، وتعفف؟

في يوحنا ٦، يقول يسوع، «أنا هو خبز الحياة.» اسأل نفسك هذا السؤال: إلي أي خبز تجوع؟ ما نوع الخبز الذي أريد بالفعل أن أتغذى عليه؟ أنا لا أقول أن الأشياء المادية ليست لها أهمية أو أننا لا يجب أن نسعى لتحسين معيشتنا (زواجنا، ووظائفنا، وكنائسنا، وأسرنا، إلخ...)، لكنني أعتقد أنه يمكننا أن نفقد الهدف. فنحن أيضًا يمكننا أن نرى المعجزات ونفقد الإشارات، يمكننا أن نبتهج بالوظائف التي وهبت لنا، والعلاقات التي استردت، والمنزل الذي أعطي لنا، والفواتير التي دُفعت ونفشل في أن نجوع للبركات الروحية التي تمثلها الأحكام المادية. فمن الممكن أن نصبح فقط مثل الجموع الذين تبعوا يسوع ليبقوا بطونهم ممتلئة. فهم لا يريدونه بالفعل كملكًا عليهم، بل يريدوه أن يكون النادل الأعظم، ومكرسًا لحصولهم على الاكتفاء المادي.

وكثيرين منا يأتون ليسوع اليوم بسبب التمسك بأحلامنا ونحن نريد أن يساعدنا يسوع بطريقة ما للحصول عليها. لكن لو كنا أمناء، يجب أن نعترف أن هذا كل ما نريده منه فعليًا، ولو لم نحصل على ما نريد، سنصبح في حالة مزرية من الإحباط.

إن كنا نحيا للخبز الأرضي ونراه مصدر الحياة، سنقع في مشكلة كبيرة حين لا نحصل عليه، لكن إن كنا نحيا على الخبز الروحي، وفي تواصل أعمق مع يسوع المسيح، ستصبح حياتنا (بكل ما فيها من مشاكل) أماكن رائعة للمعرفة والنمو في تبعية الشخص الذي منه الحياة. سنعيش في سعي للخبز الحقيقي في غرفة النوم، والمطبخ، وأماكن العمل، وأحياء السكن، ومداخل الحياة. وذلك سيكون له آثار على أحاديثنا.

عندما يكون لك مجتمع من الأشخاص (أسرة، أصدقاء، جسد المسيح) مرتبطون بالمسيح، ويسعون وراء معرفة أفضل له، ويريدون أن تعبّر حياتهم عن تسبيح، وتعبد، وتمجيد لشخصه، فكلامهم سيكون له تأثير. وكلماتهم ستشجعك وتقويك، وسيختبرون وَحدانية وحميمية التبعية التي لا يعرفها العالم. وعندما نطلق أحلامنا وتوقعتنا الشخصية، يمكننا أن نختبر وًحدانية الروح التي وهبت لنا كأولاد لله.

في المقابل، الأشخاص الذين يركزون على الخبز المادي سيأكلون بعضهم البعض، وسيكون كلامهم عالم من المتاعب كما وُصِفَ

في يعقوب ٣، لأن هذا الخبز لا يمكن أن يشبع، ومحبة هذا الخبز المادي ستجعلك متعال على من حولك، وتمتص دماء الآخرين، على الرغم من أنهم لن يستطيعوا أبـدًا، أبـدًا، أبـدًا، أبدًا إعطاءك ما يكفي. فهناك خبز واحد فقط ــ إنه يسوع. والحياة توجد في التغذية منه بالإيمان، ولا يوجد طريق آخر.

التلاميذ المحبطين

هل تتذكر ماذا حدث عندما أعلن يسوع هذه الرسالة؟ قال يسوع للجمع، «**إِنْ لَمْ تَأْكُلُوا جَسَدَ ابْنِ الإِنْسَانِ وَتَشْرَبُوا دَمَـهُ، فَلَيْسَ لَكُمْ حَيَاةٌ فِيكُمْ.**» (يوحنا ٦: ٥٣). ليس فقط الجموع تخلت عنه، إنما كثيرين من تلاميذه أيضًا (عدد ٦٦). لقد قالوا، «**إِنَّ هذَا الْكَلاَمَ صَعْبٌ! مَنْ يَقْدِرُ أَنْ يَسْمَعَهُ؟**» لقد كانوا على حق، فصعوبة دعوة الكتاب المقدّس هو أن الله أرسل ابنه ليس حتى يمكننا من تحقيق مخططاتنا، إنما لنكون جزء من مخططاته هو.

أشجعك كقارئ أن تبدأ هنا بأمانة متواضعة. ما هو حب قلبك الحقيقي الذي يكشف عنه كلامك؟ ما هو الجوع الداخلي العميق الذي تحيا لتشبعه؟ هل هو جوع للمسيح؟ لو كان هو الذي يعطش له قلبك، فهناك فرص رائعة للنمو في النعمة والحكمة في وسط كل أنواع الصعاب. هذه الخبرات يذكرنا بها بطرس، أنها أرسلت في طريقنا بواسطة الله الذي يفتقدنا بالحب الفدائي. فهو يكمل عمله الخلاصي الذي ابتدائه فينا، وسنقع في تجارب باستمرار، لأن الحياة ليست منتجعًا،

إنما طريق وعر يقودنا لنشابه المسيح. ويمكننا أن نواجه الصعاب بفرح حقيقي، ونعلم أن كل ضربة وجدت في طريقنا بواسطة أب سماوي محب لصالح افتدائنا.

في أحد المرات تحدثت مع سيدة كانت متزوجة منذ عدة سنوات، وقد تزوجت من شخص يمكنني أن أقول عنه بكل أمانة أنه رجل سيء، دائمًا غاضب، ومسيطر، ومتلاعب، ودائمًا يقول ويفعل أشياء مؤلمة. وفي أثناء ذلك كانت هي تحلم بزوج مثالي وتشعر بمرارة بسبب بركات النساء الأخريات في الكنيسة، حتى أنها قالت أنها لن تذهب للكنيسة للعبادة مجددًا، ولقد شعرت أن الله تخلّى عنها كثيرًا جدًا، لذلك لا تستطيع أن تقرأ الكتاب أو تصلّي.

وأنا أردت أن تفهم هويتها في المسيح وحب الله، أردتها أن تفهم أن الله هو الحصن والقوة، ومتواجد دائمًا للمساعدة في المصاعب، لذلك ذكرت لها بعض الفقرات التي تتحدث عن محبة الله المذهلة عندما كنت في منتصف آية كتابية، قالت «توقف!» فنظرتُ إلي وجهها الغاضب. قالت، «لا تخبرني المزيد عن أن الله يحبني. أنا أريد زوجًا يحبني!» وطرقت بقبضتها علي الكرسي وهي تتكلم.

لقد تعلّمت شيئًا ذلك اليوم، هي أن المستوى الذي تضع أساس حياتك فيه على شيء آخر غير الله، هو نفس المستوى الذي لن تستطيع أن تعزيك فيه محبة الله ورجاء الإنجيل. فلن ترتاح بسبب جوعك لنوع آخر من الخبز. فأنت تتطلع للملك الذي يعطيك الخبز الذي تشتهيه، هذا الخبز ربما يكون علاقة، أو ظرف، أو مركز.

ربما يكون حب إنساني واحترام، أو شهوة انتقام، أو حالة اقتصادية معينة. وحرفيًا يمكن أن يكون أي شيء في الخليقة! هناك نوعان فقط من الخبز: المسيح خبز الحياة، وأي شيء آخر. ونحن نرسخ قلوبنا عليه أو على شيء آخر.

لقد تعلمت شيئًا أخر في ذلك اليوم، أن كلمات السيدة الغاضبة تكشف حب قلبها الحقيقي، وحلمها، والخبز الذي يشتهيه قلبها. وبالتأكيد أنها قالت أنها كانت مؤمنة؛ لقد احترفت الإيمان بحقائق الكتاب المقدّس. ربما قالت أنها تحب الله، لكن مع ذلك، كانت صلواتها لا تعبر عن شكر، إنما قائمة من الحاجات الملحة في صورة طلبات، وكشفت كلمتها في هذا اليوم أنه على الرغم من احترافها الإيمان، إلا أنها كانت فعليًا تبحث عن ملك يحقق لها مطالبها، لقد توقعت أن الله سيحقق حلمها وكانت غاضبة لأنه لم يفعل. لم يكن لديها عيون لترى أن خلال مركبة الزواج الصعب، فإن ملكها يشتهي أن يعطيها شيئًا أفضل. عندما ننظر لحياتنا وكل ما نحيا لأجله، نحتاج أن نسأل، لمن حلمنا؟ ولأي خبز نسعى؟

> السؤال المطروح أمامنا هو: ماذا يحدث لنا عندما لا نحصل على أحلامنا؟ هل ننغمس في الشفقة على الذات؟ هل ننتقد ونلوم من حولنا؟ هل يبتلعنا الحسد والطمع؟ هل نبدأ في تفعيل الشك في صلاح وأمانة، ومحبة الله؟ هل نجد أنه من الصعب أن نعبد، ونسبح، ونقرأ الكتاب المقدّس، ونصلّي، ونتبع المؤمنين الآخرين، أو نشارك

الإنجيل مع الذين لا يعرفون الله؟ ما الذي تخبرنا إياه كلماتُنا؟ هل تخبرننا بأننا نحيا للخبز الأرضي؟ صلاح الله، ومحبته، وقوته، وعظمته، ودعوته لنا لا تتغير في غياب الخبز الأرضي. إذا كان هو هدف جوعنا، فيمكننا أن نختبر الفرح حتى في وسط المتاعب. أي خبز نسعى ورائـه؟ ما الـذي يظهر من تفاعلاتنا وكلماتنا؟ ربما كثير منا، حتى لو لم يتركوا الملك بجسدهم، لكنهم فقدوا حماسهم لنعمته ورحمته لأن تبعيته لم تقودهم لتحقيق أحلامهم. وفي قلوبنا أيضًا تركناه، مثل التلاميذ الذين مضوا حزانى عندما دعاهم إلى تعهد بالإيمان.

ماذا يحدث عندما تتلاشى أحلامنا؟

نظر النبي حبقوق في العهد القديم حوله إلى أناس الله وقال، «يا رب، أنا لا أفهم ما يحدث هنا. لقد وافقت وسمحت لشعبك أن يكون ضعيفًا جدًا. لماذا سمحتَ بهذا؟ لماذا لا تفعل شيئًا تجاه خطية شعبك؟ «فأجابه الله، «أنا سأفعل شيئًا. سأرسل شرًا، وشعبًا عنيفًا من الشمال ليبيدوا ويهلكوا شعبي.»

لم يصدق النبي ما سمعه! عندما سأل الله أن يفعل شيئًا، كان يعتقد النهضة ـــ القضاء لم يكن في مخيلته! لقد احتج، «يا رب، كيف تفعل هذا؟ كيف تستخدم أُمة أكثر منا شرًا لتحكمنا؟ هذا غير منطقي!» جـادل النبي الله وفي منتصف جداله، أعلن الله قوته ومجده لـه. وأنهى «حبقوق» كتابه بهذه الكلمات الثمينة:

«فَمَعَ أَنَّهُ لاَ يُزْهِرُ التِّينُ، وَلاَ يَكُونُ حَمْلٌ فِي الْكُرُومِ. يَكْذِبُ عَمَلُ الزَّيْتُونَةِ، وَالْحُقُولُ لاَ تَصْنَعُ طَعَامًا. يَنْقَطِعُ الْغَنَمُ مِنَ الْحَظِيرَةِ، وَلاَ بَقَرَ فِي الْمَذَاوِدِ، فَإِنِّي أَبْتَهِجُ بِالرَّبِّ وَأَفْرَحُ بِإِلهِ خَلاَصِي. اَلرَّبُّ السَّيِّدُ قُوَّتِي، وَيَجْعَلُ قَدَمَيَّ كَالأَيَائِلِ، وَيُمَشِّينِي عَلَى مُرْتَفَعَاتِي.»
(حبقوق ٣ : ١٧-١٩)

وصف النبي الهلاك التام للحرث الزراعي. فلم يبقى شيء — لا نباتات، ولا أشجار، أو حيوانات. لم يعد هناك خبز مادي. وفي مقابل هذا، قال حبقوق، «يا رب، علي الرغم من كل شيء يحدث، لازلت أبتهج لأنك، مخلّصي وسيدي، حياتي وقوتي، ولا تزال موجودًا هنا!»

إذا تفتت حلمك، إذا لم يعد هناك أي شيء، هل ستنتفض في وسط دموعك وتقول، «أنا ممتلئ بالفرح، بسبب أن الله سيدي، سيد حياتي، الله قوتي، وممجد، في وسط كل هذا الضياع والتدمير، هو لديّ»؟

فبإمكانك أن تتبع حلمك، أو حلم الله لأجلك. يمكنك أن تسأله أن يجعلك تشابه صورته، لذلك تصبح حياتك وكلماتك تسبحه أكثر فأكثر. أو يمكنك أن تتمنى أن المسيح يتكيف مع هدف وتركيز حلمك. لمن الحلم الذي تسعى لأجله؟

ليساعدنا الله لكي نكون أناسًا يفهمون الإشارات وراء المعجزات، من ينظرون للبركة الأرضية ويقولون «هذه البركات توجهني إلى حقيقة أعمق وأشمل عن المسيح في حياتي. ما أجوع له وما أريده أن يكون محور حياتي هي تبعيته، وحبه، وطاعة إلهي

يسوع المسيح.» صلاتي أن نكون أنا وأنت من الناس الذين يتبعون المسيح حتى عندما لا يوجد حصاد، ولا حيوانات، ولا خبز. وصلاتي أن نكون من الناس التي تستيقظ في الصباح وتقول، «أنا ممتلئ بالفرح! أنا ابن الملك. هو حياتي وسأتبعه بالإيمان.»

أحلامك وكلامك

وكما أنه بإمكانك التوقع أن الحق في يوحنا ٦ له نتيجة في طريقة تفكيرنا في التواصل. فإن يوحنا ٦ يوجهنا للموضوع الأساسي لكلماتنا: فإن كلماتنا تتشكل بالأحلام التي تملأ قلوبنا. إنها تتحدد بالخبز الذي نسعى لأجله.

خذ الزوج والزوجة، علي سبيل المثال. فلو تمسّك كل منهما بأحلامه الشخصية، أي أن يكون الغذاء الخبز الأرضـي، فحتمًا سيختبران الإحباط وخيبة الأمل تجاه بعضهما، والمزيد من الاختلافات حين تتصادم أحلامهما. وعالم كلامهما سيكون بالتأكيد عالم من المصاعب. وسيجدون أنفسهم أن كل منهما يلعن الشريك الذي أعطاه الله له وأحيانًا يسبون الله باستياءٍ مطلق. إن ألسنتهم ستنضبط فقط عندما تكون قلوبهم خاضعة لحكم الملك، وحلم الملك، وخبز الملك.

ونحن كخطاة نميل لحماسة تبعية الملك لكل الأسباب الخاطئة. وهذا يصيب كلماتنا بسم من الأنانية ويضعف تسبيحنا لله وخدمتنا للآخرين في حياتنا. فنحن لم نعد نجد الفرح في أن نكون تلاميذه،

وأيضًا سنذهب بحزن بعيدًا عندما تكشف كلماتنا أننا تركنا مكان الرجاء، والحق، والراحة في الملك لنتغذى على الخبز الذي لن يُشبع أبدًا، نحتاج أن نعود إليه ونصلّي،

«يا رب، من السهل أن نتمسك برغباتنا وأحلامنا. ومن السهل جداً أن أفكر فيك أنك لست أكثر من المحقق لهذه الأحلام. عادة نكون متحمسين بكثرة ونفقد الرؤية للحقيقة الروحية وراء العطايا التي تهبنا إياها.

يا رب، نحن نصلّي ألا نتبع فقط آمالنا وأحلامنا، لكن يكون لدينا جوع وعطش ليسوع المسيح، ورغبة لمعرفة مشيئته في كل مجالات حياتنا. ربما نقف ورائك بمحبة ونسلّم بفرح، ونتغذى منك بالإيمان. ولنكون أقوى في الفرح، والإيمان، والشجاعة، والخضوع حتي عندما لا نختبر الخبز المادي. في وسط التجارب نقول لك وعنك، «أشكرك يا رب، من أجل محبتك. أشكرك لأنك منهمك في إتمام عملك الفدائي في داخلنا» لذلك نحتاج مساعدتك ونصلّي أن كل هذا يكون لمجد اسمك. آمين.»

على المستوى الشخصي:

الوصول لصميم كلامك

كيف نعلم ما الذي يحكُم قلوبنا بالفعل؟ اسأل نفسك هذه الأسئلة:

ما الذي يحدث لصلواتي وكلامي مع الله عندما لا أحصل على ما أريد؟

كيف أتحدث مع الآخرين عندما يبدو أنهم يقفون في طريق حلمي؟

ما الذي يحدث لكلامي عندما تكون الظروف صعبة ومحبطة؟

ماذا يحدث لكلامي عندما أرى الآخرين يتباركون وأنا أصارع؟

كم المرات التي يكون تركيز صلواتي على عمله الأعمق في داخل قلبي وأيضًا التركيز على النطاق الواسع لأمور ملكوته؟

كم من مرة عبر كلامي فيها عن روح الشكر والابتهاج؟

هل تشجع كلماتي الآخرين على وضع ثقتهم وراحتهم في الله؟

كم مرة يكون التذمر والشكوى جزءًا معتادًا من أحاديثي اليومية؟

هل كلامي يدل على لطف، ووداعة، وطول أناة؟

هل أحاديثي موبوءة بكلمات من المطالب الملحة، والنقد، وضيق الصدر، وإلقاء التهم، أو الإدانة؟

ماذا يحدث لكلامي عندما يخطئ الآخرون في حقي؟

ماذا يحدث عندما لا تُستجاب صلواتي كما ينبغي؟

في خلال بحثي عن إجابات متواضعة لهذه الأسئلة، ما هي أحلام قلبي التي انكشفت؟ وكيف أتعامل معها؟

الفصل السابع

التحدث نيابةً عن الملك

«دُفِعَ إِلَيَّ كُلُّ سُلْطَانٍ فِي السَّمَاءِ وَعَلَى الأَرْضِ، فَاذْهَبُوا وَتَلْمِذُوا جَمِيعَ الأُمَمِ...» (متى ٢٨: ١٨)

نحن نعيش في عصت تنتشر فيه التكنولوجيا في كل مكان، كما لو كانت حياتنا مسجلة على شريط. فالعائلات أصبحت تسجل فيديو للرحلات، وحفلات أعياد الميلاد، والأجازات، والأوقات المرحة، حتى أنهم يخفون كاميرا الفيديو في الغرف لمتابعة جليسة الأطفال ولتأكد من أنها لا تمس الأطفال بسوء. وهناك كاميرات مراقبة في المتجر، والسوبر ماركت، والبنك. ولا شيء من أي نوع يحدث في المجتمع ـ من احتفال، واستعراض، ومطاردات الشرطة، وانتخابات، وحادثة، وحريق، أو كارثة طبيعية ـ من دون كاميرا فيديو تستخدم لتسجيل اللحظة.

وقفت في أحد الأيام على جسر أشاهد شخصًا يصور اصطياده للسمك بكاميرا الفيديو، وعندها فكرت في هذا السؤال: لو شاهد أحدهم تسجيل عن حياتي، ما المعلومات التي سيستنتجها عني؟ ماذا سيقولون عما أحيا لأجله؟ ماذا سيقولون عن مهمتي في الحياة؟

وذهب ذهني لأبعد من هذا، كيف يشاهدون تفاعلاتي مع الناس؟ على سبيل المثال، ماذا سيقولون عن الطريقة التي كنت أعامل بها أسرتي؟ ماذا سيفهمون عن زواجي، عن أبوتي، ولعلاقاتي مع أقربائي؟ ما الذي سيستنتجونه من الغرض الذي أحيا لأجله؟

كمُشير، أجد عادة أنه عندما يخبرني شخص بقصته، يصف بطريقة أفضل الأفعال، وردات الأفعال، وكلمات الآخرين أكثر من نفسه. وأنا دائمًا أجد نفسي أقول، «أتعلم لقد شاهدنا تسجيلًا لحياتك، لكن هناك شيء يثير فضولي: أنك لم تكن فيه! لقد وجدت فيه كل الأشخاص المهمين في حياتك، بكل ردات أفعالهم وكلماتهم، لكن أنت لم تكن فيه. دعنا ندير الكاميرا لنرى كيف تتعامل مع كل ما يحدث في حياتك. لنرى ما المهم بالنسبة لك وكيف تتعامل مع المواقف والعلاقات التي تواجهها كل يوم.»

أود أن أفعل نفس الأمر معك كقارئ، دعني أشجعك لتركز بطريقة عملية على أحاديثك. فإن شاهدت تسجيلًا لحياتك وبالأخص عن تعاملاتك مع الأشخاص المهمين في عالمك، فماذا سأجد؟ ما الذي سأفكر أنك تسعى لإتمامه؟ ما الأمر الذي سأستنتج أنه مهم بالنسبة لك؟

هذا الفصل يتحدث عن إرسالية الله لأفواهنا. فلقد بدأنا هذا الكتاب بالقول أن كلماتُنا تنتمي لله، وخلقت بواسطته، ووجدت من خلاله، وتستخدم لأجله، لقد وهبنا القدرة على التواصل كي تساعدنا كلماتنا

لإتمام عمله وتجلب المجد له. وهو المصدر، والمقياس، والهدف لكل كلامنا. هو سيد أفواهنا! لذلك، من المهم أن يكون لدينا فهم واضح لقصده في هذا الموضوع، وعندما نفعل، نحتاج أن نراجع تسجيلاتنا ونسأل، هل نتحدث نيابة عن الملك؟

عندما نتحدث عن إرسالية الله لأفواهنا، نحن نتحدث عن المسئولية التي وُهبت لنا لنحملها. والإرسالية عبارة عن مجموعة معينة من الأهداف التي تعطي نظام أو هدف لما يفعله شخص أو مجموعة، إنها تكليف خاص، دعوة داخلية لإتباع أنشطة معينة. وسؤالنا هو، ما هي إرسالية المتحدث الأعظم لأفواهنا؟ نريد إجابة واضحة لهذا السؤال قبل أن ننظر لكل الفقرات العملية عن التواصل في الكتاب المقدّس. نحتاج أيضًا أن نرى كيف يسعي المخادع الأعظم لجذبنا بعيدًا عن هدف الله لكلامنا.

لا توجد فقرة أكثر وضوحًا وإيجازا تُعرّف إرسالية الله لكلامنا أكثر من كورنثوس الثانية ٥: ١١-٢١

«فَإِذْ نَحْنُ عَالِمُونَ مَخَافَةَ الرَّبِّ نُقْنِعُ النَّاسَ. وَأَمَّا اللهُ فَقَدْ صِرْنَا ظَاهِرِينَ لَهُ، وَأَرْجُو أَنَّنَا قَدْ صِرْنَا ظَاهِرِينَ فِي ضَمَائِرِكُمْ أَيْضًا. لأَنَّنَا لَسْنَا نَمْدَحُ أَنْفُسَنَا أَيْضًا لَدَيْكُمْ، بَلْ نُعْطِيكُمْ فُرْصَةً لِلافْتِخَارِ مِنْ جِهَتِنَا، لِيَكُونَ لَكُمْ جَوَابٌ عَلَى الَّذِينَ يَفْتَخِرُونَ بِالْوَجْهِ لاَ بِالْقَلْبِ. لأَنَّنَا إِنْ صِرْنَا مُخْتَلِّينَ فَلِلّهِ، أَوْ كُنَّا عَاقِلِينَ فَلَكُمْ. لأَنَّ مَحَبَّةَ الْمَسِيحِ تَحْصُرُنَا. إِذْ نَحْنُ نَحْسِبُ هذَا: أَنَّهُ إِنْ كَانَ وَاحِدٌ قَدْ مَاتَ لأَجْلِ الْجَمِيعِ،

فَالْجَمِيعُ إِذًا مَاتُوا. وَهُوَ مَاتَ لأَجْلِ الْجَمِيعِ كَيْ يَعِيشَ الأَحْيَاءُ فِيمَا بَعْدُ لاَ لأَنْفُسِهِمْ، بَلْ لِلَّذِي مَاتَ لأَجْلِهِمْ وَقَامَ. إِذًا نَحْنُ مِنَ الآنَ لاَ نَعْرِفُ أَحَدًا حَسَبَ الْجَسَدِ. وَإِنْ كُنَّا قَدْ عَرَفْنَا الْمَسِيحَ حَسَبَ الْجَسَدِ، لكِنِ الآنَ لاَ نَعْرِفُهُ بَعْدُ.إِذًا إِنْ كَانَ أَحَدٌ فِي الْمَسِيحِ فَهُوَ خَلِيقَةٌ جَدِيدَةٌ: الأَشْيَاءُ الْعَتِيقَةُ قَدْ مَضَتْ، هُوَذَا الْكُلُّ قَدْ صَارَ جَدِيدًا. وَلكِنَّ الْكُلَّ مِنَ اللهِ، الَّذِي صَالَحَنَا لِنَفْسِهِ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ، وَأَعْطَانَا خِدْمَةَ الْمُصَالَحَةِ، أَيْ إِنَّ اللهَ كَانَ فِي الْمَسِيحِ مُصَالِحًا الْعَالَمَ لِنَفْسِهِ، غَيْرَ حَاسِبٍ لَهُمْ خَطَايَاهُمْ، وَوَاضِعًا فِينَا كَلِمَةَ الْمُصَالَحَةِ. إِذًا نَسْعَى كَسُفَرَاءَ عَنِ الْمَسِيحِ، كَأَنَّ اللهَ يَعِظُ بِنَا. نَطْلُبُ عَنِ الْمَسِيحِ: تَصَالَحُوا مَعَ اللهِ. لأَنَّهُ جَعَلَ الَّذِي لَمْ يَعْرِفْ خَطِيَّةً، خَطِيَّةً لأَجْلِنَا، لِنَصِيرَ نَحْنُ بِرَّ اللهِ فِيهِ.»

دُعينا لنكون سفراء

توجهت في أحد ليالي الخميس لغرفة ابني لألقي عليه السلام ولأناقش بعض الترتيبات التي يجب أن تتم لعطلة نهاية الأسبوع. فطرقت على بابه، ودخلت الغرفة، فواجهت مشهد دمار كامل! لم أعرف كيف يجد ملابسه (أعتقد أن جميعها كانت على الأرض في هذه اللحظة) أو كيف يجد سريره للنوم (جزءًا منه ظاهر تحت الأنقاض). لقد كان هناك كتب أصدقاءه، وأحذية، ومجلات، وآلات موسيقية، وأقراص مدمجة، وقطع لوح التزحلق، وحشد من أشياء لا أعرفها. وقتها غضبي وخيبة أملي ظهرا في الحال. وأتذكر وقتها أنني فكرت هكذا، كيف يعيش في وسط هذه الفوضى ولا ينزعج من كل هذا!

وعلى الرغم من إلقاءه التحية بدفء إلا إني لم أهتم! لقد نسيت كل شيء عن إلقاء التحية أو سؤاله عن يومه. وبدلاً من ذلك قمت بإلقاء خطبة مسهبة عنيفة على وضعية غرفته وكيف أنها بالتأكيد تنعكس على وضعية حياته (ذلك لم يكن صحيحًا في الواقع)، وذكرته بغضب بكم العمل الذي تعبت فيه من أجل إمداده بالأشياء المنتشرة في كل مكان. وسألته كيف سيكون الوضع لو تركنا أنا وأمه البيت كله بهذه الطريقة. لقد كنت أحاضره وأسأل أسئلة ــ أسئلة لم أعطي له وقت للإجابة عنها بسبب أنها لم تكن أسئلة حقيقية، لقد كنت فقط أنفس عن غضبي، لقد أخبرته أنني لا أعلم كيف يستطيع الوقوف في هذه الغرفة بالوضع التي فيه، لكنني علمت أنني لا أستطيع. لقد أخبرته من الأفضل أن ينظف غرفته سريعًا ورحلت.

وذهبت للرواق أشعر بالغضب والحماقة وألقيت بنفسي على الأريكة بغرفة المعيشة، وقد صدمت وقتها لدرجة أنني لم أناقش أي شيء مما كنت أعد لمناقشته. وقد فعلت أفضل ما لديّ لأبرر تصرفي: (١) الغرفة كانت في حالة فوضى (صحيح جدًا)، (٢) لقد كان دليل على ضعف من جانبه في أمور الإشراف (صحيح)، (٣) لقد كان بحاجة لشخص يواجهه بهذا الموضوع (أيضًا صحيح). لكن مع كل هذا، علمت أن ما فعلته كان خطأ. هذه المواجهة لن تنتج تغييرًا إيجابيًا في حياة ابني، ولقد عرفت أن الله غير راض. وعندها صلّيت طالبًا الغفران، واستجمعت أفكاري ، ذهبت مجددًا في حديث مع ابني بالطريقة الصحيحة.

كلمات بولس في كورنثوس الثانية ٥ تشرح بالتفصيل ما الخطأ في «حديثي» في هذه الليلة. إن كنا نريد التحدث وفقًا لمقاييس الله وتصميمه، نحتاج أن نفهم المبادئ العملية التي تنبع من هذه الفقرة.

نحتاج أن نتكلّم بإدراك أننا سفراء الله. السفير السياسي هو الشخص الذي دعي من موطنه ليحيا في موطن آخر ويمثل رسالة، وأساليب، وشخصية قائده (رئيس الدولة، الملك، رئيس الوزراء، إلخ...). ورسالة بولس هنا جذرية ودرامية: لقد دعينا لنكون سفراء عن الملك! الله وضعنا في المكان الذي يريد أن نمثله فيه. إذا أردت أن أتكلم في أي وقت كما رُتب لي أن أتكلم، فيجب أن أكون على علم بوضعي كسفير. فأنا في المكان الذي فيه بسبب أنني دعيت لأمثل الله. يقول بولس هذا للمسيحيين المؤمنين، إن الحياة القديمة المبنية حول المصلحة الذاتية قد مضت، ونحن الآن مخلوقات جديدة؛ فالعتيق قد مضى. الموت والهلاك هما الحياة التي أخدم فيها فقط رغباتي الشخصية وفعل أي شيء للحصول علي ما أريد. بينما يقول بولس أننا تصالحنا مع الله وهذا أعطانا خدمة جديدة ــ عمله للمصالحة.

نحن لم نعد أحرارًا لنقدم مصالحنا الشخصية في كلامنا، يجب أن يكون تواصلنا دائمًا طبقًا لجدول أعمال السفراء من حيث (الإرسالية، والأساليب، وشخصية الملك). لكن نحتاج أن نكون أمناء هنا، لا يوجد موقف في الحياة دون صراع بين مصالحنا الشخصية والله. فهناك دائمًا أشياء نريدها بطريقة معينة وفي أوقات معينة،

من السهل دائمًا الابتعاد عن مشيئة الله تجاهنا، والتحول بين الاثنين يمكن أن يكون ماكر وخـادع، خاصة أنه منذ ذلك الحين لا يزال المؤمنين غير أحرار من خطية المصلحة الذاتية. إنـها تبقى واحدة من خطايا القلب الأساسية التي تكمن خلف كلماتنا، ووظيفة السفير تخاطب بوضوح مشكلة نزعة المصلحة الذاتية، فلا يمكنك أن تكون سفيرًا ناجحًا لو أن تحركّك الرئيسي كان بدافع مصلحتك الشخصية! لا يمكن أن تكون سفيرًا لبعض الوقت. ويجب أن تتذكر دائمًا أنك في المكان الذي أنت فيه بسبب أنك مندوب. لقد أرسلتَ بواسطة الملك لتتحدث نيابة عنه.

هناك طريقة أخرى لتفكر بها حيال هذه الدعوة لنكون سفراء، لقد دعينا لنمثل الملك بطريقة تجسده، تجسده تعني أن ندمجه بتكويننا البشري، لنلعب دوره، وهذا المركز لهو شرف مهيب وهب لخطاة غير مستحقين. لو استطعنا فهم روعة كل هذا، سنكون مندهشين من أننا نستطيع أن نفعل أو نقول أي شيء يمكن أن يصور مجد الله! لكن هذا هو ما اختار الله أن نفعله: أن نجسد مهمته، وأساليبه، وصفاته على الأرض. نحن يديه، وعينيه، وأذنيه، وفمه، نحن نلبس لحمًا ودمًا من أجله ولما يريده لكل ما حولنا. ولقد دعينا لنقدم شخصه ونجعله معروفًا، ومسموعًا، ومرئيًا، هذا كان وصفًا لوظيفتي في الليلة التي ذهبت فيها لغرفة ابني، لكنني فقدت كل إدراك لدعوتي، لقد كنت ممتلئًا بمصلحتي الشخصية، ولم يكن هناك تجسيد للمسيح في كل كلماتي.

عندما نحيا ونتكلم بتجسد، نعكس عمل المسيح على الأرض: قد جاء ليُعرّفنا بالأب. وبينما هو بيننا قال يسوع، أن الأعمال التي أفعلها والكلمات التي أنطقها ليست مني، أنما أتت من الآب (انظر يوحنا ١٤: ٥-١٤). كان يسوع ملتزمًا بمشيئة أبيه في الأشياء التي فعلها وقالها بسبب أنه فهمَ أن مهمته كانت التجسد. لقد أخذَ جسدًا ليجعل الله معروفًا. والآن بنفس الطريقة التي أعلن بها المسيح عن الآب، نحن دُعينا لنجسد يسوع، الذي صالحنا وافتدانا. لهذا السبب كلماتنا دائمًا لديها جدول أعمال أسمى من أهدافنا وشهواتنا.

أنا أحب الطريقة التي تحدث بها بولس عن جدول أعمال التجسد الأسمى، قال «**كَأَنَّ اللهَ يَعِظُ بِنَا**» (كورنثوس الثانية ٥: ٢٠). التحدث كسفير يعني أننا دائمًا نسأل عنما يريد أن يتممه الله في قلوبنا وقلوب مستمعينا. ما العظة التي يناشدنا بها؟ الثلاث كلمات التي استخدمتها سيساعدونا هنا: الإرسالية، والأساليب، والصفات.

التحدث كسفير يعني التحدث بطريقة تمثل الإرسالية (التي هي إرادة وقصد) الملك، إنها تعني هذا التساؤل، هل كلماتي تصور ما هو مهم بالنسبة لله؟ إنها تعني أيضًا الاهتمام بأساليب الملك. وأيضًا التساؤل، كيف سيتجاوب الله مع هذا الشخص في ذلك الموقف؟ هنا ننظر لله كنموذج مطلق للسلوك. ودعوتنا هي أن نتجاوب كما يتجاوب، وأن نفعل كما يفعل، وأن نتكلم كما يتكلم. أخيرًا، التحدث كسفير يتطلب التفكير في صفات الملك. تمثيل الله ليس فقط مسألة

أهداف صحيحة وأساليب صحيحة، لكن اتجاه قلب صحيح أيضًا. هنا نسأل، عندما أتجاوب مع هذا الشخص في هذا الموقف، هل أمثل شخصية الملك بإخلاص (انظر كولوسي ٣: ١٢-١٤)؟ إذا سألت نفسي هذه الأسئلة في ذللك الليلة في غرفة ابني، لكنت غيرت كلماتي بطريقة درامية.

إرسالية الملك

يحتاج السفير أن يتكلّم بطريقة تنبع من فهمه بوضوح لإرسالية الملك. ما الذي يفعله على الأرض؟ في حياتنا؟ في هذا الموقف في هذه اللحظة؟ ما هي إرساليته؟ مجددًا، يشرح بولس هذا بوضوح جدًا لنا، ويخبرنا أن الله يعمل لكي «**يَعِيشَ الأَحْيَاءُ فِيمَا بَعْدُ لاَ لأَنْفُسِهِمْ، بَلْ لِلَّذِي مَاتَ لأَجْلِهِمْ وَقَامَ.**» (كورنثوس الثانية ٥: ١٥). يركز الله على قلوبنا ونزعتنا تجاه الوثنية. وكما رأينا في وقت سابق، الأقوى والأكثر انتشارًا بين كل الأصنام هو صنم النفس. كل الخطاة يخدمونها بطريقة ما، مثل آدم وحواء، كل خاطئ لديه رغبة في أن يكون الإله وأن يعمل العالم وفقًا لسعادته وإرادته، لكن يسوع عاش ومات وقام مجددًا ليكسر عبوديتنا لهذا الصنم، وهدفه لأجلنا أن الذين عاشوا لأنفسهم سيتغيرون بنعمته، لعبادته وخدمته وحده. وكلما يغيّرنا أكثر وأكثر نصير مثله، ونكون قادرين أن نمثله بالحق، وكسفراء له، ونكون قادرين على أن نتكلم بطريقة تساهم في تحقيق قصده في حياة الآخرين وحياتنا أيضًا.

لاحـظ أن الهدف من إرساليتنا هو القلب، فمركز العبادة إما أن يكون لله أو للأصنام. وكسفراء الله، يجب أن نتحدث بالقلب الموجود في المركز، وهذا لا يأتي بالفطرة للإنسان الحي، فمعظم الوقت، نتكلم حول الأمور المادية في حياتنا ــ الأشغال، والمنازل، والسيارات، والناس، والممتلكات. وتعكس كلماتنا محاولاتنا للحصول على ما نريد أو إحباطنا عندما نفشل. فالزوج يصرخ في وجه زوجته عندما تأخذ وقت طويل لتجهز للخروج، والأم تصرخ في وجه ابنتها بسبب غرفتها غير المرتبة، أو الابن الذي يشتكي من أن ملابسه تجعله يبدو كـالـ «غريب الأطوار.» والطفل الصغير ينفجر في البكاء عندما لا يذهب لزيارة متجر الألعاب المفضل لديه، أو الأب يفقد صوابه لأنه لا يستطيع أن يجد جريدته.

كل أنواع التواصل هذه، تركز على العالم المادي وتنبع من قلب يتعبد ويخدم الخليقة أكثر من الخالق. أنها بمهارة تؤله الخليقة وتنسى مشيئة الخالق ومجده. وبسبب أن هذا الكلام نفسه يعد وثنيًا، فالله لن يستخدمه أبداً ليتمم إرساليته التي تحرر الناس من عبوديتهم لكل هذه الأنواع من الأصنام.

جدول أعمال الله في هذه اللحظة يكون روحي بالأساس، فإنه يعلم أنه عندما يمتلك قلوبنا دون منازع سنرتبط بالعالم بالطريقة التي أعدها. ولهذا السبب، لا يركز الله على الحلول الوقتية فقط لمشاكلنا لكن على تغير يـدوم للقلب. فهو يريد أن يسترد قلوب شعبه

حتى يستطيعوا أن يخدموه وحده (انظر حزقيال ١٤: ١-٦). لتحقيق هذا، فهو مستعد أن يضحي براحتنا الشخصية. وسيسمح للمواقف أن «تضغط علينا» كما ضغطتني غرفة ابني الفوضوية، فهو يريد أن تنكشف خطايا قلوبنا لأننا نحتاج أن نراها لكي نتوب! وفي كثير من الأحيان، تنكشف قلوبنا بوضوح من خلال كلماتنا، عندما تكون كلماتنا تضر أكثر من أن تفيد، فعلى الأرجح أننا نتكلم ضد مشيئة الملك. على الأرجح، نخدم مصالحنا الشخصية بدلاً من أجندته لفدائنا. هذا ما يهتم به الله أكثر من أي شيء آخر.

في تلك الليلة في غرفة ابني، فقدت بالكامل إدراكي للصراع المحتدم من أجل قلب ابني، لم أراه كنفس خالدة. لم أراه كخليقة الله وعالق في صراع روحي، لقد نسيت أن صراعي ليس مع جسد ودم، إنما مع رياسات وقوى (أفسس ٦: ١٢). لقد نسيت من نكون في نظر الله. بدلاً من ذلك، فإنني قد انشغلت بـ (غرفة ابني) وكيف يتم التعامل معها. نعم لقد كنت في إرسالية ــــ ولسوء الحظ قد استطعت أن أعبر عن إرساليتي بشكل واضح جدًا! لكنني نسيت أن الله أوجدني هنا كسفير لأمثل إرساليته. وأنا قد فشلت في ذلك وفقدت فرصة رائعة لأصبح جزءًا من شيء أسمى، وأفضل، وأكثر روعة، واخترت الخبز المادي ونسيت عظمة خبز الحياة. هل حالة الغرفة كشفت أمرًا أحتاج أن انتبه إليه؟ نعم، لكن فقط بطريقة العبودية العظيمة التي تكسر إرسالية الملك.

أساليب الملك

يحتاج أن يتكلم السفير بـإدراك عن أساليب الملك. فالسفير ليس مدعوًا فقط ليقول ما سيقوله الملك، إنما يقوله بالطريقة التي كان سيتكلّم بها الملك، فنحن لسنا أحـرارًا لنتمم إرسالية الملك بالطريقة التي نراها مناسبة. والطريقة التي نفعل بها ما دعينا إليه يجب أن تكون متناسقة مع شخصيته وأهدافه. مجددًا، هذا جزء من أن حياة التجسد: فأساليب كلامنا يجب أن تعكس الطريقة التي يتعامل بها الله مع شعبه.

لنرجع للوراء لذلك المساء في غرفة ابني، فأنا لم أكن مخطأ فقط في الأهداف التي كنت أتبعها، لكنني كنت مخطأ أيضًا في أساليبي. فكيف كنت أسعى لأحدث تغيير؟ بواسطة الغضب، والذنب، والإدانة، والتهديد، والإنذار، وهذه كانت «أدواتي»، لكن الشخص الذي دعاني لأمثله لا يستخدم هذه الأدوات؛ إنها لا تحدث تغييرًا يدوم في القلب وذلك كان من المفترض أن يكون هو هدفي. سفر الأمثال يتحدث عن ذلك ويقول «**وَالْكَلاَمُ الْمُوجِعُ يُهَيِّجُ السَّخَطَ**» (أمثال ١٥: ١). أن ذلك يزيد من حدة العداء والدفاعية بـدلاً من أن ينتج جوًا من الصراحة والانفتاح الذي يأتي نتيجة للجواب اللين.

كيف يحقق الله تغييرًا يدوم في قلوبنا؟ أو، كما قالها بولس، كيف «يجبرنا» ألا نحيا لأنفسنا بل نحيا له؟ في

كورنثوس الثانية ٥: ١١-٢١ يُعلّمنا بوضوح أن الشيء الذي أجبر بولس ــ وأجبرنا ــ هو محبة المسيح. حقيقةً الشيء الذي يغيرنا ليس فقط سلطان الله، قداسته، كره الخطية، أو قدرته العظيمة، لكنه لطف الله الذي يقود الناس للتوبة، نحن نعلم هذا من رومية ٢: ٤، وأيضًا بولس يقول نفس الشيء لكورنثوس ــ إن محبة المسيح تجذبنا بعيدًا عن أنفسنا وتدفعنا للعيش معه، إن عظمة المسيح وحبه الواضح هو أكثر ما يجبرنا على التغيير ــ وأقوى الوسائل لإتمام إرساليته.

فكر في هذا للحظة، وفي كل أوضاع وظروف حياتك، لقد دُعينا لنتكلم بطريقة تصور محبة الله، يا له من مقياس عالٍ ومتواضع! من منا يمكنه أن يقول، «نعم يا رب، أنا أفعل هذا»؟ من منا لا يحتاج أن يبكي بأمانة ويقول، «يا رب، لقد سقط بعيدا عن دعوتك. تعال وكن قوتي أو أنني لن أستطيع أن أتحدث بطريقة تحكي عن مجدك وصلاحك»؟

يجب أن نعترف بتواضع أن أساليب الله التي يستخدمها ــ والتي دعانا لنستخدمها ــ مختلفة تمامًا عما نختاره بطبيعتنا، إنها ليست الإجابة الأولى الطبيعية أن أبارك شخصًا أساء معاملتي (رومية ١٢: ١٤). ولا يوجد نزعة لديّ لأن أغفر للشخص الذي أخطأ في حقي بنفس الخطأ سبع مرات في اليوم (لوقا ١٧: ٣-٤). وليس اختياري الأول أن أواجه الشر بالخير (رومية ١٢: ٢١) أو أن أتخلى عن ثأري لتحقيق السلام (أعداد ١٧-٢٠). أجد أنه من الصعب أن أكون صبورًا، ولطيفًا، ووديعًا، وأثابر تحت الاستفزاز

(أفسس ٤: ٢)، وبدلاً من أن أنتظر أن يأتي الشخص الذي أهانني أذهب أنا إليه (متى ١٨: ١٥-١٧). وأجد من الصعب أن أنهي نزاعًا وأستعيد علاقة قبل غروب الشمس؛ أريد أن أتشبث بالإهانات وأستعيد هذه الإهانات مرة تلو الأخرى بذهني (أفسس ٤: ٢٦-٢٧)، وأريد أن أحرك الناس بقوة جرحي وغضبي، بدلاً من الصبر والغفران بوداعة (يعقوب ١: ٢٠)، وأجد نفسي أتحدث بسرعة جدًا وأجد من الصعب أن أستمع بصبر وانتباه (عدد ١٩)، وأجد نفسي محاصر بحرارة اللحظة، بدلاً من أن أتراجع وأعد نفسي لأتكلم بطريقة الله (أمثال ١٥ : ٢٨).

لكن الله لا يفكر كما نفكر، هو لا يفعل ما نفعله نحن بالفطرة، وهذا هو سبب احتياجنا لفهم وتبعية أساليبه. فكما قال بولس في كورنثوس الثانية ١٠: ٤، «**إِذْ أَسْلِحَةُ مُحَارَبَتِنَا لَيْسَتْ جَسَدِيَّةً، بَلْ قَادِرَةٌ بِاللهِ عَلَى هَدْمِ حُصُونٍ.**» كسفراء نتخلّى عن أسلحة العالم غير الناجحة بل أيضًا المدمرة ونأخذ أدوات الإنجيل الذي وضعها الملك في أيدينا. وهو سوف يستخدمهما ليحدث تغييرًا في حياتنا ويجعلنا نشارك نفس العمل مع الآخرين.

يشير بولس لثلاث أدوات (أساليب) للتغيير في كورنثوس الثانية ٥: التضحية بالذات، والغفران، والمصالحة. ومن المفيد أن نفكر في هذه المصطلحات أنها ليست فقط أساليب، إنما أيضًا حدود لكلماتنا كسفراء له، ولا يمكن أن نسمح لأنفسنا أن نتكلّم كلمات خارج هذه الحدود. خذ لحظة وفكر فيما يعني هذا.

أولاً، من الواضح أن عمل المسيح الذي فعله في حياتنا يتطلب التضحية بالذات، فخلاصُنا يعني موته، وواضح من الكتاب المقدّس أيضًا أنه دعانا، كأتباعه، لنموت عن أنفسنا في سبيل خدمة ومحبة الآخرين كما أحبنا. والدعوة للموت عن الذات، والدعوة لنقدّم أنفسنا بعزم كخدام له، كان موضوعًا متناسقًا مع ما علّمه الرب لتلاميذه خلال فترة وجوده على الأرض (انظر متى ١٠: ٣٧-٣٨؛ ١٦: ٢٤-٢٨؛ لوقا ٩: ٢٣-٢٧؛ ١٤:٢٥-٢٧: ٣١-٣٣؛ يوحنا ١٢:٢٣-٢٦).

الله قد غيّرنا من خلال تضحيته بذاته، لقد أصبحنا شركاء في طبيعته الإلهية بسبب رغبته في أن يضع حياته لأجلنا! لو احتفظ المسيح بحقوقه وسلطانه كابن لله، سنصير بلا رجاء ومحاصرين في عبودية الخطية، ولكنا أصبحنا مقيدين للأبد في عبودية الخطية، لكن لم تكن إرادة يسوع أن يترك مجد السماء فقط ليعاني كإنسان في هذا الضعف في العالم الساقط؛ إنما كان يريد أيضًا أن يموت عن الخطايا التي لم يرتكبها! لقد كان في غاية الاستعداد ليضحي بذاته حتى يدعونا كسفرائه، وحتى تكون حياتنا مشجعة لعمله العظيم للتغيير في قلوب الناس. وتكلم بولس عن هذا لكنيسة فيلبّي:

«فَإِنْ كَانَ وَعْظٌ مَا فِي الْمَسِيحِ. إِنْ كَانَتْ تَسْلِيَةٌ (تعزية) مَا لِلْمَحَبَّةِ. إِنْ كَانَتْ شَرِكَةٌ مَا فِي الرُّوحِ. إِنْ كَانَتْ أَحْشَاءٌ وَرَأْفَةٌ،فَتَمِّمُوا فَرَحِي حَتَّى تَفْتَكِرُوا فِكْرًا وَاحِدًا وَلَكُمْ مَحَبَّةٌ وَاحِدَةٌ بِنَفْسٍ وَاحِدَةٍ، مُفْتَكِرِينَ شَيْئًا وَاحِدًا، لاَ شَيْئًا بِتَحَزُّبٍ أَوْ بِعُجْبٍ، بَلْ بِتَوَاضُعٍ، حَاسِبِينَ بَعْضُكُمُ الْبَعْضَ أَفْضَلَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ. لاَ تَنْظُرُوا كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى مَا هُوَ لِنَفْسِهِ،

بَلْ كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى مَا هُوَ لآخَرِينَ أَيْضًا. فَلْيَكُنْ فِيكُمْ هذَا الْفِكْرُ الَّذِي فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ أَيْضًا: الَّذِي إِذْ كَانَ فِي صُورَةِ اللهِ، لَمْ يَحْسِبْ خُلْسَةً أَنْ يَكُونَ مُعَادِلاً ِللهِ. لكِنَّهُ أَخْلَى نَفْسَهُ، آخِذًا صُورَةَ عَبْدٍ، صَائِرًا فِي شِبْهِ النَّاسِ.وَإِذْ وُجِدَ فِي الْهَيْئَةِ كَإِنْسَانٍ، وَضَعَ نَفْسَهُ وَأَطَاعَ حَتَّى الْمَوْتَ مَوْتَ الصَّلِيبِ.» (فيلبّي ٢: ١-٨).

لم يستطع أن يقاوم بولس هذه الدعوة لتبعية مثال المسيح في المحبة المضحية بالذات، يقول، «لاَ شَيْئًا بِتَحَزُّبٍ أَوْ بِعُجْبٍ.» وأحاديثنا اليومية يجب أن تحيا وفقًا لهذا المقياس! وعلى المستوى الشخصي، أجد أنه من السهل أن أتحرك بدافع من حقوقي الشخصية وأوضاعي الشخصية، فأنا أصارع عندما يُطلب مني أن أتخلى عن وقتي، وخططي، وجدول أعمالي، وممتلكاتي، وسيطرتي. ومعظم مشكلاتي التي أجدها في كلامي تحدث عندما أحاول أن أحتفظ بهذه الأشياء، فأنا أتكلم بنفاذ صبر لابنتي التي تأخذها الجراءة لتستخدم الحمام عندما أحتاج إليه، وأغضب مع زوجتي عندما تتعارض خططتها مع جدول أعمالي، وأعنف الطفل الذي كسر أزرار الكاسيت عن غير عمد، وأميل للتجهم عندما تعتقد الأسرة أن خطتي لليوم غير مشوقة ورائعة. ما الخطأ في كل ردات الفعل تلك؟ أنها منغمسة في المصلحة الذاتية، لذلك التواصل الذي يتبعها لا يعطي المجد لله ولا يساهم في العمل الذي يفعله الله لأسرتي.

موضوع تضحية الذات يعبر بشكل واضح عن عمق صراعي كخاطئ. تذكر، الصنم الأكثر قوى من كل الأصنام هو صنم الذات،

ويسكن قلب كل خاطئ شهوة أن يصير مثل الله، هذا هو الشيء الذي يسعى الله لكسره في كل منا حتى نستطيع أن نحيا لمجده لا لأنفسنا. ونحن دُعينا كسفراء لنموت عن ذواتنا لكي نتحدث عنه.

الأداة (الأسلوب) الثاني هو الغفران، إنه من المدهش أن تراعي ذلك لأسباب تستطيع أن تفسرها فقط من خلال محبته العظيمة، غفر لنا المسيح بالتمام والكمال! يقول بولس أن الله لم يحسب خطايا الرجال ضده. إذا كان ملكنا، وقاضينا، الشخص الكامل القداسة يريد أن يغفر لنا، كيف نفعل أي شيء أقل من هذا للآخرين؟ (انظر المثل القوى للعبد عديم الرحمة في متى ١٨: ٢١-٣٥.) إنه بسبب وعد الله ليغفر لنا بالتمام والكمال الذي أخرجنا من مخبئنا، ومن حياة الأعذار، وتحويل إلقاء اللوم، والمواقف الدفاعية، والبر الذاتي، وحماية الذات، إلى الاعتراف بخطايانا. وأصبح غفرانه أداة قوية للتغيير في حياتنا، وسيصبح أداة قوية للتغير عندما نقدّمه للآخرين.

للأسف، إن الكلمات التي تكلمتُ بها لإبني في ذلك المساء لم تُنطق من قلب غافر، لقد نسيت أنني قد غُفرَ لي الكثير، خطايا أكثر بكثير من الفوضى المتواجدة بالغرفة، لقد نسيت روعة محبة الله وصبر نعمته من أجلي. لم أشفق على الحياة الفوضوية لمراهق، ولم يكن هناك تأني في الكلام ودقة في السمع والتي كان لابد أن تكون في صفاتي كشخص على وعي بابنه واحتياجه للغفران. لم أسأل أسئلة تحفزه على بحث قلبه، ولم أنتظر بصبر إجاباته. لم أقدم كلمات تشجيع، وبدلاً فقد تكلمت بقلب من البر الذاتي الذي تناسى أنه يحتاج

لنعمة الله مثلما يحتاج ابني تمامًا، فكل منا لم يكن مختلفًا عن الآخر تمامًا في تلك اللحظة. فقد كنا ونحن ما زلنا ـ خطاة في حاجة لغفران الله الذي يُحدث تغييرًا جذريًا لقلوبنا، كيف أنسى الغفران الذي وهبه لي؟ كيف لم أقدم لإبني نفس الأمر؟ إن الله يدعونا أن نحب كما أحبنا (يوحنا ١٣: ٣٤-٣٥) وأن نغفر كما غفر لنا (أفسس ٤: ٣٢- ٥: ٢). يجب أن تصل كلماتنا بقوة روحه إلى هذا المقياس.

الأداة (الأسلوب) الثالث الذي يستخدمه الملك لعمل تغيير فينا هو المصالحة. أن تتصالح تعني أن تسوي أو تحل أمرًا ما لاستعادة علاقة، إنه عمل الله أن يعيد تبعيتنا له، التبعية التي تحطمت بسبب الخطية. ويمكنك أن ترى هذا التحطم في الحال بعدما أكل آدم وحواء الثمرة الممنوعة، وقد جاء الله ليتمشى في جمال الجنة، وواجه شيئًا لم يحدث من قبل. فآدم وحواء يختبئان منه! إن الخطية حطمت تبعيتهما له. وأصبح الآن آدم وحواء خائفان من الله الذي كانا يستمتعان بالشركة معه من قبل. لقد سعيا لتجنبه، والخطاة أصبحوا يختبئون من الله منذ ذلك الوقت. وتبعية الله التي كانت الهدف التام من وجود آدم وحواء (ونحن) تحطمت بشدة بسبب الخطية. وجاءت المصالحة لتملأ الفجوة التي وجدت الآن بين الله والإنسان. وجاء يسوع وملأ هذه الفجوة بحياته، وموته، وقيامته لذلك نستطيع مجددًا أن نستمتع بتبعية الله الذي خلقنا من أجلها.

هذه رسالة الإنجيل ــ أن الله يعمل من خلال يسوع، ويصالح العالم لنفسه. والله يستخدم هذه العلاقة المستردة ليُحدث تغييرًا فينا. كما نقلنا

مجددًا لتبعيته كأولاد له، وكمواطنين لملكوته، وأعضاء جسد الكنيسة، يستطيع أيضًا أن يُحدث تغيير القلب الذي يهدف إليه. لقد بررنا حتى يقدّسنا، وصالحنا حتى نصبح شركاء الطبيعة الإلهية، قديسين كما هو قدوس. كسفراء عن المسيح، يجب أن نتذكر أن هذا هو الهدف الذي يجب أن يقود الكلمات التي ننطقها للناس في حياتنا.

ماذا يعني ذلك بشكل عملي؟ نعم، نريد أن نحل المشكلات الأرضية الرأسية في حياتنا، لكننا نريد أيضًا أكثر من هذا، فمشكلات الإنسان هي فرص عظيمة لله يستطيع أن يستخدمها ليجذب الناس من حولنا لتبعية أعمق وأشمل معه. هذا الجدول الأسمى للأعمال يظهر في كل علاقة وكل موقف، ويعمل الله بفدائه في وسط كل هذا، نريد أن تساهم كلماتنا في ما يفعله. ومع ذلك لن نكون أدوات للمصالحة لو عشنا في علاقات محطمة، وغير متصالحة مع الناس الآخرين. فقد دعينا لنتكلم كلمات السلام، كلمات تقوى وكلمات تشجع التبعية والوَحدانية، ونحن لا نفعل هذا لنكون سعداء فقط، لكن لكي يستطيع أن يعمل الله بفدائه في سياق هذه الوَحدانية والتبعية.

نحن دُعينا لنتحدث نيابة عن الملك، وضعنا الله في المكان الذي يريدنا فيه لكي يحقق دعوته بداخلنا. ونحتاج أن نلتزم بجدول أعماله السامي، نحيا ونتكلم بدافع من محبة التضحية بالذات، ونغفر بوداعة، ونلتزم بالمصالحة.

واحدة من أكثر خبرات التعلم الحية في هذه السطور أتت من خلال السنوات الأولى لخدمتي الرعوية. فأسرتي كانت تعيش في

منزل مزدوج، مع صاحبة الأرض وابنتها اللتان تعيشان في البيت المجاور. ولفترة كانت علاقتنا حسنة والحياة هناك كانت متعة. لكن بعد ذلك، لأسباب لا نفهمها، بدأت الأشياء تتغير، فـ «بريدجيت» بنت صاحبة الأرض أصبحت تتجاوب معنا بغضب في كل مرة نلقاها، وكانت تصرخ في وجه أولادنا. لقد اتهمتنا بقول وفعل أشياء لم نفعلها. كانت تُشغل الكاسيت بأعلى صوت ممكن في وقت متأخر من الليل فيصحوا أولادنا من النوم. وهنا تحولت الحياة سريعًا من المتعة إلى شيء لا يطاق.

لقد كنا نعيش على دخل ضئيل وبعد أن انتقلنا مباشرة للمنزل، تعطلت ثلاجتنا، وسمحت لنا «بريدجيت» أن نستعير ثلاجتها. كان وقت الصيف وحماي وحماتي قادمين لزيارتنا، وتحضيرًا لزيارتهما، ملئنا الثلاجة بالطعام. لكن في اليوم التالي لوصولهما، حصلنا على مكالمة من «بريدجيت» تقول أنها تود أن تستعيد ثلاجتها في الحال، فسألتها إن كانت ثلاجة والدتها قد تعطلت، فأجابت بلا، لكن فقط هذه الثلاجة هي ثلاجتها وهي تريد استعادتها. فأخبرتها أنها ممتلئة بالطعام وطلبت منها أن أعيدها في خلال أسبوع. لكنها قالت أنها تريد استعادتها قبل الساعة الخامسة اليوم.

لقد كنت في شدة الغضب بعد أن أغلقت السماعة، وهذا كان الذروة لكل ما كان يحدث خلال الشهور القليلة الماضية، منتهى الإهانة! أخذنا الأكل خارج الثلاجة، وضعناه على طاولة المطبخ في جو حار ٣٥ درجة في منزل غير مكيف، وقد أعدنا الثلاجة للجراج،

وخرجت على أمل أن أقابل «بريدجيت» لأن لدي أشياء أود أن أقولها لها! لكن الشكر لله، فلقد كان لديه خطة أخرى.

في ذلك المساء كانت «لـولا» تصنع خبزًا، وكالعادة طلبت منها أن تصنع مجموعة من لفافات القرفة. وبينما تضع اللفافات في الفرن توجهت إليّ وقالت، «أتعلم يا بول، يجب أن نعطي طبق من هذه اللفافات لبريدجيت، (وهذا ما كنت أفكر فيه!) لقد أخبرني الله أنه يجب أن نواجه الشر بالخير وأنه يجب أن نجد طريقة لفعل الخير لمن أساء إلينا، وأنا أصنع اللفافات فكرت أيضًا لما لا نكتُب ملاحظة لـبريدجيت نُخبرها كم نحبها وكم نتمنى أن يكون لنا علاقة جيدة معها؟ (أعتقد، أنها فكرة رائعة أخرى!)

كانت هذه من أصعب الملاحظات التي كتبتها في حياتي، لقد كنت ممتلئًا بشعور أنني مخطئ، لقد أردت أن تتأذى «بريدجيت» كما آذتنا. وأردت أن تكون حياتها صعبة كما كانت حياتنا صعبة خلال الأشهر الماضية. وأردت أن تشعر كما لو أنها تمشي على قشر البيض طوال الوقت، فقط لتتألم بأي طريقة. لقد وجدت أنه من الصعب أن أترك المجال لغضب الله (رومية ١٢: ١٩) بسبب أنني ممتلئ بغضبي الذاتي.

لكن بنعمة الله فعلت ما اقترحته «لولا»، وأخذت ورقة الملاحظات والطبق الساخن من اللفافات إلى المنزل المجاور، ففتحت صاحبة الأرض الباب، وعندما أخبرتها أن اللفافات لإبنتها، أخبرتني أنني لديّ

نوع ما من الجنون. (لقد كانت خجولة جدًا بسبب سلوكيات ابنتها). لكني أخبرتها أنني تعلمت أن هذا ما يريدني الله أن أفعله.

هذا الطبق من اللفافات يمثل خضوعنا لإرسالية الله وأساليبه في وسط مصاعبنا الشخصية. فنحن نبحث عن كل فرصة لفعل الخير وللتكلم بلطف لـ «بريدجيت». ونسعى للحب والخدمة أينما ووقتما نستطيع. نعم، الغضب القديم سينتهي به المطاف، لكننا سنستمر في تشجيع بعضنا للآخر للتغلب على الشر بالخير.

لقد كنت متأخرًا في مساء خريفي عندما سمعت الباب يطرق، عندها رأيت «بريدجيت»، وقد أصبت بخيبة الأمل. وفكرت ماذا الآن؟ لقد عملنا بجد لنكون لطفاء! عندما ذهبت للباب وجدت «بريدجيت» حزينة. وسألتني إذا كانت تستطيع الدخول والتحدث معنا، فجلسنا أنا و«لولا» معها والدموع تنهمر على خديها، وقالت «لقد علمت أنني من المستحيل أن يعيش أحد معي وأنني فعلت أشياء كثيرة لتجعل حياتكم صعبة. لا أعلم لماذا كنت بهذه الحقارة والغضب. لقد نفر مني أهلي وكل أصدقائي الأقرباء. لكني أعلم أنكما فقط من تحبونني حقاً. لقد أتيت هنا لأنني احتاج للمساعدة.» وفي غرفة طعامنا في ذلك المساء، تحدثنا مع «بريدجيت» عن المساعدة التي يعطيها فقط المسيح.

كانت «لولا» على حق فقد رأت خطة الله لعلاقتنا بـ «بريدجيت». وبري الذاتي، وكلمات غضبي لم تكن أبدًا لتنتج هذا المشهد، وسماحي

لنفسي بأن أنزلق في صراع مستمر للكلمات لم يكن ليحقق هذه النتائج، لقد أدركت هذا المساء أن الموقف بالكامل لم يكن خطأً. نحن لم نقع في هذه التجربة بسبب أن الله نسينا. بل، لقد كان يعمل من خلال هذا، لتقديسنا، وكان أيضًا يعمل بداخلنا. وضعنا هنا كسفرائه حتى يعيد «بريدجيت» له. ودعانا للتكلّم كلمات الحب والصلاح، وللتكلم من قلب يريد أن يموت عن ذاته، يريد أن يغفر، يريد أن يكون جزءًا من عمل مصالحته. لقد أعطانا روحه ليحررنا من عبودية الذات حتى تكون كلماتنا أدوات لطيفة للتغيير.

وقد دعانا الله كلنا لنحيا ونتكلم كسفراء له، ونحن في إرسالية أربعة وعشرون ساعة يوميًا. وكل شيء نفعله ونقوله يعكس معرفتنا بالشخص الذي نمثله. دعانا الله أيضًا لنكون جزءًا من جدول أعمال أسمى من احتياجاتنا اللحظية. فنحن دعينا لنحمل كلمات فدائه في كل موقف في حياتنا.

على المستوى الشخصي:

التحدث كسفير

أين تجد في حياتك الضيق، والغضب، أو الإحباط الذي يكشف التزامك بجدول أعمالك الشخصي وليس بجدول أعمال الله؟

ما هي فرصك لتكون جزءًا مما يفعله الله في حياة الآخرين؟

في أي المواقف تميل للصراع باستخدام أسلحة العالم؟

بأي طرق يدعوك الله لتكريس شخصي لكي تصبح سفيره؟

هل هناك أشخاص في حياتك تجد من الصعب أن تغفر لهم؟

أين يدعوك الله للتحدث كأداة للمصالحة؟

الفصل الثامن

الوصول للهدف

«فَقَالَ لِي: «تَكْفِيكَ نِعْمَتِي، لأَنَّ قُوَّتِي فِي الضَّعْفِ تُكْمَلُ».» (كورنثوس الثانية ١٢: ٩)

عندما كتبتُ هذا الكتاب، كنتُ في أجازة في (كلير واتر، فلوريدا)، والجسرُ مع المياه على الجانبين يربط كلير واتر ومدينة تامبا. وقد قلت تعليقًا لشخص ما وهو أن كلير واتـر تبدو جميلة جدًا من جانب تامبا على الخليج وهذا الجسر جعل الوصول إليها سهلًا، فأخبرني رفيقي عن الإعصار الذي ضرب غرب فلوريدا من قبل وجعل جسر كلير واتر بالكامل تحت الماء، فقال «وقتها كان يمكنك أن ترى كلير واتر، وتستطيع أن تصفها لشخص آخر، لكنك لم تكن تستطيع أن تصل هناك بسبب أن الجسر كان مغمورًا بالماء.»

ربما يكون هذا شعورك حيال هذا الكتاب حتى الآن، فلقد وصفت لك مكان الوصول، وهو عالم الكلام كما خطط الله له، لكنك تشعر كما لو أن جسرك مغمور بالماء ولا يوجد طريق للوصول هناك. ربما رأيت بوضوح أكثر من أي وقت مضى كيف يبغي الله أن يكون كلامك، وللآسف، هذا الأمر يُشعرك باليأس أكثر من أي وقت مضى!

الغرض من هذا الفصل هو تهدئة العاصفة وإعطائك جسر يمكنك المرور منه، أريد أن أعطيك الرجاء والمساعدة. أريد أن أساعدك في أن تبدأ بإعادة بناء عالمك من الكلام.

خطوات عملية للوصول للهدف

١. **لا تستسلم للندم**. إنه من السهل أن تُبتلع بالندم، ومن السهل أن تصبح مشلولًا بكلمات مثل «لو فقط،» وتتجه للتشكيك في توقيتات الله، لكن هنا بعض الأشياء يجب أن نأخذها في الاعتبار.

الله هو المُشير الأروع، وهو أفضل معلّم في الكون. هو يعلم تمامًا كمّ الحق الذي يمكن أن نفهمه ونحمله. فواحدة من الأشياء الأخيرة التي قالها الرب لتلاميذه أنه كان يود أن يخبرهم المزيد لكنهم لم يستطيعوا أن يتحملوا، لكنه وعد أيضًا أن يرسل لهم معلّمًا آخر سيكمل إرشادهم، ولا يوجد خطأ أبدًا في توقيتاته. بدلاً من الندم، نحتاج أن نستريح في سلطان حكمته.

ثانيًا، وعد الكتاب المقدّس بأن الله سوف يفعل الآتي: «**وَأُعَوِّضُ لَكُمْ عَنِ السِّنِينَ الَّتِي أَكَلَهَا الْجَرَادُ**». إنه من المهم أن نتذكر أن الله الذي يغفر أيضًا يعوض، ويعيد بناء، ويصالح، وكلما نعيش في ضوء الأشياء الجديدة التي علمها لنا، سنختبر استردادًا لأمور كنا قد فقدنا الأمل فيها منذ زمن طويل، خلال طاعتنا الحالية للأفكار الجديدة، يعمل الله على ترميم الدمار الذي حدث في الماضي. وأنا أجد هذا يحدث باستمرار مع أباء، وأصدقاء، وأزواج كانوا قد اتجهوا

٢- **اعتنق رجاء الإنجيل**. فلا يجب أن نسمح لأنفسنا أن ننظر لصراعات كلامنا كالعملاق الذي لا يمكن هزيمته. يقول بولس لتيموثاوس، «**لأَنَّ اللهَ لَمْ يُعْطِنَا رُوحَ الْفَشَلِ، بَلْ رُوحَ الْقُوَّةِ وَالْمَحَبَّةِ وَالنُّصْحِ.**» (تيموثاوس الثانية ١: ٧). فنحن نصبح مقهورين، وخائفين، وفاشلين عندما ننسى من نحن في المسيح.

أولاً يجب أن نتذكر أننا نتلقى نعمة تزداد كلما تزداد خطايانا. نعم خطايانا ستحيرنا، لكن لن تحير المُخلّص. حياته، وموته، وقيامته تضمن الانتصار. يقول رومية ٦: ١٤، «**فَإِنَّ الْخَطِيَّةَ لَنْ تَسُودَكُمْ، لأَنَّكُمْ لَسْتُمْ تَحْتَ النَّامُوسِ بَلْ تَحْتَ النِّعْمَةِ.**» هذه النعمة متاحة لنا في كل موقف وعلاقة في حياتنا، وأنها تَكمُل في ضعفنا!

ثانيًا، يجب أن نتذكر أن الضيقات لا تعني أن الله تركنا. يُذكّرنا المُرنم في مزمور ٤٦ أن الله هو «**عَوْنًا فِي الضِّيقَاتِ.**» لا يكفي أن نقول أنه يهتم بنا في الضيق أو أنه متاح ليساعدنا في الضيق، بل أنه أكثر من هذا. هو هنا في الضيق كملجأ وقوة. نحن لم نكن أبدًا بدون مكان للحماية ولم نكن دون مصدر للقوة لأن الله دائمًا قريب!

ثالثًا، الله يعلم أن حالتنا كخطاة محبطة للغاية وأن دعوته مرتفعة جدًا حتى أن الغفران لن يكون كافيًا. لقد تبعَ غفرانه بأنه سكن حرفيًا داخل الشخص بروحه، ويصور بولس هذه الحقيقة المدهشة بهذه الكلمات، «**وَالْقَادِرُ أَنْ يَفْعَلَ فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ، أَكْثَرَ جِدًّا مِمَّا نَطْلُبُ أَوْ نَفْتَكِرُ، بِحَسَبِ الْقُوَّةِ الَّتِي تَعْمَلُ فِينَا**» (أفسس ٣: ٢٠). قوته ليست فقط فينا، إنما تعمل فينا! نعم هو يغفر، لكن أيضًا يعطي سلطان،

هو لن يدعونا لفعل أي شيء دون أن يعطينا ما نحتاجه لفعله. لو دعاك الله لعبور البحر الأحمر، سيرسل مركبة، وسيبني جسرًا، ويشق المياه، أو سيساعدك على السباحة!

٣- **اختبر ثمرك**. ما هو الثمر الذي ينتج من كلامك؟ هل تترك الآخرين متشجعين، ومتفائلين، ومحبوبين؟ هل تؤدي كلماتك للغفران، وللمصالحة، وللسلام؟ هل كلامك ينقل حكمة وتشجيع على الإيمان؟ أم كلماتك تؤدي للإحباط، والانقسام، والإدانة، والمرارة والحماقة؟

يبدأ التغير برغبة متواضعة لاختبار حصادك. يقول غلاطية ٦: ٧، «**لاَ تَضِلُّوا! اَللهُ لاَ يُشْمَخُ عَلَيْهِ. فَإِنَّ الَّذِي يَزْرَعُهُ الإِنْسَانُ إِيَّاهُ يَحْصُدُ أَيْضًا.**» واحدة من الخدع القاسية للعدو هي أن يقنعنا أن حصادُنا ينتمي بالفعل لشخص آخر. («هو يجعلني غاضبًا جدًا!» «لم يكن لديّ مشكلة بكلامي أبدًا قبل أن يكون لديّ أطفال.» «لو لديكِ زوجي، لكنتِ تصرخين أيضًا!» « مديري يُخرج دائمًا السيء من داخلي»)

خذ التشجيع من وعد الله للغفران وحضوره القوى؛ ثم اختبر ثمر كلماتك. اعترف بحصادك أمام الرب، وهنا يبدأ التغير الدائم.

٤- **اكشف عن جذورك**. يسجل لوقا ٦: ٤٥ واحدة من أهم الأشياء التي قالها المسيح عن تواصلنا، «**فَإِنَّهُ مِنْ فَضْلَةِ الْقَلْبِ يَتَكَلَّمُ فَمُهُ.**» مشاكل الكلمات تشير دائمًا لمشاكل القلب. إن اختبار أين توجد المشكلة في كلامنا سيكشف ما الذي يسيطر على قلوبنا.

عندما كنت أنمو، كانوا والدي يأخذنا لتجمع أسري لعائلة أمي. وكان أخوة وأخوات أمي جميعًا غير مؤمنين، وعندما كنا نذهب لواحدة من هذه التجمعات، كان والديّ ينتظران أن نتناول الطعام ثم بعد هذا يحركونا بعيدًا قبل أن يبدأ السُكر.

في أحد هذه التجمعات كانت أمي منشغلة في محادثة ولم تدرك أن خالي كان في حالة سكر في غرفة أخرى، حيث كان يقول أشياء مثيرة جنسيًا عن النساء أمامي أنا وأخي «تيد»، وعندما أدركت أمي ما يحدث، ركضت، وشدتنا من أيادينا، ووضعتنا بالسيارة. وقالت في الطريق للمنزل، «**لا شيء يخرج من شخص سكران لا يكون داخله في الأصل**» لم أنسَ أبدًا هذه الكلمات.

يجب أن نبدأ بالاعتراف أن الأشخاص والمواقف لا تجعلنا نتكلّم كما نتكلّم، لكن قلوبنا تتحكم في كلماتنا. الأشخاص والمواقف ببساطة يعطون فرصة للقلب ليعبر عن نفسه. إن الاعتراف بتواضع يفتح الباب على مصراعيه لغفران الله وقوته.

«**إِنِ اعْتَرَفْنَا بِخَطَايَانَا فَهُوَ أَمِينٌ وَعَادِلٌ، حَتَّى يَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَيُطَهِّرَنَا مِنْ كُلِّ إِثْمٍ.**» (يوحنا الأولى ١: ٩).

٥- **طلب الغفران.** يقول المثل القديم أن الاعتراف جيد للنفس. كم هذا صحيح! دعني أُريك، لو عرضت قلبك للحقيقة، وفكرت أو فعلت أو قلت ما هو خطأ، فسيكون لديك خياران، يمكنك أن تعترف

بخطيتك وتضع نفسك مجددًا تحت نعمة غفران المسيح، أو يمكنك أن تُشيد بعض الأنظمة للاكتفاء الذاتي الذي يجعل ما يدعوه الله خطية يصبح مقبولًا لضميرك، وكم نحن بارعين في فعل هذا! نحن نعيد صياغة الأحداث. («لم أكن غاضبًا حقًا، كنت أحاول أن أؤكد وجهة نظري.») نحن نلوم الآخرين «لديها قدرة خاصة على إثارة جنوني!» نحن ندّعي الضعف الجسدي. «أنا لم أكن على ما يرام، لذلك لم أكن نفسي.» إننا نناشد الوضع. («كان مجرد يوم من تلك الأيام!») كل هذا يقال لمحاولة تبرير ما يقول عنه الله أنه غير مبرر.

ما ثمر ذلك؟ يقول سفر الأمثال عن هذا أيضًا: «**مَنْ يَكْتُمُ خَطَايَاهُ لاَ يَنْجَحُ**» (أمثال ٢٨: ١٣). طلب الغفران مثل إزالة الأعشاب الضارة من الحديقة. إنها تترك تربة النفس حرة لتنمو الحياة الجديدة للطاعة. أعشاب الخطية المستترة تخنق الحياة النفس.

جزء مهم من إعادة بناء عالمك من الكلام هو أن تسأل نفسك سؤالًا، ما هي الخطايا المحددة للتواصل (كل من القلب والفم ــ انظر لوقا ٦: ٤٦) فالله يدعوني للاعتراف بها له أو للآخرين؟ في طلب هذا السؤال تحفظ خطواتك مع الروح، الذي يعمل ليشابهنا بصورة الابن (غلاطية ٥: ١٦-٢٦). وبذلك تُنقّى تربة النفس حتى يمكن للروح أن يزرع جذور صفات المسيح.

طلب الغفران هو نقطة تحول مهمة. هنا نوقف الصراع ضد ما يريد الله أن يفعله في حياتنا، ونصبح متعاونين، ونشارك بخضوع. النتيجة دائمًا تكون حصاد لثمر جيد. تصير أنفسنا كحديقة لمجده

وتصبح أفواهنا ممتلئة بثمر حلو من الروح (كلمات الحب، والفرح، والسلام، وطول الأنـاة، واللطف، والصلاح، الأمانة، والوداعة، وضبط النفس).

٦- **منح الغفران بحرية.** هناك وجهان لهذه الخطوة من خطوات إعادة البناء. أولاً، يجب أن يكون هناك غفران قضائي، وأن تكون هذه رغبتنا لإطلاق سراح جريمة الآخر أمام الله. إنه في الحقيقة التنازل لله عن كل حق ورغبة للانتقام. يقول بولس «**لاَ تَنْتَقِمُوا لأَنْفُسِكُمْ أَيُّهَا الأَحِبَّاءُ، بَلْ أَعْطُوا مَكَانًا لِلْغَضَبِ، لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ:«لِيَ النَّقْمَةُ أَنَا أُجَازِي يَقُولُ الرَّبُّ.**» (رومية ١٢: ١٩).

عندما يقول الله، «**بَلْ أَعْطُوا مَكَانًا لِلْغَضَبِ (الإلهي)**» هو بالضرورة يقول. «أبعد عن طريقي ودعني أفعل مهمتي.» وهنا يبدأ الغفران عموديًا. تسليم الإهانة لله والراحة في عدالته.

الأمر الثاني للغفران هو المغفرة العلائقية. هذه هي الرغبة لمسامحة أي شخص يطلبها. «**وَكُـونُـوا لُطَفَاءَ بَعْضُكُمْ نَحْوَ بَعْضٍ، شَفُوقِينَ مُتَسَامِحِينَ كَمَا سَامَحَكُمُ اللهُ أَيْضًا فِي الْمَسِيحِ.**» (أفسس ٤: ٣٢).

من خلال خبرتي في تقديم المشورة قد رأيت أنه لا يوجد عائق للتغير أكثر من عدم الرغبة في طلب ومنح الغفران. نقص الغفران يجعلنا نصارع الله بدلًا من الخضوع له ويجعلنا نقف ضده بدلاً من أن نقف معًا سويًا.

٧- **عَدل القواعد**. إن الالتزام بالطريق الجديد للكلام يحتاج أن نتبع الطاعة الطيبة للغفران. هذا الالتزام الجديد يحتاج أن تكون محددًا بقدر الخطية التي اعترفت بها. ما الذي يدعوك الله لتُغيّره في كلامك؟ ما هي الطرق الجديدة للكلام التي يجب أن تحل محل الأنماط القديمة؟

عندما يعترف الزوجان بخطاياهما بهذه الطريقة، أشجعهما لوضع أهداف جديدة لتواصلهما. أطلب منهم أن يوافقوا أن يصرخوا ويقولوا «مخالفة» عندما يرجع أحدهما للطريقة القديمة للحظة. أنا أقترح أن يوافقا أن يرفعا أيديهما في وسط المحادثة ويقولا، «نحن اتفقنا ألا يكلّم أحدنا الأخر بهذه الطريقة. دعنا نتوقف ونصلّي وبعد ذلك نحاول أن نتناول هذه المحادثة بطريقة ترضي الله. «أنا أرى أن هذه الخطة وحدها تغير جذريًا التواصل بين الزوج والزوجة.

«المماطلة» في الاعتراف والتوبة يجب أن يُتبع بـ «التظاهر» بالتزام عملي محدد بالطريقة الجديدة للكلام. هذا الالتزام لتغيير القواعد راسخ في العيش بالإيمان في الكتاب المقدّس (ما يدعوني إليه هو الحق والأفضل) والحياة بالإيمان في محضر الله (هو معي حيثما أذهب، يسدد كل احتياج لي لفعل ما دعاني إليه؛ (انظر بطرس الثانية ١: ٣-٩).

٨- **البحث عن فرص**. وهو لا يعد بالضرورة تغييرًا في الاتجاه لكنه تغير في المنظور. هذه المواقف التي هي مصدر الصعاب، هذه اللحظات حيث القسوة، والأنانية، وكلمات الشر تنطق،

هذه المواقف اللعينة، الآن أصبحت فرص لاختبار قدرة نعمة الله وممارسة الشخصية الجديدة والطاعة.

كلما تتخلّى عن الندم، وتغسل نفسك بالإنجيل، تواجه خطيتك، وتطلب وتمنح الغفران، ستحصل على رؤية لحياتك الجديدة بالكامل للتواصل. لن تنظر للحياة كالغابة الخطيرة المملوءة بالحيوانات المفترسة والثعابين السامة، والبرك المخفية من الرمال المتحركة، بل ستنظر للحياة كحقل للفرص حيث يمكن أن تختبر بالفعل الأشياء الرائعة التي أعدها الله لأولاده.

يقول أمثال ٢٨: ١، «**اَلشِّرِّيرُ يَهْرُبُ وَلاَ طَارِدَ، أَمَّا الصِّدِّيقُونَ فَكَشِبْلٍ ثَبِيتٍ.**» اذهب بجرأة الأسد، ارفض إعطاء أي فرصة للتهكم والخوف. ارفض أن تستسلم للرهبة، والشك، والتهرب. عش بجرأة. اغتنم الفرص الفدائية، اغتنم المؤن الموعودة من الله، وهو سيعطيك فرصًا عديدة للتحدث بطريقة جديدة!

٩- **اختيار كلماتك**. يقول الأمثال، «**قَلْبُ الصِّدِّيقِ يَتَفَكَّرُ بِالْجَوَابِ، وَفَمُ الأَشْرَارِ يُنْبِعُ شُرُورًا.**» (أمثال ١٥: ٢٨). يخبرنا الأمثال أنه من الحماقة أن نتحدث بتسرع، كما بدأنا للنظر للفرص التي منحنا الله إياها للتحدث بطريقة جديدة، يجب أن نتعلّم أن نفكر قبل أن نتكلّم. يجب أن نتعلّم أن نختار كلماتنا بحكمة. الجزء الأخير من هذا الكتاب سيناقش بالتفصيل ما الذي يعنيه ذلك. وقد سمعت أشخاص كثيرون يقولون بندم، «لقد تمنيت لو لم أتكلم بهذه السرعة،» أو «لقد كنت فقط في لحظة انفعال» أو «أتمنى لو أستطيع أن أسترد هذه الكلمات».

لقد اختار الله كلماتنا لتسير على مسارين، الأول مسار مجده، فكلمات أفواهنا يجب أن تكون مقبولة لديه في الأساس. والثاني هو المسار المؤدي خير أقربائنا. فدعوة الله هي أن نختار كلماتنا بطريقة تسير على هذين المسارين.

١٠- **اعترف بضعفك**. واحدة من العلامات المؤكدة أننا لا نفهم الإنجيل بحق، تظهر في استمرارنا في الخوف من ضعفنا، والإحباط بسببه، وعدم الرغبة في قبول هذا الضعف. المسيح جاء بالتحديد من أجل أننا ضعفاء! لا توجد إشارة في الكتاب المقدّس تقول أننا سنتخلّص أبدًا من احتياجنا لدعم نعمته لحظة بلحظة. ولو أطعناه لآلاف السنين، سنظل نحتاجه تمامًا كما احتجناه في اليوم الأول حين آمنا به!

إن إدراك الضعف ليس علامة مؤكدة على عدم النضوج، بل هو إشارة للعكس. وكلما اقتربنا لله، وكلما طالت مدة السير معه، وفهم كامل أكثر لكلمته، سيجتاحنا ضعفنا، وعدم قدرتنا، وخطيتنا. ويقول بولس أنه «**بِكُلِّ سُرُورٍ أَفْتَخِرُ**» بضعفاته (كورنثوس الثانية ١٢: ٩). هذا ليس بسبب أنه يحب أن يكون ضعيفًا، إنما بسبب أنه عندما يكون في ضعف فقوة المسيح تستريح فيه. ضعفنا لن يعيق الطريق الذي يريد الله أن يجريه فينا، لكن انخداعنا في القوة سيتسبب في هذا! قوة الله للضعيف! نعمة الله للعاجز! وعود الله للجبان! حكمة الله للأحمق!

وبسبب نعمته في ضعفنا، وعجزنا، وجبننا، وحماقتنا، نحن أحرار لنجري إليه بدلاً من أن نجري منه، وحقًا يمكننا أن نأتي إليه فقط كما نحن، بل أيضًا لمكان أفضل يوضح احتياجنا له بدلاً من صراعات كلماتنا التي تستمر لحظة بلحظة. تمسك بضعفك وتحرك بفرح للمصدر الوحيد للقوة.

١١- **لا تعطِ إبليس الفرصة**. كما تكلم بولس عن تواصلنا في أفسس ٤، يقول «**وَلاَ تُعْطُوا إِبْلِيسَ مَكَانًا.**» الشيطان كذاب ومخادع. هو يسعى للهدم وللتدمير. هو عدو لكل شيء جيد وصحيح. هو يسعى لزرع أعشاب الشك، والإحباط، والتمرد. هو يكره العيش في إيمان. هو يحارب الحياة الجديدة. هو يسعى ليحولنا بعيدًا عن الله وضد بعضنا البعض. فيجب أن نكون حكماء حيال خدعه وأن نفعل أي شيء لكي نبعده من أن يأخذ طريقه نحونا. يجب أن نمنعه من أن يأخذ حيز للعمل.

في حياة الكلام الخاصة بنا هناك شيئين يمكن أن نفعلهما لغلق الباب أمام الشيطان وعمله الوحشي. أولاً، يمكننا أن نُخضع أنفسنا للصدق بشجاعة. إن الالتزام بالصدق في المحبة لهو حماية من عمل العدو الهدّام، هو يعيش في الظلام ويعمل من خلال صمتنا، لكن عندما نأتي بالأمور للنور ونبدأ في العمل عليها فإننا نضيق عليه المساحة التي يعمل فيها.

ثانياً، علينا أن نُخضع أنفسنا لقابلية المحادثة بتواضع، فإن التعهد بالتكلم بصدق حين يكون ممزوجًا برغبة متضعة للاستماع فإنه يغلق الباب في وجه إبليس. الكثير من مشاكلنا في الكلام تنتج حين نعطي إبليس مكانًا عن دون قصد.

بركات طرق اللّه

في بداية علاقتي أنا و«لولا» أدركنا أن التواصل سيكون من الأمور الصعبة في علاقتنا، ف «لولا» من عائلة تتكلم بشكل طيب ولطيف، وكان في منزلها قاعدة وهي ألا تتحدث ولو من بعيد بأي شكل يثير الجدل، وإن كان هناك اختلاف ما سيندلع، فإن أحدهم يقوم بتغير الموضوع بسرعة.

وأنا تربيت في عائلة يتحدث فيها الجميع في آن واحد، وعادة ما يتصاعد الكلام ويعلو الصوت. وكانت القاعدة في عائلتي أنه عليك أن تتحدث بسرعة وبدون تفكير وإلا أنك ستفقد الفرصة للأبد!

وكما ترى فإن هذا الاختلاف في طرق الحديث كان كالسُمّ بالنسبة لزوجين صغيرين مثلنا، فـ «لولا» كانت تصمت بينما أنا أنفجر من الغضب، ولم يمر الكثير من الوقت حتى أحبط كل منا، ولكن كان هناك مبدأ واحد بسيط غير عالم كلامنا وأعطاه حياة جديدة، فقد كنا نقرأ في أفسس ووجدنا هذه الآية «**لاَ تَغْرُبِ الشَّمْسُ عَلَى غَيْظِكُمْ**» (أفسس ٤:٢٦)، وكلانا وقتها مر بلحظة من الاندهاش «أبهذا الوضوح»! ، إنه اتجاه بسيط لكنه أيضًا ممتاز.

وقررنا وقتها أننا لن نخلد للنوم ليلاً بدون أن نعالج كل الأمور التي حدثت خلال اليوم. في الأيام الأولى كنا نضطجع في السرير بعند وكل منا يجاهد ليبقي عينيه مفتوحتان منتظرًا الآخر ليبدأ الحديث، وما لم ندركه في بدء الأمر أن طاعة الأمر الكتابي لم تكن الغرض منها علاج الكلمات بل هي علاج القلب أيضًا. وهنا حقيقة تُحدث الحرب، ولكننا بدأنا في أن نرى فوائد فعل ذلك بطرق الله. لم يمر كثيرًا وأصبحنا لا ننتظر حتى يحل المساء، فأصبح كل منا يبحث عن الآخر حين يكون قد تكلم بشكل غير طيب حتى يطلب منه المغفرة. فنحن الآن أصبحنا نسعى للغفران وللإصلاح علاقتنا.

التكلّم من منطلق الرجاء

قد تفكر وتقول يا «بول» أنت لا تعلم صعوبة الأمر بالنسبة لنا، يبدو أنه لا يوجد رجاء! أنا أرجوك ألا تنظر للعملاق الخاص بمشكلاتك في التواصل كما نظر شعب إسرائيل لجليات، مقارنين حجمه بحجمهم، لكن انظر لمشكلاتك في التواصل بأعين داود، وقارن تفاهة جليات بعظمة وقوة مجد الله. هو قادر! هو المؤلف العظيم للتغيير! هو المحيي! هناك حياة بكلماته! هو لن يدعوك لأمر بدون أن يمكنك من فعله!

تذكّر جوهر أهداف هذا الكتاب:

إن الله لديه خطة رائعة لكلامنا وهي أفضل بكثير جدًا من أي خطط كنا سنرسمها لأنفسنا.

الخطية غيرت جذريًا شكل كلامنا، فأنتجت الجرح والتشتيت والفوضى.

في يسوع المسيح نجد النعمة التي تعطينا كل ما نحتاج حتى نتحدث مثلما خطط الله لنا.

الكتاب المقدّس يتحدث بوضوح وبساطة عن كيفية أن ننتقل من حيث نقف إلى حيث يريدنا الله أن نكون.

يمكننا أن نعبر لـ (كلير ووتر)! ليس علينا أن نحملق بإحباط لهذا الجمال لأن الجسر قد غرق تحت الماء، الله قد أعطانا كل ما نحتاج حتى نجفف ونبني الطريق ليكون تواصلنا إكرام لله ومفيد للناس.

نحتاج أن نتقدم بشجاعة الإيمان ونعترف بخطايانا وضعفنا محتضنين الرجاء الموجود فقط في نعمته الغافرة والمقوية.

اترك الندم خلفك، وامسك بالرجاء الموجود في يسوع وفي عمله. اختبر ثمار كلامك، وتتبع آثار هذه الثمار خلف مشاكل جذور القلب. اسعَ للغفران وامنحه أيضًا، وليس لمرة واحدة ولكن طوال الوقت. اتفق مع من حولك على تغيير القواعد، اخلع الطرق الإنسانية العتيقة، فإنها حقًا تؤدي للموت، لكن اتبّع وبفرح المبادئ والأوامر الكتابية. ابحث عن فرص لتطبيق الأمور الجديدة التي يعلّمك إياها الرب حول طرقه في التواصل. وبفرحٍ تكلم الكلمات التي اُختيرت بسبب أنها مقبولة لدى الرب ومفيدة للآخرين.

كن مستعدًا وراغبًا كل يوم أن تعترف بضعفك، هذا هو سر اختبار قوته. ارفض أن تعطي مكانًا لإبليس، كن صادقًا بشجاعة، وكن متضعًا وقابل للمناقشة، لا تعطِ إبليس ممرًا مظلمًا أو أماكن للسكوت حيث يقوم بعمله.

تذكّر أن الله يعلم ما تحتاج، لو أن العدو قوي جدًا فإن الله سوف يهزمه، وإن كنت تواجه البحر الأحمر فإن الله سوف يشقه لك، وإن كنت عطشانًا وبدون ماء فإن الله سوف يُخرج لك المياه من الصخر، وإن كنت جائعًا فسيعطيك المنّ، وإن أخطئت فسوف يغفر لك، وإن كنت ضعيفًا سيقويك، لقد أتى المخلّص! هناك رجاء لكلماتنا!

على المستوى الشخصي:

إعادة بناء الجسر

متى حدث وجُربت لتصدق أكاذيب إبليس المحبطة؟ (هو/هي/هم لن يتغيروا! من المستحيل أن أغفر لها/له/ لهم بعد الكلام المريع الذي قيل. الله لا يهتم حقًا بعلاقتك، فهو لديه أمورًا أهم وأفضل يقوم بها. إن غضبك ليس غلطتك، فلو كان الآخرون مكانك لكانوا سيغضبون أيضًا! لو أصبحت متواضعًا لسوف يستغلك الآخرون» إلخ.

ما هو الندم الذي يجب أن تتخلى عنه فيما يخص التواصل؟ ما هي الأشياء التي تقول فيها «لو فقط» وتقف حائلاً بينك وبين طريق التغيير الذي يدعوك الله لتسلكه؟

ما هي الخطايا اللفظية التي يجب أن تعترف بها؟ ولمن؟

ما هي وعود الله التي يجب أن تتذكرها حتى تستطيع أن تحصل على الرجاء وسط الصراعات؟

من أين تود أن تبدأ في هذه اللحظة وأنت تسعى لتتعاون مع الله الذي يريد ويقدر أن يغير عالم كلماتك؟ ما هو التغيير الفوري الذي يدعوك إليه؟

الفصل التاسع

مواطنون يحتاجون المساعدة

اُنْظُرُوا أَيُّهَا الإِخْوَةُ أَنْ لاَ يَكُونَ فِي أَحَدِكُمْ قَلْبٌ شِرِّيرٌ بِعَدَمِ إِيمَانٍ فِي الارْتِدَادِ عَنِ اللّهِ الْحَيِّ. بَلْ عِظُوا أَنْفُسَكُمْ كُلَّ يَوْمٍ، مَا دَامَ الْوَقْتُ يُدْعَى الْيَوْمَ، لِكَيْ لاَ يُقَسَّى أَحَدٌ مِنْكُمْ بِغُرُورِ الْخَطِيَّةِ. (العبرانيين ٣ :١٢–١٣)

هل طُلب منك قبلاً أن تفعل شيئًا لا تريد أن تفعله إطلاقا؟ إحدى هذه المهام التي تؤجلها المرة تلو الأخرى، ولا تقوم بها إلا حينما تكون مضطرًا وليس لديك اختيارات أخرى؟ معظمنا يشعر هكذا نحو التبكيت. هذه الكلمة توحي لنا بالشؤم، وفي أذهاننا نتصورها كمناقشات حادة ونظرات غاضبة وأصابع اتهام وصوت مرتفع ووجوه شديدة الغضب وكلمات حادة اللهجة. وتلك الصور ليست مريحة لنا.

ماذا لو طلبت المجيء إلى منزلك غدًا لتبكيتك، هل ستصبح متشوقًا؟ هل ستقول لشريك حياتك أو صديقك «لديّ أخبار جيدة، بول سيأتي لتبكيتي. لا أستطيع الانتظار! لم يعاتبني أحد منذ وقت طويل.» لا، بل إننا نتعامل مع التبكيت والمعاتبة مثلما نحذر مشاكل جذور الأسنان، على الرغم من أن الكلمة تخبرنا أن هذه الخدمة هي جزء من خطة الله لكلامنا.

لماذا المواجهة مخيفة للغاية؟

أسهل إجابة لهذا السؤال هو أننا، كخطاة، نقضى الكثير من وقتنا في الهروب من الاعتذار أو نلوم الآخرين على خطايانا، والكلمة تقول، «**أَحَبَّ النَّاسُ الظُّلْمَةَ أَكْثَرَ مِنَ النُّورِ، لأَنَّ أَعْمَالَهُمْ كَانَتْ شِرِّيرَةً**» (يوحنا ٣: ١٩). فبالتأكيد هذا صحيح. الخطاة (وهذا يشملنا جميعًا) لا يميلون إلى الشعور بالراحة عندما تكون حياتهم خاضعة للفحص. فنحن نميل لأن نرى، بشكل أفضل، القذى في عين الآخر عن أن نرى الخشبة في أعيننا. لكن الأمر هنا أكثر من هذا، فنحن نفزع من المواجهة لأننا لا نريد أن ننظر لخطايانا، لكننا نفزع من المواجهة أيضًا بسبب الطرق التي تم التعامل بها وكانت مثيرة للمشاكل وغير كتابية. إذًا فهناك أسباب منطقية لخوفنا من التبكيت.

دعوني أطرح بعض الطرق التي يحدث بها تضارب بين أفكارنا وأفكار اللّه:

١.عادة تخلط المواجهة بين الغضب والغيظ والمفاهيم الكتابية وأهدافها. وكما سنرى لاحقًا فإن غرض المواجهة ليس تفضيل آرائنا على رأى الآخر، وليس أن نجعل الآخر يعاني لأننا عانينا بما يكفي. وعادةً تحدث المواجهة إذا أخطأ أو جرح أو أهان أحدهم الآخر. لكن الأولويات الكتابية في مثل هذه المواقف غالبًا تختلط مع خيبة أملنا في الشخص الذي أثرّ فينا بخطيته. فهو/هي قد جعل حياتنا صعبة، وعندها يُحرّف غيظنا المشكلة التي نحتاج معالجتها ووقت المواجهة نفسه يكون ملبدًا بخيبة الأمل.

٢. جمع المعلومات الفقير قد يؤدى إلى افتراضات خاطئة عن الحقائق وهذا يعرقل المواجهة. إن الخطوة الأولى الهامة في المواجهة هي جمع المعلومات، فنحن نحتاج للتأكد إننا نرى المشكلة بدقة، ويجب أن نتأكد من أن الشخص مذنب حقًا بالتهمة الموجهة له، وبدون ذلك سيخيم على المواجهة أفكار مشوهة. نحتاج التأكد من أن ما نفكر به هو حقًا ما حدث بالفعل.

٣. غالبًا ما تكون المواجهة مشوهة بأحكام على الدوافع، ففي وقت التوبيخ فإننا لا نتحدث فقط عما فعله الشخص بل أيضًا عن الدوافع وراء ذلك، وللأسف، هذا يُنتج إساءة فهم الشخص وبالتالي نحكم عليه بشكل خاطئ، ففي أوقات نشير إلى مناطق خطأ حقيقية لكن بدون قصد نُدين دوافع الشخص التي في الواقع ليست حقيقية. وفي مثل هذه الحالة يفقد الشخص المتهم الجزء الدقيق الذي كان يحتاج أن يسمعه من الرسالة.

٤. اللهجة الحادة وكلمات الإدانة والنبرات العاطفية غالبًا ما تلوث المواجهة، ففي المواجهة غالبًا ما يكون الحديث مليء بالتوتر. وتقال الكلمات في شكل أحكام غاضبة ولا تكون كلمات معاتبة واضحة ولطيفة كما تُعلّمنا الكلمة. وفي هذه المواقف، ينسى الشخص الذي نعاتبه الرسالة ويتذكر الكلمات واللهجة الغاضبة التي سيطرت على هذه اللحظة.

٥. غالبًا ما تكون المواجهة عدائية بدل من أن تكون لحظات محبة واهتمام بالشخص المحتاج إلى العتاب، في المواجهة قد ننسى

من نكون، ونفشل في تذكر أننا قد نكون تمامًا في مكان الآخر لولا نعمة الله، وننسى أن لنا عدو واحد، وهو ليس الشخص الذي نعاتبه. إن الغاية من المواجهة ليست الوقوف ضد الشخص، لكن الوقوف بجانبه، والإشارة إلى الأشياء التي يريده الله أن يراها ويعترف بها ويتركها.

٦. في المواجهة غالبًا ما تستخدم كلمة الله كعصا غليظة أكثر من أن تستخدم كمرآة للوعي الذاتي وكمرشد للتغيير. إن الاستخدام الضروري لكلمة الله في المعاتبة ليس للتحذير بالعقاب بل تستخدم كمرآة. فإن كلمة الله تتيح للأشخاص أن يروا أنفسهم كما هي، وتكشف الأخطاء التي في قلب الشخص وليست فقط في سلوكه. فالغاية الأولى من المواجهة ليست تهديد الشخص بالأحكام لكن لتقوده إلى للاعتراف.

٧. المواجهة عادةً ما تخلط بين توقعات الإنسان ومشيئة الله. إن الغاية من المواجهة ليست أن تجعل الشخص يفعل ما تريده أنت أو يعيش بطريقة ترضيك، وغاية العتاب ليست أن تجعل الشخص يوافقك الرأي، أو يخضع لتفسيرك، أو يتبع آراءك. لكن المواجهة دائمًا تدعو الشخص للخضوع لمشيئة الله وحده.

٨. المواجهة غالبًا تحدث في نطاق علاقة مكسورة، وعادةً يكون قد حدث دمار بالفعل بين الطرفين قبل حدوث المواجهة. فكلا الطرفين يدخلان وهم يطبيان جراحهما ويشعر كل منهما بسلبية تجاه الآخر، وهذا يضع المواجهة في الاتجاه الخاطئ قبل أن تبدأ. لكن المواجهة

تكون أكثر فاعلية عندما نضعها في نطاق محبة وثقة متبادلة ومعلنة لدى الطرفين. بهذه الطريقة بالتأكيد تصبح المواجهة «جرح مخلص لصديق».

٩. المواجهة عــادةً تطلب أن يكون التغيير عــاجـلًا بـدلًا من أن يأخذ مجراه. وفي كثير من المواجهات نفشل في أن نتيح للروح القدس أن يعمل، لا شيء في كلمة الله يخبرنا أن نتوقع تغييرًا تام في القلب والسلوك بعد جلسة واحدة. في الحقيقة، يصور الكتاب التغيير كعملية أكثر من كونه حدث، ونحن مدعوون أن نشجع الشخص على الخضوع لله والطاعة لكلمته بدون وضع ضغوط مفرطة كأننا قادرين على عمل دور الروح القدس.

ثمار مواجهة خاطئة

جميعنا تأثرنا سلبيًا بهذه الأخطاء، وقد أنتجت شعورًا بالفزع في كل مرة تُذكر المواجهة. تمامًا كالموعد مع طبيب الأسنان، فنحن نميل لأن نفكر بأسوأ الأحوال التي قد تحدث ونبدأ بوضع الخطط في حالة حدوث أي منها. وليس فقط أننا نفزع من أن نواجَه بل كثير منا يفزع أن يواجِه، فنحن نخاف ألا يكون لدينا الكلمات الصحيحة، وما إذا كنا سنجد الوقت والزمان الصحيح، وكيف سيُستقبَل كلامنا، وماذا سيبقى من العلاقة بعد أن تنتهي المواجهة. ومعظمنا في موقف أي من الطرفين يجد هذه اللحظات غير طبيعية ومقلقة وغير مريحة، وكمواطنين مملكة الله نميل لتجنب المواجهة حينما وكيفما استطعنا.

أتذكر أن قسًّا طلب مني حضور اجتماع سيقوم فيه بمعاتبة أحد الأشخاص من أبرشيته (كنت مشيرًا لهذا الشخص من قبل). كانت الأمسية لها صورة أقرب إلى الخيال. وأول ما صدمني كان السلام المزيف الموجع بين القس، والشيوخ، وهذا الرجل. كان هؤلاء الرجال قد تشاركوا في علاقة وطيدة من قبل. وكانت هناك محاولة لجعل المقابلة حميمة ودافئة إلا أنها بدت مرهقة وعصيبة. عندما قيلت كل الأشياء «الآمنة»، جلسنا في الغرفة، نحدق في السكون الذي بدا كأنه أبدي. لم يظهر على احد الراحة، ولا أحد يبتسم أو تظهر على وجهه علامات السعادة، ولا أحد نظر إلى الآخر مباشرةً. ووقتها أردت أن أقف وأصرخ، «ماذا يحدث هنا؟ هذه ليست الطريقة التي يجب أن تكون عليها الأمور!» لكنني منعت نفسي!

وأقترح القس أن نبدأ بالصلاة ولقد قادنا. ولم يبدو عليه أي شعور بالراحة عندما صلّى مثل ما بدا في وقت السلام. ثم قال، «أتعلم لماذا أنت هنا يا (بـوب)؟» وها بوب يجلس هناك وبلا شك يود لو كان عند طبيب الأسنان، ثم أخرج القس من حقيبته ست صفحات مكتوب بها الاتهامات الموجهة لهذا الشخص وباشر بقراءتها حرفيًا من القائمة، ولم يكن هناك مناقشة أو تبادل للحوار. وكان «بوب» يتلوى حينما كانت تُقرأ الاتهامات واحدة تلو الأخرى. عند انتهاء قراءة الصفحة الأخيرة تم سؤال «بوب» إن كان مستعدًا للاعتراف والتوبة عن هذه الأشياء، لكن بدا بوب الحيرة والجرح والغضب. وهنا حملق القس نحوه كأنه قاضي على مقعده.

في هذه اللحظة لم أستطع منع نفسي أكثر من هذا، تدخلت وسألت إذا كان بإمكاني أن أضع بعض الاقتراحات (باستخدام القواعد الأساسية للمواجهة التي سنذكرها لاحقا في هذا الفصل). وتمنيت بطريقةٍ ما أن نستطيع إعادة التجمع ونحصل على أي إفادة من هذه اللحظة المفزعة غير المريحة.

طريقة مختلفة تمامًا

فكرت في هذه الأمسية العديد والعديد من المرات، لا عجب في أنه هناك ردة فعل سلبية عند ذكر المواجهة والتبكيت! فمن الصعب الاعتراف والتكلم عن الخطية لكن تعاملنا معها جعلها تبدو أصعب، ونتيجة لهذا فإن الكثير مما كان يجب أن يخرج للنور لم يرى نور النهار قط إلى أن أصبح شديد الخطورة ولا يمكن التغاضي عنه، والمشاكل التي كانت قبلاً صغيرة وبسيطة الآن أصبحت كبيرة ومعقدة وطريقة مواجهتها باتت أكثر صعوبة.

كلما أفكر في المواجهة، يذهب ذهني إلى قصة ناثان (صموئيل الثاني ١٢). يا لها من مهمة صعبة وكان عليه فعلها! لقد دُعي ناثان من قِبَل الله ليواجه داود الملك. إن هذه القصة مفيدة لنا، أولاً يجب أن ننبهر أن داود كان في حاجة للعتاب! ولم يكن الأمر وكأن ناثان قد دُعي ليعاتبه على أمور مثل الأنانية والكبرياء أي أشياء يصعب رؤيتها، لكن داود كان قد ارتكب الزنا والقتل!

و يدهشنا أن ناثان كان يواجه داود، الممسوح ملكًا لإسرائيل، وهو الرجل الذي تعلّم أمور الله منذ يوم ولادته. وبالتأكيد علّم داود وصايا الله، فلماذا لم يكن معذب الضمير؟ لماذا لم يكن قد تبكت بسبب الخطية؟ لماذا كان يحتاج شخصًا آخر يقف أمامه ويشير إلى ما يجب أن يكون شديد الوضوح؟

هنا يكمن مغزى القصة، فهي تفتح لنا نافذة لقلب الإنسان والتزام الله بعهده في التدخل في عمانا وعدائنا تجاه نعمته المخلّصة. فقد أخذ داود له إمرأة رجل آخر، وقتل زوجها، وترك بدون توبة دوره كقائد الله الممسوح، وفقط عندما أخبره ناثان القصة الرائعة عن الرجل الفقير وشاته الصغيرة الواحدة وقتها رأى داود طبيعة خطيته الشنيعة تجاه الله وأورِيًا وبثشبع وشعب إسرائيل، يا له من مثل واضح عن خداع القلب! يا لها من تذكرة قوية لاحتياجنا لتدخلات الله، فنحن أيضًا قابلين للتعايش مع الخطية ضد الله والآخرين، ونحن أيضًا قادرين على التكيف وكأن شيئًا لم يكن وكأننا بحالة جيدة، ونحن أيضًا نحتاج أن يُقيم الله أناسًا مستعدين لقبول المهمة الصعبة بمساعدتنا لنرى أنفسنا كما يرانا الله. وهذا ما يتكلّم عنه هذا الفصل، أن نعيد فحص طبيعة التدخل التي يدعونا الله لها في حياة بعضنا البعض. ما هي طبيعة احتياجنا؟ وما هي طريقة المساعدة التي يدعونا الله لها تجاه بعضنا لبعض؟

ورغم أننا قد نُقلنا من سلطان الظلمة إلى ملكوت النور، فإننا مازلنا مواطنين يحتاجون المساعدة. لا نريد أن ننقل من نقطة

أننا عُتقنا من سلطان الظلمة إلى ملكوت أولاد الله، لكن هذا الفداء ليس نهاية عمل الله لخلاصنا؛ بل البداية، فهو أعتقنا من سلطان الظلمة، وبعد هذا بدأ في إزالة الظلام داخلنا لنكون قديسين كما أنه قدوس. هذا هو عمل سلطانه المستمر - تقديسنا. لقد أدرك جميع كُتّاب الرسائل مجد التقديس، بل أدركوا أيضًا الضرورة الحتمية لاستمرارية التقديس. (انظر رومية ٨ وبطرس الأولى ١ كمثل رئيسي لهذا التوازن.)

وكلما نضع في الاعتبار الاهتمام الأول لعمل ملكوت الله (أي تقديسنا)، فإننا نرى بتفصيل أكثر ما يدعونا له الله في تواصلنا. ونجد هنا حاجز كتابي لما نقوله بعضنا لبعض. كلامنا يجب أن يُرى فيه عمل ملكوت الله بشكل أساسي، إن المعركة لم تنتهي بعد. إن سلطان الخطية قد كُسر، لكن الظلام الداخلي أينما كان يجب أن يُكشف ويستأصل. لقد رتب الله لكلماتنا مع بعضنا البعض بأن تكون جزء حي من هذا العمل. إن الموقف الجذري للعهد الجديد هو ألا يكون التدخل محدودًا في لحظات المواجهة المتفرقة، بل يكون أسلوب حياة، إنه عهد لتفاعلتنا معًا كأعضاء جسد المسيح. هذا هو المنهاج الجديد والأسمى الذي يجعل كلامنا مختلف عن كلام العالم. بطريقة ما يجب أن يُظهر كلامنا الفداء باستمرار، ودائمًا يُظهر ما هو أعمق من السطح.

من الممكن أن تتساءل أليس علينا أن نتعامل مع الأمور الحقيقية في الحياة - مثل: التعليقات الكريهة، والفواتير غير المدفوعة،

والوعود المكسورة، والخصام العائلي، والزوج المهمل، والزوجة المتذمرة، والسيارة التي بدون وقود مجددًا، والموسيقى الصاخبة المرتفعة، والعجوز المسيطر، والشجار حول استخدام الحمام...؟ هل دُعينا لنخدم طوال الوقت؟ والقضية ليست أن تتعامل مع هذه الأشياء أو لا - لأنه يجب عليك. لكن القضية هي كيف. وبسبب الخطية الساكنة وعمل الله المستمر للتقديس، نحن مدعوون لتواصل هدفه أعلى من حل مشكلة حالية. ويجب أن نرى كلماتنا أداة لله، ونسعى لأن نحل المشكلة بطريقة تُيسر عمل الله من خلال الموقف. إن الاعتراف بحقيقة الخطية الساكنة هو عنصر رئيسي لحياة مليئة بكلام يُكرم الله.

كلامك وخداع الخطية

دعني أريك مقطع قوي من الكتاب المقدّس وهو يُظهر ما يحدث لكلامنا عندما نكتشف الخطية الساكنة

أُنْظُرُوا أَيُّهَا الإِخْوَةُ أَنْ لاَ يَكُونَ فِي أَحَدِكُمْ قَلْبٌ شِرِّيرٌ بِعَدَمِ إِيمَانٍ فِي الارْتِدَادِ عَنِ اللهِ الْحَيِّ. بَلْ عِظُوا أَنْفُسَكُمْ كُلَّ يَوْمٍ، مَا دَامَ الْوَقْتُ يُدْعَى الْيَوْمَ، لِكَيْ لاَ يُقَسَّى أَحَدٌ مِنْكُمْ بِغُرُورِ الْخَطِيَّةِ. لأَنَّنَا قَدْ صِرْنَا شُرَكَاءَ الْمَسِيحِ، إِنْ تَمَسَّكْنَا بِبَدَاءَةِ الثِّقَةِ ثَابِتَةً إِلى النِّهَايَةِ، إِذْ قِيلَ: «الْيَوْمَ، إِنْ سَمِعْتُمْ صَوْتَهُ فَلاَ تُقَسُّوا قُلُوبَكُمْ، كَمَا فِي الإِسْخَاطِ».

(العبرانيين ٣: ١٢-١٥)

هذا المقطع لا يلفت انتباهنا فقط. بل يزودنا بإرشاد حقيقي بالمعنى العملي للتكلم كسفراء عن الرب، ويعلن حقيقة صعوبة الحياة في ملكوت الله، فالمعركة لم تنتهي؛ والعمل لم يُنجز بعد. كُلنا مواطنون بحاجة للمساعدة ودُعينا لمنحها، أي منظور آخر عن الحياة المسيحية ليس عادلاً عن هذه الفقرة، وكما تقول الترنيمة القديمة:

كم عظيمة هذه النعمة لمدين مثلي،

وكل يوم أنا مدين؛

إن صلاحك يقيدني؛

أربط قلبي إليك؛

لأني أميل للشرود، يا رب أنا أشعر بذلك؛

أميل لأترك الرب الذي أحبه؛

ها هو قلبي خذه واختمه؛

اختمه لأجل محاكمك في العلا،

تكرر هذه الترنيمة التحذير في فقرة العبرانيين بقوة، لقد تم فدائنا لكننا مازلنا نشرد لأن نحيد عن الفادي، رغم إننا مواطنون في ملكوت أولاد الله إلا أن أيام رحيلنا لم تنتهي. نحن نشرد بعيدًا عندما نعبر عن غضبنا تجاه شريك حياتنا أو أطفالنا، ونشرد بعيدًا عندما نطمع في بركة عند صديق، ونشرد بعيدًا عندما نتساهل مع الإيمان الكتابي من أجل أن نحظى بالقبول ومن أجل التملك ومن أجل المركز، ونشرد بعيدًا عندما نستسلم للحظة شهوة،

ونشرد بعيدًا عندما نشك في الله وفي صلاحه، ونشرد بعيدًا عندما تكون لدينا فرصة أن نكون ملحًا ونورًا، ونظل صامتين ومتراخين، وعندما تستنزف اهتمامات العالم تبعيتنا الراسخة لله. الشرود بعيدًا لا يعني فقط الجحود، كثير من شرودنا بعيدًا عن الله بسيط وغير ملحوظ، فلهذا السبب نحتاج بعضنا البعض.

لاحظ أيضًا أن هذه الفقرة تتحدث عن المؤمنين، إلى «الأخوة»، وهناك أربع كلمات في هذه الفقرة تشرح شرود المؤمنين، فهو قلب شِرِّيرٌ وليس به إِيمَانٍ ومرتد وقاسي، إن الكاتب هنا يتحدث عن أمر جوهري أكثر من ارتكاب خطية معينة، فهو يحذر من التحول الخادع للقلب عن الله، وهذا يؤدي لتغيير في نظرتنا عن الله وعن أنفسنا، وبالتالي يؤدي هذا لتغيير جذري في طريقة معيشتنا لحياتنا.

هناك أسلوب متسلسل في مجموعة الكلمات التي تصف بُعد المؤمن، فالقلب الخاطئ لا يود أن يعيش في نور تبكيت الحق، فيعيش في الظلال ويصبح ضعيفًا وغير مؤمن، والقلب غير المؤمن يفقد ثقته في الله، ولا يوجد لديه أسباب ليستمر في الحفاظ على نفسه وبالتالي فهو يبعد، والقلب الذي يبعد يصبح في حالة من عدم الحساسية لكلمات الحق الخارجة من الله ويصبح في حالة قسوة فيما يخص أمور الرب. ما تصفه الفقرة الكتابية هو قبول ماكر ومتدرج لأنماط الخطية، وهو قبول متدرج ينمو حتى يصبح ابتعاد بقسوة عن الله الحي، يا له من تحذير مُخيف! وصولاً لهذه النقطة ربما تسأل نفسك كيف يحدث هذا للمؤمن؟ بعد كل ما فعل المسيح من أجله، كيف يصبح المؤمن

بهذه القسوة؟ وهذا السؤال يثب في صميم التحذير الموجود في الفقرة الكتابية، وعندما نجيب عن هذا السؤال فسوف نفهم الخطة العملية ليومية التي وضعها الله لكلامنا.

إن هذا التطور المرعب الذي يحدث لحياة المؤمن تصفه جملة صغيرة وهي غالبًا الجملة المفتاحية لهذه الفقرة الكتابية، فالآية تقول أننا نصبح قساة « بِغُرُورِ (مكر) الْخَطِيَّةِ»، هناك عالم من اللاهوت مختبئ خلف هذه الجملة، فالخطية بطبيعتها خادعة والقلب بطبيعته الشديدة أيضًا خادع (انظر إرميا ١٧:٩). إن كاتب العبرانيين يحذرنا من أن هناك عمى روحي موجود بنسبة في حياة كل خاطئ، ونحن لا نرى أنفسنا كما نحتاج أن نرى، والخطية خادعة ـ وخمن من الذي تخدعه أولاً؟ فأنا لا أجد مشكلة في أن أرى خطايا زوجتي وأولادي فهي واضحة جدًا بالنسبة لي، لكنني عادةً أندهش حين يُشار إلى خطيتي! وفي كثير من الأحيان، عندما يتم مواجهتي بخطيتي، فأنا أميل لاستنتج أنني لم أخطئ، ومجددًا لم تُفهم أفعالي ودوافعي بالشكل الصحيح. وذلك يا أصدقائي لهو عمى روحي وكل منا يعاني منه بدرجات مختلفة.

وإن قبلت هذه الحقيقة، فسوف تتغير طريقة تفكيرك حول الحياة المسيحية وعلاقاتك، وكونك شخص مسيحي لا يعني أننا أحرار بالتمام من العمى الروحي وإمكانية حدوث الخداع الذاتي، وطالما توجد خطية ساكنة فهناك بالضرورة وجود لخداع النفس والعمى الروحي، وبسبب هذه الحقيقة يقول الكاتب أننا نحتاج لبعضنا البعض

بصورة يومية، فأنت قد تراني بشكل لا أستطيع أن أرى نفسي فيه، وقد تجعلني أرى الأمور بشكل أوضح لا أستطيع أن أصل له وحدي، وأن أحتاج تشجيعك يوميًا حتى لا تعميني الخطية الساكنة، فتشجيعك هو وسيلة أساسية يستخدمها الله من أجل أن يحميني من الخطية وعدم الإيمان.

حين كنت قسًّا صغير السن، تلقيت مكالمة هاتفية من زوجان كانا قد حضرا الكنيسة، لقد كانا بحاجة شديدة للمساعدة ويرغبان في تغيير وضعهما، ولكن في ذات الوقت كانا ضحية لعماهم الذاتي. وفي تلك الليلة جلست في غرفة معيشتهما واستمعت لقصتهما الحزينة؛ وجدتها تنزلق لاكتئاب مزمن، ووجدته ينخرط في إدمان شديد للكحوليات والمخدرات، وعندهما أربعة أطفال في حالة متصاعدة من الخروج عن السيطرة، ولكن الذي بهرني في تلك الليلة هو الآتي، بالنظر من أعينهما فإن هناك أسباب ضئيلة تدعو للاستمرار في الحياة، وقد كانا كل منهما أعمى عن إثنين من الحقائق الأساسية، مما شكل مادة خدمتي لهما.

أولاً كانا أعميان عن أنفسهما، فهما لم يريا أنهما لم يحصدا محصول البذار التي زرعوها، لذلك لم يبدو أن هناك أي مخرج من هذه الأزمة، وثانيًا كانا أعميان عن حضور الله القوي، فشعرا أنهما عاجزان وبلا رجاء، وكانت دعوتي هي أن يفتح الله أعينهما على هاتين الحقيقتين، وبذلك سيكون لديهما أسباب قوية وراسخة

ليستمران في البقاء، وكل منا يحتاج لهذه الخدمة حتى لا نعطي مجالًا للخطية وعدم الإيمان.

ما المعنى العملي لذلك؟ هذا يعني أنه لا يوجد أي منا نحن الذين في هذه الأرض ليستطيع أن يقول أنه لا يحتاج للمساعدة، حتى مواطنون مملكة النور يحتاجون تدخل يومي من رفقائهم المواطنون الآخرون! لاحظ أيضًا أننا لسنا مدعوون أن نعظ ونشجع بعضنا البعض يوميًا بسبب خطية معينة ارتكبها أحدهم، ولسنا مدعوون هنا لكي نصبح مخبرين روحيين ونتحقق من أن الآخرون يفعلون الصواب، ولسنا مدعوون لنمسك أي شخص وهو يفعل الخطية، لا، بل أن سبب هذه الخدمة ليس خطية ما بعينها، بل هي الحالة الروحية العامة للعمى والتي تنتج بسبب مكر الخطية. ونحن نعاني من هذه الحالة بسبب أننا نفعل الخطية التي هي واضحة ومرئية للآخرين، وهذا يعني الآتي، أنه طالما أنا أعيش في هذه الأرض، فلا توجد دقيقة لن أحتاج فيها إلى مساعدتك! سأظل أحتاج إلى هذه الخدمة بشكل يوميًا طالما أن الخطية مازلت موجودة معي.

وجود وقوة الخطية الساكنة

أنا أعتقد أن كنيسة يسوع المسيح تقلل بشكل كبير من قوة ووجود الخطية الساكنة وتأثيرها على الحياة الروحية. تذكر أنه بالرغم من أننا أُنقذنا من مملكة الظلمة إلا أن الرب ما زال يعمل ليزيل الظلمة من داخلنا، (انظر رومية ٧ : ١٤-٢٥، إنها صورة واضحة عن الخطية الساكنة والحرب التي تنتج بسببها).

عندما نحارب الخطية التي فينا وفي الآخرين، فإن تدخلنا لا يعني أنه نقدي أو بصورة حُكم، لكن المراد منه هو أن يقودنا للمسيح ولنعمته المجيدة وذلك لنتشجع في أن نسير في مزيد من التواضع والحرص والإيمان.

كل منا لهو معين، وكل منا يحتاج للعون

ألاحظت في هذه الفقرة أنه لا يوجد بها أثرياء وفقراء لكن هناك خدمة متضعة، ومتبادلة، ومتوافقة، ومتوازية، فكل مؤمن يحتاج أن يدرك يوميًا احتياجه للعون وأنه مدعو بشكل يومي ليكون واحد من المُعاونين الذين عينهم الله. فنحن جميعًا مُعاونون بحاجة للعون! نحن جميعًا مدعوون لنقبل أن نُخدم ومستعدين لنَخدم. وفي حقيقة الأمر، أن إدراكنا لاحتياجنا الشخصي يمكّن الله من أن يستخدمنا كأدوات للتشجيع لبعضنا البعض، ونبدأ في إدراك أننا نحتاج لنفس ما سوف نقدمه أيضًا.

إن هذه الخدمة المذكورة في الفقرة الكتابية لا يمكن أن تُترك لرجال الدين المحترفين، فلا يمكن أبدًا أن يكون هناك ما يكفي من الأشخاص المرتبين والمُدربين ليسددوا الاحتياج اليومي لطبيعة هذه الدعوة «لكل يوم- لكل شخص»، لكنها دعوة تشمل كل فرد من جسد المسيح، لكن دعوة رجال الدين المسيحي أن يُعدوا ويدربوا كل فرد بأن يستطيع أن يكون مؤهلاً لهذه الخدمة المهمة، ومن الواضح هنا أيضًا أن هذه الخدمة لن تتم بشكل رسمي ودائم في الاجتماعات الكنسية،

لكنها تكون لازمة للغاية (وناجحة للغاية) في لحظات الحياة الدنيوية، فأنا أحتاج لتشجيعك في طوال الطريق وأنا فاعل ما يدعوني الله لفعله في حياتي الشخصية والعائلية والمجتمعية، أحتاجك لتشجعني لأتماسك وأحفظ نفسي.

هناك أمر آةخر مهم لنقوله عن هذه الفقرة الكتابية، أنها لم تكن فقط تحذير بل أيضًا هي دعوة، نقطة التحول في هذه الفقرة هي أمر، هي أمر لنتشارك مع بعضنا البعض بروح ورسالة وتردد محدد، إن استطعنا أن نفهم تلك العناصر الثلاث فإننا سنبدأ في فهم خطة الله لكلامنا. دعنا نتمعن في كل من هذه العناصر على حدة.

الاستمرارية:

الاستعداد في كل يوم

عندما تفكر في خدمة ما- كيف تُعمل ومن يقوم بها - ما الذي يأتي في ذهنك؟ ربما على الفور تفكر في الخدام «المحترفين»، وهم القسوس أو المشيرين أو المرسلين أو الكارزين المدربين المحترفين الذين يتقاضون رواتب، وربما يذهب ذهنك للفرص المخططة للخدمات التي في كنيستك المحلية، مثل خدمة التسبيح لاجتماع صباح الأحد أو مدارس الأحد أو فصل الأعضاء الجدد أو فصل التلمذة أو مجموعة الاجتماعات بالمنازل أو فريق كرازة اجتماع مساء السبت أو خدمة التمريض المنزلي أو خدمة الرحلات الإرسالية القصيرة أو مجموعة السيدات أو شركة الرجال أو مجموعة

الشباب، أننا يجب أن نكون شاكرين على هذه الخدمات المرتبة، لكن كاتب العبرانيين يتكلّم عن خدمة جسد المسيح من مصطلحات أقوى وأكثر شمولاً، فنظرته لم تقل عن مستوى أن تكون هذه الخدمة لكل شخص في كل يوم!

إن هذه الدعوة المدهشة للخدمة لهي ضرورة بسبب ما يواجهنا، فإنها تعكس الصراع الروحي في الكون لكل خاطئ، وطالما الخطية ساكنة فينا فستصبح قلوبنا خادعة بدرجة ما، وذلك يُنتج عمى روحي، ونحن نحمل ذلك معنا أينما ذهبنا، وهذا يعني أنه في كل موقف ومع كل شخص تلك الخدمة ضرورة، وهذه الخدمة ممتدة إلى ما هو أبعد من اجتماعات جسد المسيح المحددة.

وبما أننا أدركنا أن كلامنا تم التخطيط له ليكون أداة تُستخدم من قبل الله من أجل حمايتنا، ليس فقط من إغواء الشر الخارجي لكن أيضًا من ذاتنا بالمعنى الحرفي! فحين تكون الأم في المطبخ وهي تناقش ابنها في ما حدثه في يومه المدرسي، فهي تفعل ما هو أكبر من مجرد تقرير إخباري، فهي تبحث عن تلك المداخل التلقائية التي يرتبها الله حتى تستطيع من خلالها تشجيع أمانته مع المسيح، وهناك الصديق الذي يجلس مع رفيقه يتحدثان، لكنه يفعل ما هو أكثر من مجرد كلام عن الأخبار والجو وسوق العمل، لقد خضع لدعوة الله ولقد قبل الحياة المسيحية الصعبة، وهو يبحث عن فرصة ليشجع من خلالها الرجاء في المسيح.

زوج وزوجة يخرجان في موعد معًا لكنهما مازالا مفتوحان لهذه الدعوة العليا لأنهما يدركان احتياجهما الروحي المتبادل.

ما يجمع كل هؤلاء الأشخاص هو وضع الاستعداد، فهم يرون الخدمة بشكل أشمل من مجرد بعض الفرص الرسمية التي أتاحتها لهم الكنيسة، وهم مستعدون ليفعلوا أحسن ما في وسعهم تجاه هذه الفرص التي رتبها لهم الله يوميًا، فهم يؤمنون بحق أن كل يوم هو فرصة جديدة للخدمة، فهم يدركون التورط في كونهم خطاة، لكنهم يعتنقون حقيقة أن الله يضعهم أينما أراد من أجل أن يُستخدموا كأدوات له، وهم يرون احتياجاتهم الشخصية ويقبلون أن يُخدموا أيضًا، ومن منظورهم فإن الخدمة يومية ولكل شخص، وهم يفرحون بالحقيقة التي تقول أنهم مواطنون لمملكة النور، لكن في نفس الوقت يدركون أنهم مازالوا مواطنون بحاجة للمساعدة.

الروح:

تواضع الإنجيل

إن الروح التي ترتكز على خطة الله لكلامنا هي روح التواضع، وإن هذا هو ردة الفعل الوحيدة اللائقة التي تتماشى مع حقيقة البشارة التي كشفتها لنا هذه الفقرة الكتابية، ففي البشارة ظهر مقدار الخطية وعظمة نعمة الله، وهذه الحقائق لم تترك أي مساحة للتفاخر (انظر رومية ٣: ٢٤-٣٤، ٢٧-٢٨، كورنثوس الأولى ١: ٢٦ -٣١، غلاطية ٦ :١٥ ، أفسس ٢: ٨-٩).

وهذا التواضع يرجع صداه لروح بولس الذي رأى نفسه أسوأ من كل الخطاة، (تيموثاوس الأولى ١ :١٥-١٧)، فهو لم يدرك فقط نعمة التغير لكن أيضًا النعمة التي تتدفق يوميًا لحياتنا حتى نحيا ونتكلم كما خطط الله.

إن خدمة التدخل اليومية لا تولد من كبرياء ذاتي بسبب الإنجازات أو الخبرات أو الحكمة أو النجاح، ولا تولد من إيمان ماكر بأن الشخص الذي يقدم هذه الخدمة أو يستقبلها لهو شخص مختلف عن الباقين بشكل أو بآخر، لكنها بالأحرى تعترف بأنه لا يوجد أمر أستطيع أن أقدمه ولا أحتاجه أنا شخصيًا، فربما أكون قد عرفت المسيح منذ سنوات لكني مازلت أحتاج هذه النعمة في هذه اللحظة بنفس المقدار الذي كان في اللحظة الأولى لإيماني، وإن كان هناك أي حق أو حياة أو رجاء أو نعمة أو صلاح في فهو بسبب عمله فيّ، والشيء الوحيد الذي أضيفه على الطاولة هو عجزي وخطيتي، فإذًا أنا لا أقوم بهذه الخدمة من منطلق ثقتي في حكمتي وقوتي الشخصية، وأشجعك لتكون مثلي، لا أنا أتي إليك بضعفي وخطيتي لأقودك للشخص الوحيد الذي يستطيع أن يقدم القوة والتحرير.

عندما يصف بولس تواصل جسد المسيح مع بعضهم البعض، فهو لديه دائمًا هذه الروح في ذهنه:

فَأَطْلُبُ إِلَيْكُمْ، أَنَا الأَسِيرَ فِي الرَّبِّ: أَنْ تَسْلُكُوا كَمَا يَحِقُّ لِلدَّعْوَةِ الَّتِي دُعِيتُمْ بِهَا. بِكُلِّ تَوَاضُعٍ، وَوَدَاعَـةٍ، وَبِطُولِ أَنَاةٍ، مُحْتَمِلِينَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فِي الْمَحَبَّةِ. (أفسس ٤ :١- ٢)

التواضع يعني أنني أدرك أن باستطاعتي أن أقدم أمر واحد للمساعدة ـــــ وهو يسوع المسيح، فهناك صلاح وعطف ولطف يفيض من مجرد إدراك أننا أخوة وأخوات في نفس الصراعات، ونعمته فقط هي الرجاء.

الرسالة:

التشجيع لأجل الصمود

إن الرسالة التي دعينا بأن نأتي بها عندما تتاح فرص كل يوم هي هذه: لا تستسلم! هناك سبب لتكمل! لتتشجع! لا تبتعد! آمن في وعد الله! كُن رقيق القلب وأكمل في تبعية الرب! فالرسالة ليست فقط من أجل المواجهة، وليست قضائية وليست للنقد أو للإدانة، فنحن دُعينا لما هو أكثر من الإشارة لخطايا بعضنا البعض، لقد دُعينا لنشجع الأمانة في معركة إلى أن تنتهي بالنصر.

كل جنود الرب الذين أُنهكوا من الحرب يحتاجون لخدمة التشجيع تلك، وكلنا في بعض الأوقات نكون مثل الطفل الصغير الذي بدأ لتوه رحلة طويلة على الطريق لكنه كل ثلاثة أميال يسأل «أبي، هل وصلنا؟»، وكل منا عليه أن يواجه الحقيقة المحبطة أن الرحلة بدأت لتوها. إن الحياة رحلة طويلة، والحياة المسيحية حرب طويلة، وكلنا يفقد رؤية الهدف في بعض الأوقات، وكلنا يشعر في بعض الأوقات بأن الأمر كبير جدًا وصعب جدًا، وجميعنا نمر بأوقات نشعر فيها أننا نريد أن نستقيل وحسب، جميعنا نمتلك قلوب تميل للشرود.

في أحد المرات كنت جالسًا مع أب وابنه المراهق، وكنت قد اعتدت على أن أشهد على تلك المواقف كثيرًا، ولم أكن أود أن أكون فيها، وقد كان الأب على يقين أنه لا يحاج للمساعدة لكنه جاء فقط ليأتي بابنه، وفي نفس الوقت كان يجلس الابن في مقعده بتراخي محدقًا في الأرضية، ولم يبدي أي إشارة بأنه يرغب في المشاركة، وكنت أشعر بالغضب الموجود بينهما بالفعل، ولم يكن هناك دفء أو ود أو حب عائلي، لقد كانا محصوران في علاقتهما وكلاهما كره ذلك.

وقد تكلم الأب أولاً ولم يمضي كثيرًا حتى أحمر وجهه وعلا صوته، ولما سألته سؤالًا، تكلم مباشرة لابنه، «لقد أطعمتك وألبستك وأخذتك لرحلات رائعة وأدخلتك في الاتحاد الرياضي وفرقة السباحة وعلمتك القيادة واشتريت لك سيارة، وماذا أخذت منك؟ كل ما أتلقاه هو كومة من الأسى، إن كل شيء عنك يقول أنك (فاشل)! أنت بدون وظيفة وتخفق في امتحاناتك ـــ أنك حتى لا تستطيع الحفاظ على نظافة حجرتك، إنها مليئة بمستودع من نفايتك الشخصية. حين كنت في مثل عمرك، كنت مشتركًا بأنشطة رياضية وكنت أعمل بوظيفتين وكنت قائدًا في مجموعة الشباب، وكنت أحصل على تقدير جيد في المدرسة، وكنت أحترم أبواي، ولم تكن تدخل غرفتي وتجد حتى قمامة يوم أمس. أنا لا أعلم ما هي مشكلتك، لكن من الأفضل أن تحلها أو تخرج من هنا، في بعض الأوقات أتساءل من أين أتيت أنت! أنا لا أستطيع أن أمت بصلة لمن تكون وماذا تفعل! هيا قل لـ «بول» كم أنت فتى جيد وكيف تُعامل بالسوء في المنزل؟!»

أعتقد أنه بإمكانك أن تُعرّف هذا المشهد بأضعف معاني الكلمات بالمواجهة أو العظة. يتماشى ذلك مع تعريف الأب عن المواجهة لكنه لا يتماشى مع تعريف الله. هل هذا ما يدور في مخيلتك عن كابوس المواجهة؟ لا عجب في أننا نتجنب أمرًا بمثل هذه القسوة وعدم الجدوى! إن ذلك النوع من الكلام لا تتوفر فيه أي من مقاييس الله عن التواصل، وخاصة في مضمون رسالته، فمضمون رسالة الأب التي أراد توصيلها عن دون عمد كانت الآتي «أنك مختلف عني، أنت فاشل وأنا ناجح، أنت شخص غير مسئول وأنا دائمًا كنت مسئولًا، أنا عندي رجاء لكن لا يوجد الكثير من الرجاء لك، أنا بار أما أنت فمقيد بالخطية بشكل مؤسف، والقضاء قادم سريعًا»

أنا متأكد من أن ذلك لم يكن ما يؤمن به الأب من جهة اللاهوت بشكل «رسمي»، لكن في خضم الصراع واجه قلب ابنه الخاطئ، غير المؤمن، والبعيد، والقاسي بالبر الذاتي وعدم الصبر والإدانة، ولم يقدم له ما كان يحتاج بالفعل وهي رسالة متضعة وحنونة عن نعمة الله في وقت الأزمات. أرجو أن تفهم أن نعمة الله لا تقلل أبدًا من حجم خطيتنا، لكنها تعطينا سببًا لنستطيع مواجهتها، اعترف بها واتركها. والنعمة هي السبب الوحيد الذي يعطينا رجاء لنكمل في صراعنا مع الخطية، وهذا كل ما دُعينا لتقديمه للآخرين الذين بدأوا في الابتعاد بسبب العمى.

لم يدرك الأب أنه هو وابنه في نفس الحال ـــ ليس بمعنى أنهما ارتكبا نفس الخطايا ويعبران بنفس السلوك، لكن التشابه كان في احتياجهما لحظة بلحظة إلى نعمة الله، وكانا في نفس حالة فعل الصلاح والتكلم به والتفكير فيه بأكثر من قدرتهما بدون نعمة الله، كانا كليهما بحاجة لرؤية يد الله تعمل خلال حياتهما اليومية، وكليهما يحتاج على أن يتبع الله بالإيمان، وأن يحباه أكثر من كل شيء. لكن لم يرى أي منهما هذه الأمور، بل جلسا هناك، وكل منهما غارق في طريقه الخاص وممتلئ بالتعب والإحباط والشك والتمرد ومخدوع وعنده بر ذاتي ومتحير. الأب فكر «أنا كأب أفضل منك أنت كابن، ولديّ الحق في أن أفقد الأمل فيك» ، و(جو) الابن فكّر «أنا كابن أفضل منك أنت كأب ولديّ الحق في أن أفقد الأمل فيك»، لقد كان كليهما مخدوعين ذاتيًا ومستعدين للاستسلام، لقد كانا كليهما بحاجة لسبب يجعلهما يكملان ويريهما بمحبة خطيئتهم، تمامًا كما أحتاج الملك داود (لناثان) أن يفعل معه، لكنهما أيضًا كانا في احتياج لرؤية الحضور القوي للمخلّص المحب ونعمته المجيدة تعمل في حياتهما، ويتوقفا عن العيش لأنفسهما والبدء في العيش من أجله.

إن هذه هي خدمة التشجيع اليومية التي يجب أن تشكّل كلامنا مع بعضنا البعض. حين نقابل مؤمنين محبطين وفي عمى بسبب الخطية، هل نعطيهم سببًا ليصبروا ويستمروا بثقة ويكملوا المعركة؟

نموذج المواجهة في الكتاب المقدّس

ما هو الأمر المختلف الذي كان ليفعله والد (جو)؟ وما هي عناصر المواجهة المضبوطة كتابيًا؟ ما الذي يجب أن نفعله لنتجنب العثرات التي تكلّمنا عنها في هذا الفصل؟ لأجيب عن هذا السؤال دعني أقدم نموذجًا كتابيًا للمواجهة.

اختبر قلبك. المواجهة دائمًا تبدأ بك، ولأن جميعنا يصارع مع الخطية الساكنة لذلك يجب أن نبدأ بأنفسنا، ويجب أن نتأكد أن نتعامل كتابيًا مع غضبنا وعدم صبرنا وبرنا الذاتي ومرارتنا. وحين نبدأ باعترافنا الشخصي فإننا نصبح في مكان أفضل جدًا لقيادة الطرف الآخر للاعتراف.

انتبه لدعوتك. تذكر أن مواجهتك ليست مبنية على رأيك في الآخر، أنت في هذا المكان بصفتك سفير ووظيفتك أن تسلم رسالة الملك بأمانة كما هي. بطريقة أخرى، إن هدفك هو أن تجعل الناس ترى وتقبل وجهة نظر الله عنهم.

افحص اتجاه قلبك. فعندما تتحدث هل تخرج كلماتك بتواضع وصلاح ولطف وصبر وغفران وتحمل وحنو ومحبة؟ إن فشلت في ذلك فبهذا يحتجب مجد الله، والمواجهة المثمرة بالتغيير. إن علينا فحص كل من رسالتنا وأيضًا اتجاهنا ونحن نتكلّم.

اعترف بخطئك الشخصي. إنه لأمر حيوي أن تبدأ لحظات المواجهة ونحن مدركين بتواضع من نكون في الحقيقة، فحين نعترف باحتياجنا لغفران الله، فوقتها نستطيع أن نصبح صابرين وغافرين مع من دعانا الله لخدمتهم.

استخدم كلماتك بحكمة. إن المواجهة المؤثرة تستلزم تحضيرًا مسبقًا، خصوصًا لكلماتنا. فنحن بحاجة لطلب العون من الرب بأن نستخدم الكلمات التي تنقل رسالته وليست التي تعيقها.

تأمل من الكتاب المقدّس. إن محتوى المواجهة دائمًا هو الإنجيل، وهو يرشدنا ما يجب أن نقول وكيف نقول، ويجب عند دخولنا في مواجهة أن نكون على دراية تامة بوجهة نظر الكتاب المقدّس حول الموضوع المطروح، وذلك يمتد إلى ما هو أكثر من مجرد نقل بعض الآيات التي تثبت الأمر، ولكنه يعني الفهم التام للمشهد والمبدأ والمنظور والوصايا الموجودة بالإنجيل التي تشكّل طريقة تفكيرنا في الموضوع المطروح أمامنا.

كن مستعدًا دائمًا للاستماع. إن المواجهة الناجحة يكون بها تفاعل، فنحن بحاجة لأن نعطي مساحة للشخص ليتكلم بما أننا لا نملك القدرة على رؤية ما في قلبه أو قراءة عقله. فنحن بحاجة للترحيب بأسئلته وأن نبحث معه عن إشارات تساعده ليرى ما يحتاج أن يراه. ونحن نحتاج لسماع الاعتراف الحقيقي والتعهد بأمور معينة للتوبة، ونحن نستمع لذلك سنتعلّم أين نقف في عملية المواجهة.

أعطِ الوقت لـردة الفعل. علينا أن نعطي الـروح القدس وقتًا ليعمل. فلا يوجد أي أمر في الإنجيل يقول إن قمنا بعملية المواجهة على وجه التمام فإن الشخص سيعترف ويتوب في نفس اللحظة، بل يعلّمنا الإنجيل أن التغيير هو نهج، وإننا بحاجة لأن نتبع نفس نموذج الصبر الذي يمنحنا الله إياه. إن هذا الصبر لا يساوم في عمل الله من أجل التغيير، لكنه ينبع من التعهد به.

شجع الشخص من خلال الإنجيل. إنها لنعمة رائعة من الله، ويا له من حب غير مشروط، وعونه الأبدي الوحيد الذي يعطينا الأسباب لكي نترك الخطية. والإنجيل يقول إن لطف الله يقتاد الناس للتوبة (رومية ٢: ٤). إن حقائق الإنجيل ــ بكل من تحدياتها وتعزيتها ــ يجب أن تُشكّل مواجهتنا.

هل تتذكر الموقف المتوتر والمريب الذي جمع بين الشخص الذي أقدّم المشورة له والقسيس والشيوخ؟ كم سيكون الأمر مختلفًا في تفاعلهم لو كان القسيس قد اتبع هذا النموذج! تخيل كم ستكون النتائج مختلف لو تواصل أبو (جو) معه بهذا الشكل! تخيل كمّ الصلاح الذي سينتج لو لم تصبح المواجهة عصا غليظة بل نور، ولو لم تكن عبارة عن جمل من الأحكام لكن دعوة بمحبة من أجل التغيير، ولو لم تكن إعلان الإحباط بل تشجيع على إكمال الحرب ضد الخطية إلى أن يتم ربح المعركة في النهاية!

إن كل منا يعاني بطريقته الخاصة من الإعياء والإحباط والشك والتمرد والخداع والبر الذاتي والتحير. وكلنا نحتاج لما هو أكثر من شخص يشير إلى خطايانا! نحن نحتاج إلى شخص يرشدنا ليسوع، ويذكرنا بالثقة التي كانت لنا فيه من قبل ويساعدنا للعودة مجدداً لقلب الإيمان، نحن نحتاج على من يزيل عنا الغمامات ـــ ليست فقط الغمامات التي تعقينا عن رؤية خطايانا ـــ بل أيضًا الغمامات التي تعيقنا عن رؤية يسوع!

فقط في نور نعمته نستطيع أن نجد سببًا لنعترف بالخطية ونتركها، وهذا هو التشجيع الذي نحتاجه كل يوم.

لا تستسلم! هناك سبب لتُكمّل! افتح عينيك على حق الله وافتح قلبك عل تبكيته، افتح حياتك على نعمته واتبعه بالإيمان، يوجد عون ويوجد رجاء!

اَللهُ لَنَا مَلْجَأٌ وَقُوَّةٌ. عَوْنًا فِي الضِّيْقَاتِ وُجِدَ شَدِيدًا لِذلِكَ لاَ نَخْشَى وَلَوْ تَزَحْزَحَتِ الأَرْضُ، وَلَوِ انْقَلَبَتِ الْجِبَالُ إِلَى قَلْبِ الْبِحَارِ. تَعِجُّ وَتَجِيشُ مِيَاهُهَا. تَتَزَعْزَعُ الْجِبَالُ بِطُمُوِّهَا. (مزمور ٤٦ : ١-٣)

على المستوى الشخصي:

اختبر أسلوب مواجهتك

قم بتقييم آخر مرة واجهت فيها شخصًا ما (شريك حياة، ابن، صديق) مستخدمًا النموذج الكتابي الذي ذكرته في نهاية الفصل

كمرشد لك. كيف تبعت نموذج الكتاب المقدّس؟ وما الذي تحتاج لتغييره في طريقة مواجهتك للآخرين؟

ما هي المرات التي تجنبت فيها المواجهة وتركت أمورًا لم يتم حلها وعلاقات لم يتم تسويتها؟

هل تكتم غضبًا أو مرارة تجاه شخص ما وذلك يعيق فرصة مواجهة بناءة؟

ما هي الخطية التي أظهرها لك الله مؤخرًا ليذكرك باحتياجك الدائم لنعمته؟ وهل هذا يجعلك متواضعًا حين تفكر في خطايا وسقطات الآخرين؟

ما هو المقطع الكتابي الذي يساعدك في أن تواجه الخطية وتكمل صراعك ضدها؟ وما هي الفرص التي يرتبها لك الله لتشارك بهذا مع الآخرين؟

الفصل العاشر

في إرسالية الملك

«إِذًا نَسْعَى كَسُفَرَاءَ عَنِ الْمَسِيحِ، كَأَنَّ اللّهَ يَعِظُ بِنَا. نَطْلُبُ عَنِ الْمَسِيحِ: تَصَالَحُوا مَعَ اللّهِ» (كورنثوس الثانية ٥: ١٩–٢٠)

عندما كان يحكيها لي، عرفت أنها قصة لن أنساها بسهولة. كانت كل مقومات المواجهة القبيحة بين الأب وابنه الأكبر متوافرة، فالابن كان لديه التمرد ذو الوجهين والخداع المُهذّف مستخدمًا أدوات الأب لإنجاح الأمر وكل هذه الأشياء التقليدية التي تجعل الأب في معاناة نفسية. ولكن هذه المرة تغير الأمر، ولم يحدث هذا المشهد الكريه، بل حدث أمر رائع أكثر مما يمكن أن يتخيل أحد أن ينتج من هذا المشهد الذي بدا مريعًا. ما الذي صنع الفارق؟ دعوني أخبركم بالقصة.

لقد كان نهاية يوم عمل شاق بشكل غير عادي، وكان «فرانك» لا يطيق الانتظار للعودة إلى المنزل وتناول وجبة ساخنة والاسترخاء لبضع ساعات قبل الاتصال ببعض العملاء في المساء عن طريق البريد الإلكتروني، وبينما كان يقود سيارته تمتم في نفسه «إنني مرهق!» ولكن وهو يسير متجهًا إلى باب المنزل، جذبته رائحة وجبة شهية. وكان لديه وقت لقراءة الجريدة قبل العشاء ولحظات وجيزة

للاسترخاء بعدئذ، وبعد أن استراح، جلس أمام الحاسوب في مكتبه المنزلي، ولكن بعد أن تفحص البريد الالكتروني الوارد إليه، استقبله أمر ما غيّر هذه الأمسية تمامًا.

لقد وجد رسالة مرسلة لابنه، وعادةً لم يكن يقرأ رسائل «راين»، ولكن هذه المرة كان يطبع له رسالة، فنظر «فرانك» أمامه ورأى الكلام به ألفاظًا شنيعة بحروف كبيرة في جميع أنحاء شاشة الحاسوب، وعندها توقف وقرأ الرسالة. وبينما كان يقرأ الرسالة غاص قلبه داخله، فقد كانت غير مهذبة وبها كلمات جنسية مثيرة للاشمئزاز، وأيضًا جعلته يفكر بشكل ما -إن كان ذلك حقيقة- متسائلاً إن كان يعرف ابنه أم لا.

حينئذ بدأ فورًا بالبحث في الحاسوب على رسائل الكترونية من «راين» لصديقه هذا، ولم يمض وقت طويل قبل أن يجد أحدث الرسائل من ابنه. ولصدمته، فقد كانت رسالة ابنه أسوأ، لقد كانت سيئة جدًا لدرجة أن «فرانك»حرفيًا بكى حين قرأ محتواها، و كان يفكر هو جالس أمام الحاسوب مذهولاً «هذه القذارة كتبها ابنى، الذي يدّعى أنه مسيحي ملتزم؟ كيف يمكنه كتابة هذا؟ كيف له الجرأة أن يكتب هذا على حاسوب الشركة؟ كيف يمكن أن يضع هذه القاذورات على الملأ لأي شخص ليقرأها؟ وتحول الحزن بسرعة لغضب، وأحمر وجهه، وأخذ الرسالة الالكترونية في يده وذهب ليبحث عن «راين».

لقد كان عمل نعمة الله أن ابنه لم يكن بالمنزل، فلقد دبر الله في فكره أمرًا صالحًا لكليهما. ودعا «فرانك» زوجته «إلين»، لتأتي إلى غرفة النوم، حيث لصق الرسالة في وجهها وقال لها «انظري على ابننا اللطيف وما وصل إليه!»، وكما حدث لـ «فرانك»، بكت «إلين» بينما كانت تقرأ ما كتبه. وسألها «فرانك»: «أين هو الآن؟ أريد أن أتحدث إليه الآن!» «إنه يذاكر خارج المنزل ولن يأتي إلى المنزل إلا في وقت متأخر للغاية». ثم اندفع «فرانك» بعنف وقال: «إنني لا استطيع أن اصدق هذا! المرة التي يجب علينا أن نحدثه فيها لا نجده!». وعنها أجابته «إلين»: «ربما هذا للأفضل يا عزيزي، فسوف يتسنح لنا وقت للتفكير». ولم تكن هناك كلمات أكثر واقعية من هذه الكلمات.

وبينما كانا يتحدثان بدأت وجهة نظرهما في التغيّر، واستغرقت المحادثة المساء كله، وابتدأ «فرانك» يرى المشكلة وإنها ليست إهانَة شخصية كما يبالغ هو، ولكنها فرصة للاهتمام به، فمن الواضح أنه يخوض في خضم تجربة كبيرة وخطية كذلك. «إلين» كانت لديها القدرة على التقليل من حدة غضب «فرانك» ليتراجع ويلقي نظرة بتفكير أكبر في الموقف. كان الأبوان مبهوران بحب الله الكافي لابنهم بكشف خطيته. وحقيقة أن «فرانك» قد احتاج أن يستخدم الحاسوب في ذلك المساء، وحقيقة أن الرسالة قد جاءت من صديق «راين»، وحقيقة أن «راين» لم يكن بالمنزل عندما كُشفت كل الأمور، كل هذا كان من خطة إنقاذ الله. أن الله الفادي قد أتى ليمنع «راين»

من الاستمرار في الطريق الذي بدأ فيه، والله كان يدعو «إلين» و»فرانك» ليكونا جزءًا مما يفعله في حياة «راين» في تلك اللحظة.

هذا الإدراك ملأ «فرانك» و»إلين» بالفرح والرجاء حتى في وسط ألمهما وحزنهما، ووجهات النظر تلك أعطتهما تشكيلة جديدة من الأمور التي ستقال لـ «راين» وطريق جديدة بالكامل لقولها له. حيث أنهما تخيلا المشهد لو كان «راين» في المنزل عندما اكتشف «فرانك» الرسائل الالكترونية، كان سينفجر فرانك غضبًا ثم ينفجر «راين» مرة أخرى بالتالي أو سينسحب في صمت دفاعًا عن نفسه، ولا شيء من الخير الذي خطط له الله كان سيحدث.

في الصباح التالي استيقظ «فرانك» وجلسَ على طرف السرير وتكلم لـ «ألين»: «عزيزتي، لقد خطر ببالي هذا الصباح، أن لا شيء من هذا يخصنا، فهذه هي لحظة الله؛ نحن هنا فقط كأدوات له. لقد كنت أفكر وأنا مستلقي هنا أن «راين» ليس ملكنا حقًا، فهو ينتمي لله، ولقد وضعه الله في أيدينا حتى نكون أدوات الله في حياته، أنا أتألم وأعرف أنك أيضًا كذلك، لكن هذه فرصة رائعة للتحدث لـ «راين» عن أهم شيء في الحياة. ربما هذا يبدو مضحكًا، لكن خطر ببالي أن هذه لحظة للخلاص، هذا ما يفعله الله في حياة «راين»، إنه يعمل على إنقاذ «راين» من الموت والخطية، لذلك لم يدع «راين» ينجح في خطيته، لقد جعله ينكشف، لقد لصق الله هذا أمام أعيننا، لا لكي نكتئب ونحبط، بل لنكون أدواته لفداء حياة «راين». إنه من المهم جدًا أن نتناول هذا الأمر بطريقة الله! ولا يمكن

أن ندع ألمنا وغضبنا يقف في طريق ما يريد الله فعله. أنا فرحان جدًا بسبب أن لدينا وقت للتفكير والصلاة قبل أن نتكلم مع «راين».

وبالفعل تحدثنا مع «راين» ذلك الصباح. ولم يبدأ «فرانك» بلصق البريد الإلكتروني في وجه «راين» قائلاً «كيف تجرؤ أن تفعل هذا بي، أنت مخادع فاسق صغير!» إنما بدأ «فرانك» بسؤال «راين» إن كان بإمكانهم الصلاة قبل أن يتكلموا، وفي الحال جذب «فرانك» انتباه «راين»، فذلك لم يحدث من قبل! ثم أخبر «فرانك» «راين» بما اكتشفه. ثم قال بهدوء شديد لـ «راين» عن الأمرين الذين شعر بهما في تلك الليلة، الأول كان الحزن من فكرة خداع «راين» وخطيته. والثاني كان الفرح، بسبب أن الموقف بالكامل أظهر بوضوح حب الله لـ «راين» وعزيمته في العمل على إنقاذه من الخطية. وأخبر «راين» في نهاية كل ذلك، أنه يتمنى أن يكون «راين» محاطًا بمحبة الله. لقد كانت مناقشة طويلة وحتى وقت متأخر من الليل، لكن بالفعل حدث تغيير حقيقي في قلب «راين» ذلك المساء، ليس فقط في قلب «راين» ـ إنما أيضًا تغييرًا في قلب «فرانك».

عندما أخبرني «فرانك» لاحقًا بالقصة، كان قد أدرك تمامًا التغيير الذي حدث في داخله وقال لي «للمرة الأولى، أبدأ بالتفكير بشكل فدائي في العلاقات التي حولي. وقد خطر ببالي فكرة أنه لو أستخدم الله هذا الموقف لعمل مهمته في «راين»، فإنه فعل نفس الشيء مع «ألين» وأولادنا الآخرين ـ ومعي. لقد وهبني الله نظرة جديدة تمامًا لأسرتي ـ وليس فقط لأسرتي بل أيضًا لصداقتي. لقد أدركت

أن كيفية معالجة المواقف ــ ما أقول ــ مهم جدًا. إما أن أتولى السيطرة وأعالج الأمور بالطريقة التي تبدو الأفضل لديّ، أو أتجاوب بطريقة تجعلني جزءًا مما يريد الله فعله من خلال الظروف»

يالها من طريقة رائعة لنعالج بها الأمور! جميعنا نحتاج أن ننظر بنظرة الفداء لعلاقتنا، فقبل أن نتكلّم، نحتاج أن نسأل أنفسنا ما الفداء الذي أريد أن أتممه من هذا الموقف، ونحتاج أن نلتزم بأن نكون جزءاً منه. فنحن دُعينا لنكون في إرساليته. إنها غرفة عمليات لكل يوم ويبني فيها الله أبناء لديهم إيمان، وصلاح، ونضوج، ونحن أدواته التي يستخدمها. عندما تمسك «فرانك» و»ألين» بهذه النقطة، غيروا بالكامل الطريقة التي تعاملوا بها مع خطية ابنهم.

الدرس الذي تعلّمه «فرانك» هو ما يدور حوله هذا الفصل. فلكي نتحدث كسفراء عن المسيح، يجب أن نفهم إرسالية الله وكيف يقدّم لنا إرشادات عملية للأشياء التي نواجهها مع الأسرة وصداقاتنا وجسد المسيح.

قد كانت هذه هي إرساليته منذ البداية.

منذ اللحظة الأولى التي وجدت فيها الخطية على الأرض، جواب الله كان الفداء. وهذا هو الواضح في كلماته للشيطان بعد السقوط.

«فَقَالَ الرَّبُّ الإِلهُ لِلْحَيَّةِ: «لأَنَّكِ فَعَلْتِ هذَا، مَلْعُونَةٌ أَنْتِ مِنْ جَمِيعِ الْبَهَائِمِ وَمِنْ جَمِيعِ وُحُوشِ الْبَرِّيَّةِ. عَلَى بَطْنِكِ تَسْعَيْنَ وَتُرَابًا تَأْكُلِينَ

كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِكِ. وَأَضَعُ عَدَاوَةً بَيْنَكِ وَبَيْنَ الْمَرْأَةِ، وَبَيْنَ نَسْلِكِ وَنَسْلِهَا. هُوَ يَسْحَقُ رَأْسَكِ، وَأَنْتِ تَسْحَقِينَ عَقِبَهُ».» (تكوين ٣: ١٤-١٥)

بطريقة أخرى، قال الله للحية «لن أترك الأشياء كما هي، فمن خلال المرأة سأرسل مخلّصًا سيسحقك أنت وعملك من خلال آلامه الذاتية». إن جواب الله على كذب الشيطان وتمرد آدم وحواء لم يكن فقط للقضاء، لكن للخلاص. وهنا يقدم الله خطته التي تنكشف خلال باقي الكتاب المقدّس. الكتاب المقدّس هو قصة عمل الله لفداء الناس لنفسه، الذين سيحيون لمجده. نحن دُعينا لنكون جزءًا من عمله العظيم، هذا يعني أنه علينا أن نفكر في الأحداث والناس الذين نقابلهم بطريقة تشملهم (وتشملنا) في قصة الله للفداء، الرجاء الوحيد لقصتنا هو أن نكون جزءًا من قصته للفداء. والطريق الصحيح الوحيد لنعالج الأحداث في حياتنا هو أن نعالجها بالفداء.

إن هذه الإرسالية ودعوتنا لنكون جزءًا منها ظهرت بوضوح في دعوة الله للعهد مع إبرام.

«وَقَالَ الرَّبُّ لأَبْرَامَ: «اذْهَبْ مِنْ أَرْضِكَ وَمِنْ عَشِيرَتِكَ وَمِنْ بَيْتِ أَبِيكَ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أُرِيكَ. فَأَجْعَلَكَ أُمَّةً عَظِيمَةً وَأُبَارِكَكَ وَأُعَظِّمَ اسْمَكَ، وَتَكُونَ بَرَكَةً. وَأُبَارِكُ مُبَارِكِيكَ، وَلاَعِنَكَ أَلْعَنُهُ. وَتَتَبَارَكُ فِيكَ جَمِيعُ قَبَائِلِ الأَرْضِ».» (تكوين ١٢: ١-٣)

لقد كُتبت مجلدات عن عهد الله مع إبرام، وغرضي هنا ليس أن أضيف على هذه المجلدات، إنما أريد أن أدون ملحوظة مهمة جدًا

عن هذه الكلمات: أنها تشمل الراحة والدعوة. والأمر الأكثر راحة هنا أن تكون هدف لبركات الله! لكن الله لم يقصد أن يكون إبرام هدف لبركاته فقط، لكن من اليوم الأول كان قصد الله أن إبرام يكون قناة لبركاته للآخرين أيضًا، فمن خلال أبرام تتبارك كل الأمم على وجه الأرض.

من البدء، دُعي أبرام لكي ينظر إلى ما هو أبعد من ذاته وكي يرى حياته بالفداء. لقد دُعي ليكون جزءًا مما يفعله الله ليس فقط فيه أو لأجله، إنما من خلاله أيضًا. وهنا تكمن بذرة كل دعوة للخدمة موجودة في باقي الكتاب المقدّس. ما حدث خلال أحداث الكتاب المقدّس هو أن الله سقى وغذّى بذور الإرسالية المزروعة هنا حتى تكون شجرة ناضجة كاملة للخدمة وتظهر في رسائل العهد الجديد. ومن الواضح في نص هذا العهد أن الله ملتزم بفداء الناس لنفسه ودعانا كشعبه لنفس المهمة. لا يجب أن نفكر أبدًا في أنفسنا كأهداف لعهد محبته دون أن نفكر أيضًا فأنفسنا كممرات لهذا الحب للآخرين.

الفداء ليس فقط من أجل مصلحتنا أو من أجل خيرنا، إنما كان دائمًا يوافق قصد الله ومن أجل مجده. لا يمكن أن نعامل الخلاص كالحفلة التي نكون فيها كضيوف الشرف، بل هو احتفال للملك وقد دُعينا إليه بالنعمة (وبطريقة مثيرة للدهشة). وما نحتفل به هو ليس دعوتنا فقط؛ بل نحن نحتفل بشخصه، ونحن نظهر امتناننا بمساعدة الآخرين كي يأتوا ليعرفوه، وليخدموه، وليحتفلوا به أيضًا. إنها حفلته!

هو ضيف الشرف. وكل ما نقول أو نفعل يجب أن يعكس رغبتنا في أن نكون جزءًا مما يفعله، لنأتي بطريقة ما بالمجد الذي يستحقه.

الإرسالية بشكل أكثر وضوحًا

حتى حين أعطى الله الوصايا لشعبه في العهد القديم، كانت لديه هذه الإرسالية من أجل رؤية معينة. فقد دعي أبناء إسرائيل للالتزام الجذري بعمل الله الفدائي، الذي سيؤدي لمشاركة جذرية في حياة الآخرين. لقد تم دعوتهم للتحدث بطريقة تعزز عمل الله الذي يفعلوه في حياة الآخرين. إن دورنا في إرسالية الملك اليوم ليس أوضح من الدور الذي في لاويين ١٩، الفقرة التي أشار إليها المسيح عندما لخّص الوصايا في متى ٢٢.

« لاَ تَرْتَكِبُوا جَوْرًا فِي الْقَضَاءِ. لاَ تَأْخُذُوا بِوَجْهِ مِسْكِينٍ وَلاَ تَحْتَرِمْ وَجْهَ كَبِيرٍ. بِالْعَدْلِ تَحْكُمُ لِقَرِيبِكَ. لاَ تَسْعَ فِي الْوِشَايَةِ بَيْنَ شَعْبِكَ. لاَ تَقِفْ عَلَى دَمِ قَرِيبِكَ. أَنَا الرَّبُّ. لاَ تُبْغِضْ أَخَاكَ فِي قَلْبِكَ. إِنْذَارًا تُنْذِرُ صَاحِبَكَ، وَلاَ تَحْمِلْ لأَجْلِهِ خَطِيَّةً. لاَ تَنْتَقِمْ وَلاَ تَحْقِدْ عَلَى أَبْنَاءِ شَعْبِكَ، بَلْ تُحِبُّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ. أَنَا الرَّبُّ.» (لاويين ١٩: ١٥-١٨)

ما الذي تقوله هذه الفقرة عن علاقاتنا؟ يخبرنا الله أنه من المستحيل أن نحيا كما لو كانت الخطية غير موجودة، فبسبب أننا خطاة ونحيا في علاقات مع خطاة آخرين، ستظل الخطية مشكلة، إنها حقيقة لا مفر منها في حياة الإنسان. السؤال هو هل نتعامل مع الخطية بطريقة الله (بالفداء) أم وفقًا لرغبات وأهداف قلوبنا الآثمة.

تحب قريبك كنفسك

ربما الشيء الأول الذي تلاحظه من هذه الفقرة الكتابية هو أن وصية التعامل مع خطايا الآخرين بطريقة الله مرتبطة بشكل مباشر بوصية أن تحب قريبك كنفسك، تحب قريبك كنفسك تعني أشياء كثيرة، لكن هناك أمر واحد نحن على يقين منه: أنها تعني التعامل مع خطيتهم ضدنا بطريقة كتابية واضحة ومحددة، إنها تعني إدراكنا أننا قد دُعينا من الله لنكون جزءً فيما يفعله في حياتهم. نحن لسنا أحرارًا لنعالج المصاعب بالطريقة التي تبدو الأفضل لنا، فعندما يخطأ أحدهم في حقنا، فليس الشيء ذو الأهمية الكبيرة أن نشعر بالرضا أو بالانتقام، بل أن نتجاوب مع خطة الله ولمجده.

كلما أدركنا هذه الدعوة، لن نقع في كثير من خطايا القلب واللسان المذكورة بالتفصيل في هذه الفقرة، على الرغم من إنها تمثل إغراء عندما يخطأ أحدهم في حقنا، تذكر أننا نتعامل مع خطايا الآخرين طوال الوقت، وسيستمر هذا الأمر حتى يأتي المسيح مجددًا، وحتى ذلك الحين فكرة أن تحب قريبك كنفسك لها خصلة فدائية، فهي تعني أننا لا نتعامل مع الخطية التي ضدنا كالضحية، لكن كخدام للشخص الذي خلّصنا.

دعنا نواجه هذا الأمر: إنه من الصعب علينا أن نحب أقربائنا كأنفسنا حتى عندما لا يخطئون في حقنا! نحن جميعًا نميل لنكون

متمركزين حول الذات، لكي نتمم مشيتنا بطريقتنا، وأن نحيا لاكتفائنا وراحتنا الشخصية. وإنه من السهل جدًا أن نقع في الغضب وعدم الصبر عندما لا تُتمم رغباتنا بطريقة ما. أنا لا أشير حتى للمواقف التي نواجه فيها خطايا جادة، بل أننا نعاني من مشكلة في محبة الناس الذين فقط قد أذنبوا بسبب فشلهم في إسعادنا!

دعني أعطيك مثالًا من حياتي الشخصية. واحدة من الأشياء التي أستمتع بفعلها هي أن أذهب إلى الفراش تقريبًا في نفس الوقت مع «لولا». فإنها شريكتي المقربة وصديقتي المفضلة، وأنا أستمتع بتلك اللحظات الدافئة بيننا في نهاية اليوم. و«لولا» لديها صوت عذب جدًا وأحب أن أسمع صوتها كآخر شيء أسمعه قبل أن أذهب للنوم. هذه اللحظات التي أكون فيها قريب منها وأتحدث معها ثمينة جدًا.

في أحد الليالي عند الساعة العاشرة مساءً، خرجت من غرفة المعيشة لكي أذهب للفراش، على افتراض أن «لولا» ستذهب أيضًا، لكن عندما دخلت المطبخ، لم أستطع أن أصدق ما رأيته! كانت «لولا» تُمسك بالدلو والفرشاة، وهي راكعة على أرض المطبخ، تستعد لتنظيفها. في الحال امتلئت بالغضب، لم أصدق أنها تفعل هذا معي! ألم تعلم أن هذا هو وقتنا الخاص؟ هل يجب عمل الأرض الآن؟ لقد بدا لي أن انشغالها بتنظيف الأرض أهم من زوجها.

لحسن الحظ، لم أقل كل شيء كنت أفكر فيه، لكن قلت بصوت حاد وأنا ذاهب للسرير «لا أصدق أنك تفعلين هذا الآن!» لقد فكرت

في هذا المشهد مرات عديدة، وما صدمني ليس فقط عدم صبري، إنما أنانيتي المطلقة وراء هذا الأمر، وأنا أنظر لـ «لولا»، لم أرها كزوجة محبّة ومخلصة وتريد أيضًا أن تذهب للسرير لكنه رأت أن هناك مُهمة يجب أن تتم. أنا أعلم ما دار بذهنها، أن هذه الأرض تثير جنونها! فبسبب ستة أشخاص بالمنزل، تبدو دائمًا قذرة، وهذه كانت فرصتها لتنظفها لأن الوقت كان متأخرًا بالمساء واستعمال المطبخ خفيف، فبسبب محبتها وإخلاصها للأسرة استغلت الفرصة دون شكوى وتذمر.

لكن نظرتي لـ »لولا» لم تكن هكذا في ذلك المساء، لقد رأيتها زوجة ينبغي أن تتوجه للسرير معي! لم يكن هناك شكر لله أو لـ «لولا» في قلبي، لقد صعدت غاضبًا بسبب أنني ذاهب للسرير بمفردي بسبب أن «لولا» فضلت الأرض عني. تافه؟ محرج؟ نعم، لكن ربما يكون ذلك هو قوة ذلك المثل. فنحن نصارع مع أحداث صغيرة بحياتنا، نصارع للتواصل في وسط ذلك بطريقة الله، حتي عندما لا نخطئ في أحد. نحن ننتقد بغضب، كلمات قاسية عندما يكون الحمام مشغول، أو عندما يستخدم أحدهم السيارة، أو عندما يسبقنا شخص آخر لجهاز التحكم عن بعد أو للقطعة الأخيرة من الكعك، أو عندما لا توجد الجريدة هنا عندما نريد قراءتها، أو عندما يؤخرنا شخصًا ما، أو عندما لا نحصل على التقدير الكافي الذي نعتقد أننا نستحقه، أو عندما يدخل شخص في الصف أمامنا، أو المطبات على الطريق السريع، أو نسيان أن تترك الباب مفتوح، أو عدم الاهتمام بوضع

بنزين بالسيارة، أو البقاء طويلًا على الهاتف... ويمكن للقائمة أن تستمر وتستمر!

هذا هو ما نعيش فيه كل يوم. لو تجاوبنا بأنانية مع طبيعة الأخذ والعطاء للعلاقات، كيف سنتجاوب بالخلاص في وجه أخطاء حقيقية؟ لو لم تحب قريبك في الأمور اليومية العادية، كيف ستتجاوب عندما تكون الأمور المخاطر أكثر وأكثر؟ مجددًا، نحتاج أن نتمسك بعظمة دعوتنا والمتطلبات التي تفرضها على أحاديثنا اليومية، ونحتاج أن نتمسك بالحق الذي يقول أن الله أعطانا ما نحتاج لإتمام ما دعانا إليه (بطرس الثانية ١: ٣-٤)!

كيف سنتعامل مع الخطية؟

حيث أن جميعنا نتأثر بخطايا الآخرين بطريقة ما، فنحن نتعامل مع الخطية يوميًا، لكن القضية التي وضعها سفر اللاويين أمامنا هي: هل نتعامل معها بطريقة الله أم بطريقتنا؟ علينا ألا نخطئ، فهناك تناقض صارخ بين الإثنين.

يضع سفر اللاويين الطرق التي نتعامل بها مع الخطية من حولنا، في المنتصف يوجد طريق الحب الأوسط، وهو الطريق الذي قد دعانا إليه الله لنسلكه خلال علاقتنا مع الآخرين. وعلى الجانبين الآخرين هناك وديان الكراهية: الأشكال الخاملة للكراهية من جهة والأشكال النشطة من جهة أخرى. ولقد أمرنا أن نبقى في منتصف طريق المحبة ولا ندع أنفسنا نسقط في أي من هذه الوديان.

يشمل وادي الكراهية الخاملة اتجاهات القلب الداخلية من التحيز والمحاباة (لاويين ١٩: ١٥)، أو حمل الكراهية في قلبك (عدد ١٧)، وحمل الضغينة (عدد ١٨)، وإيـواء رغبات الانتقام (عـدد١٨). من الواضح أنه لا شيء من هذه الاتجاهات يتوافق مع دعوة الله بأن نحب أقربائنا كأنفسنا، ويعكس كل منها تجاوب القلب مع حب الذات والغضب ضد الذين لم يرضونا أو يشبعوا رغباتنا. هنا تتشكّل تفاعلات قلوبنا بتوقعاتنا الأنانية، وليس بعظمة مشاركة عمل الله على الأرض، ليس هناك دعوة أعظم، على الرغم من أننا ننسى هذا بسهولة في ضغوط الحياة.

على الجانب النشط للكراهية هناك أشياء مثل معاملة الناس بتحيز ومحاباة (عدد ١٥)، الحكم على الآخرين بدون عدل (عدد ١٥)، النميمة (عدد ١٦)، السعي للانتقام (عدد ١٨). مجددًا، هذه التفاعلات هي العكس المتناقض مع ما يطلبه الله منا.

لا يريدنا الله أن نسقط من طريق الحب على أي من الجانبين. الخوض في خطية الآخر هو مخالفة لما يدعونا الله له، الرغبة في رؤية الآخر يتأذى بالطريقة التي قد تأذينا بها هي مخالفة لدعوته، الاحتفاظ بسجل من الأخطاء هو مخالفة لدعوته ، كذلك النميمة حول خطأ شخص ما، وممارسة أي شكل من أشكال الانتقام هي مخالفة لدعوته. لو فحصنا حياتنا، سنجد الكثير من هذه التفاعلات موجودة فيها (انظر متى ١٨: ١٥-١٩).

الزوجة التي تعاقب زوجها بـ «معاملة الصمت» عندما يفعل شيئًا يجرحها، فهي تتجاوب بانتقام وفي فعل هذا تتخلى عن دعوتها للخلاص. والابنة التي تأذت من والديها وذهبت لغرفتها، وأغلقت الباب، وتسرد بالتفصيل كل طرق أسرتها التي خذلتها فيها، فقد تخلت عن دعوتها. والأخ المسيحي الذي يشارك بقصة مثيرة بالنميمة في شكل طلبة صلاة فقد سقط من منتصف طريق الحب وقد تخلى عن دعوته. والزوج الذي يذهب لعمله غاضبًا بسبب أن أسرته جعلته يتأخر، ويتخيل كم ستكون الحياة أسهل بدونهم، فقد أساء لدعوة الله.

كم هو سهل السقوط على أحد جانبي الطريق! وكم هي صعبة وكم هي سامية دعوة الله للمحبة! دعنا نكون أمناء ومتواضعين في صراعنا مع حب الآخر بالطريقة التي يصورها لنا سفر اللاويين. دعنا نعترف بالطرق العديدة التي نفقد فيها الطريق الذي قد دعانا لنسير فيه. دعنا نقر بأوجه القصور تجاه الله والآخرين، ونلزم أنفسنا بأفعال محددة للتوبة.

الطريق الأوسط للمحبة

منتصف طريق الحب ليس أن نكون لطفاء أو أن نتسامح برقة مع الذين نراهم يفعلون الخطأ، لكن المحبة نشطة! إن الله يريدنا أن نكون وكلاء عنه للخلاص حين نرى خطية الآخر. دعانا لنحكم على أقربائنا بالعدل ولنوبخ بعضنا البعض بطريقة واضحة وصريحة.

عندما نقول هذا، أرجوك أن تدرك أنه لم يُقال لنا أن نحكم ببرنا الذاتي، أو أن نتصرف مثل رجال المباحث، نصيد كل خطية التي يمكن أن نكتشفها في حياة الناس الآخرين، ولا دُعينا لنستخدم ألفاظا مسيئة، ونُلون المواجهة بالشتائم وصفات أخرى قاسية. إنما يقول الله أنه عندما يختار أن يكشف خطايا الآخرين لنا، يجب أن نتفاعل بالتضحية بالذات، والحب الفدائي. نحن نذهب لقريبنا وبأمانة ووضوح نواجهه بخطيته ــ وليس معنى ذلك أنه سيخضع لحكمنا، لكن لكي يخضع لله ويطلب رحمته ونعمته. نحن نريد الله، ومشيئته، ورحمته لتلوح في أفق المحادثة ــ وليس نحن.

شيء آخر أيضًا جذري عن هذه الفقرة، أنه يقول لو فشلنا في فعل هذا، لو أحببنا أنفسنا أكثر من محبتنا لله والآخرين، لو سمحنا لأنفسنا أن نسقط في هذه الوديان من الكراهية، سنساهم في ذنب خطية أقربائنُنا! نعم، «قايين» كان حارسًا لأخيه (تكوين ٤: ٩)! لم تكن دعوة الله ليكون قويًا. أن تفشل في التجاوب مع خطية الآخر بالحب الفدائي يعني أنكَ تشارك في جرمه. كما قال الله في نبوة «حزقيال»، فأن رأى الرقيب العدو مقبلاً وفشل في تحذير الشعب، فدمهم في يده (حزقيال ٣٣: ١-٩). لنكون جزءًا من فداء الله للخلاص ليس فقط دعوة عُليا إنما التزام أخلاقي.

نحتاج لقلوب الرقباء المكرسين، مهمة الرقيب ليست إجبار الشعب ليتجاوب مع تحذيراته؛ إنما ببساطة إعطاء تحذير واضح وفي الوقت المناسب، يجب أن يتأكد من أن تحذيره قد فُهم وأن يتوسل للناس

أن تتصرف بناءً عليه. وبفعل هذه الأشياء تكون مهمته قد انتهت، ويكون قد أتم دعوته.

دعوتنا هي أن ننبه الآخرين ساعيين لحماية وعناية منقذة من الفادي. إن «فرانك» و»ألين» لم يفقدا دعوتهما، لقد دخلا غرفة «رايـن» كالرقباء وتوبيخهما جاء كتحذير محبة واستخدمه الله ليغيّر قلب «رايـن»، وكل شيء قالاه نبع من قلب مليء بالرغبة في أن يكونا جزءًا مما يفعله الله، لا تفقد حقيقة أنه قبل أن يستطيع الله أن يستخدم كلامهما ليعمل في حياة «راين»، قد عمل أولاً فيهما، ولذلك سيكون معنا.

في النهاية، لاحظ أن هذا المقطع الكتابي تخلله مرتين كلمات، «أنا الرب». يقول الله، «هذا هو الملك يتحدث وهذه هي إرادته لك. أنا الرب، وأنا أدعوك لتحب الآخرين بهذه الطريقة. لا مجال للمناقشة أو الاعتذار أو السؤال. أنا الرب. الآن اذهب وكن أداتي للتنبيه والإنقاذ للذين وضعتهم بالقرب منك.»

الإرسالية العظمى

واحدة من أوضح الدعوات لنكون جزءًا من إرسالية الملك على الأرض موجودة في (متى ٢٨). بعد القيامة، طلب المسيح من تلاميذه أن يقابلوه على جبل في الجليل، وهناك تحدث بكلمات الإرسالية المألوفة لكل مؤمن، لا زلتُ أتسأل لو أن «فرانك» و«ألين» قد علموا أن هذه الإرسالية تنطبق على ما فعلوه مع «راين»، أتسأل

هل نراها تُطبق في علاقاتنا اليومية. أنا مقتنع أن هذه الكلمات فقدت الكثير من قوتها بسبب الطريقة المعتادة التي نفسرها بها.

فكر في دعوة المسيح العظمى لتلاميذه وكنيسته، واسأل نفسك، ما هي هذه الخدمة؟ ما تأثيرها على محادثاتي اليومية؟ ما هي المتطلبات التي تُحدثها على عالم الكلام؟

«وَأَمَّا الأَحَدَ عَشَرَ تِلْمِيذًا فَانْطَلَقُوا إِلَى الْجَلِيلِ إِلَى الْجَبَلِ، حَيْثُ أَمَرَهُمْ يَسُوعُ. وَلَمَّا رَأَوْهُ سَجَدُوا لَهُ، وَلكِنَّ بَعْضَهُمْ شَكُّوا. فَتَقَدَّمَ يَسُوعُ وَكَلَّمَهُمْ قَائِلاً: «دُفِعَ إِلَيَّ كُلُّ سُلْطَانٍ فِي السَّمَاءِ وَعَلَى الأَرْضِ، فَاذْهَبُوا وَتَلْمِذُوا جَمِيعَ الأُمَمِ وَعَمِّدُوهُمْ بِاسْمِ الآب وَالابْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ. وَعَلِّمُوهُمْ أن يَحْفَظُوا جَمِيعَ مَا أَوْصَيْتُكُمْ بِهِ. وَهَا أَنَا مَعَكُمْ كُلَّ الأَيَّامِ إِلَى انْقِضَاءِ الدَّهْرِ».» (متى ٢٨: ١٦-٢٠).

لقد وقف المسيح أمام تلاميذه كملك منتصر، فقد أتم إرساليته على الأرض وقريبًا سيجلس عن يمين الآب، لقد وضع سلطانه ودعا أتباعه ليأخذوا رسالته لجميع الأمم على وجه الأرض، وقد سمعنا العديد من النداءات القوية لنكون جزءًا من إرساليته للعالم اعتمادًا على هذه الفقرة، هذه النداءات مُقدرة ومطلوبة، لكن لاحظ من فضلك أنه لو فسرنا هذه الفقرة بهذه الطريقة فقط، ستترك معظم كنائس يسوع المسيح دون إرسالية! هذا ببساطة لا يحقق العدالة فيما نسجله هنا.

وعندما حد أناس الله هذه الفقرة في عالم من الإرساليات الأجنبية، فقدوا كثيرًا من معناها، نفس الشيء يحدث عندما نحد الفقرة بموضوع عن أن تكون الخدمة هي الوظيفة فقط، فتصبح هذه الفقرة تتكلم عن وظيفة بدوام كامل، وإرساليات أجنبية لمن قبلوا الدعوة للإرسالية العظمى! بالتأكيد هذه الفقرة تتضمن هذه التطبيقات، لكن هناك الكثير هنا أيضًا.

إنني أؤمن أن الكنيسة قد ضعفت بسبب إهمالها للنصف الثاني من هذه الإرسالية، فقد دعانا يسوع لا لكي نذهب ونصنع أتباعًا فقط، لكن أيضًا لنعلمهم معنى أن يحيوا حياة تخضع لكل وصايا المسيح. إنها دعوة للوعظ، والتشجيع، والتعليم حتى نحقق التحرير والتخلّص تدريجيًا من أنماط الخطية القديمة وعوضًا عن ذلك نشابه صورة المسيح. والإرسالية العظمى ليست فقط دعوة لجذب الناس لمملكة النور، لكن أيضًا دعوة لتعليمهم أن يحيوا كأولاد للنور طالما ظلوا متواجدين هنا. فعندما نفقد رؤية النصف الثاني للإرسالية العظمى (**«وَعَلِّمُوهُمْ أن يَحْفَظُوا جَمِيعَ مَا أَوْصَيْتُكُمْ بِهِ»**)، نفقد رؤية الدعوة لكلامنا اليومي.

الإرسالية العظمى كنمط للحياة

من المهم الآن أن تسأل لمن هذه الخدمة ومتى وأين ستنفذ، الإجابة خلال كل العهد الجديد هي أنها خدمة كل مؤمن، لتتم أينما ووقتما نحتاج. إنها ليست فقط دعوة لامتهان الخدمة، لكن بالأساس لنمط

حياة الخدمة. هذه الإرسالية تحفظنا من أن نفصل الخدمة عن حياتنا العادية واليومية، أين نُعلّم ونتعلّم أن نحيا كأولاد مطيعين لله؟ ليس فقط في البرامج الرسمية للكنيسة، لكن في خبرات الحياة اليومية، حين نتصارع مع ميولنا العدوانية ورغبات الطبيعة الخاطئة فينا. لذلك أصبحت علاقة الزوج والزوجة صورة للإرسالية العظمى. أصبحت العلاقات في جسد المسيح صورة لخدمة الإرسالية العظمى، الإرسالية العظمى ليست فقط للتبرير، إنما لتقديسنا تدريجيًا أيضًا.

هذا يعني عندما أريد التحدث مع زوجتي عن المصاعب والإحباطات في علاقتنا، فأنا أفعل هذا بعقلية «الجزء الثاني للإرسالية العظمى». إنني أعترف أن الهدف الأكثر أهمية لمحادثاتنا هو أن كلماتنا تشجع العمل الذي يفعله الله في كل منا، الواقع الحقيقي أننا نحتاج أن نشير إليه هو أن هذا العمل لم يكمل بعد، حتى الخلافات البسيطة تكشف أننا مازلنا لا نخضع لوصايا المسيح، لذلك كلما نسعى لفهم بعضنا البعض وحل مشاكلنا سويًا، نريد أن نظهر العمل الذي يعمله الله ليسعدنا كي نحيا أكثر كأولاد للنور. مجددًا، القضية هنا ليست التعامل مع المشاكل، لكن القضية هي هل تتشكّل أساليبنا بالرغبة بأن نُعلّم حقه لبعضنا البعض إلى أن يحين الوقت الذي لا نحتاج فيه هذه الخدمة؟

إن «حياة الخدمة» هي اتجاه قلب يجب أن يغطي كل الكلمات التي ننطقها. نحن لا نخرج من الحياة للإرسالية. دعوة الله تمتد لكل لحظة للحياة! تجاوبنا هو أن نخضع للالتزام الأخلاقي بأن نحب أقاربنا كأنفسنا، نتحرك بدافع أكبر من مجرد من سعادتنا الشخصية،

اكتفائنا الذاتي، وراحتنا الشخصية، نحن نريد أن نكون جزءًا فيما يفعله الملك في حياة من حولنا.

هذه الفرص ربما لا تبدو كما نتوقعها، نادرًا ما يسأل شخص عن «ماذا يقول الكتاب المقدّس عن ...؟» أو «أنني أدركت أن هناك مناطق بحياتي خارج مشيئة الله وأحتاج مساعدة.» أو «أبي، هل هناك المزيد من وصايا الكتاب المقدّس أحتاج أن أطبّقها على حياتي؟» بل، أقوى لحظات الإرسالية تأتي في أوقات الصعاب لنُظهر عمله في حياتنا، وإذا كنا أحد أدواته الأولية للتغيير، فربما تأتي أكثر الفرص المذهلة في اللحظات التي لا نتخيلها.

عادة في مثل هذه اللحظات نكون محصورين في مشاعرنا الشخصية (الألـم، والخوف، وخيبة الأمل، والغضب، والحيرة، والإحباط، إلـخ...) أو محصورين في رغباتنا الشخصية (الحلول السريعة، وأن أكون على حق، وأن ألقى التقدير الكافي، وأن أهرب، وأن أربح، وأن أخرج بأقل الخسائر الممكنة إلخ...) التي تفقدنا رؤية الفرصة التي وهبها لنا الله لنتحدث بكلمات تظهر مهمة فدائه. عندما قرأ «فرانك» البريد الإلكتروني لـ «راين» في المرة الأولى، لم يفكر، يالها من فرصة عظيمة للخدمة! أشكرك، يا رب! بل، كان قلبه ممتلئًا بحزن الأب، وهذا ملائم للحال، لكن هذه الكلمات المؤلمة المكتوبة بالأبيض والأسود بطريقة لا يمكن لـ «راين» أن ينكرها، كانت هي الطريقة التي استخدمها الله ليحرك «فرانك» و»ألين» ولينقذ «راين». هذه اللحظة من الحزن لم تكن لحظات «فرانك» و«ألين»،

إنما كانت لله. لقد كشف لهم ما هي الأشياء التي في قلب «راين» التي كان يعرفها من قبلهما، وقد دعاهما ليشاركوه في المعاناة حتى يشاركوه في عظمة عمله للتغيير.

احتاج «فرانك» و»ألين: أن يخرجا من الكلام المنقاد بسباقات المشاعر ورغبات نابعة من الخوف. («كيف تفعل هذا بنا؟» «نحن نفعل ونفعل لأجلك وهذا هو الشكر الذي حصلنا عليه؟» «هذا البريد الإلكتروني يثبت أنك في الشركة الصحيحة ــ فاشل محاط بفاشلين!» «لا تعتقد أنك ستستطيع استخدام هذا الحاسوب مجددًا! لقد فقدته مدى الحياة!» «من الصعب أن أصدق أنك ابني، لماذا، في أيامي لم أكن أفكر في فعل أمرًا مثل هذا!» «لمرة واحدة، نريدك أن تفعل شيئًا يمكن أن نحترمه!») لكنهما تحدثا لـ ـ»راين» بدافع محبة الله لفداءه، هذا الحب كان السبب في هذه الفرصة. لقد مكنهما من أن يرفضا التكبر، وكلمات البر الذاتي وبدلاً من ذلك قدما بوداعة كلمات النعمة. لقد عاملا «راين» كخطاة اختبرا تدخل يد الفادي في أنفسهما، وسعيا لأجل أن يجعلاه يختبر نفس قوة ونعمة التحرير.

التوبيخ ليس إدانـة إنما دعـوة، كلمات الوعظ ليست للحكم، لكن للتشجيع على تبعية الله. المواجهة ليس جملة، إنما تحذير. نحن نتكلم كلمات الله بعضنا البعض لا بسبب أننا أفضل أو أعلى وليس بسبب أننا قادرين على إصلاح الناس، لكن نحن نعلّم، ونشجع، ونعاتب، ونصحح، ونعظ بسبب أن الله فوضنا لفعل هذا. هذه الدعوة

ليست لقطاع واحد من حياتنا المنشغلة جدًا بالفعل؛ إنها في حد ذاتها نمط للحياة. إنه ما ينبغي فعله أينما نكون، ومع أي شخص نكون.

تأتي الخدمة بغتة، عادة تكون ملفوفة بالمصاعب. في وسط هذه الفرص، نريد أن يكون كلامنا متوافق مع دعوة الله، لأجل أننا قبلنا حقيقة أننا قد تم اختيارانا لنكون في إرسالية الملك.

على المستوى الشخصي:

لمن الإرسالية، لك أم للملك؟

كيف تكون ردة فعلك المعتادة للمشاكل؟ (تنهمك في رثاء الذات؟ تستجوب الله؟ تلوم الآخرين؟ تلعن الظروف؟ تنظر ليد الله؟ تسعى للخدمة؟)

في أي المواقف تميل لتحويل لحظات الخدمة للحظات من الإحباط، والسخط، والغضب؟

ماذا يعني أن ترى العلاقات بزاوية الفداء؟ هل لديك أي علاقات تفشل في أن تراها بهذه الطريقة؟

هل تسبب لك الخوف في تزيين الحق، وتجنب الأمور، أو التماس الأعذار لشخص ما بدلاً من مواجهته؟

ما هي المواقف التي اتجهت فيها أن تأخذ الأمور بشكل شخصي وهي لم تكن شخصية وبفعل هذا فقدت الفرصة التي أعطاها لك الله لتتحدث بمنظور الفداء؟

ما هي مصاعب حياتك التي تعطيك فرصة لتطبيق عمل الإرسالية العظمى؟

في علاقاتك، متى تميل لنسيان وعود الإنجيل وتصبح مشوشًا أمام الفرص التي وهبها لك الله؟

اعترف بأي خطية انكشفت لك من خلال هذه الأسئلة لله وللناس الملائمين. تمسك بالوعد الموجود في يوحنا الأولى ١: ٨-٩).

الجزء الثالث

الانتصار في صراع الكلمات

«تُفَّاحٌ مِنْ ذَهَبٍ فِي مَصُوغٍ مِنْ فِضَّةٍ، كَلِمَةٌ مَقُولَةٌ فِي مَحَلِّهَا.» (أمثال ٢٥: ١١)

يا رب، ربما اليوم هناك شخصٌ ما يحتاجني

كذراع لحمل أحمال الحياة،

كعين لتقود الضياع،

كعقل ليتعلم قانون الحب.

ليت يداي تكون غير متراخية،

عيناي لا تخفت

أو عقلي يفشل في الفهم

بالأحرى، اجعلني قويًا

أعطني بصيرة،

املأني بالحق.

يا رب، لا أريد أن أكون

غير مستعد، غير جاهز، غير متأكد

عندما يعلن احتياجه.

لذلك ساعدني واستخدمني

لأبارك قريبي

وفقًا لمشيئتك

وفي اسمك،

آمين.

الفصل الحادي عشر

ترتيب الأولويات

«اَلإِنْسَانُ الصَّالِحُ مِنْ كَنْزِ قَلْبِهِ الصَّالِحِ يُخْرِجُ الصَّلاَحَ، ...
فَإِنَّهُ مِنْ فَضْلَةِ الْقَلْبِ يَتَكَلَّمُ فَمُهُ.» (لوقا ٦: ٤٥–٤٦).

كلما تقترب لنهاية هذا الكتاب، ربما تفكر، «(بول) لقد فهمت دعوة الله لكلماتي، ولقد علمت أنني لم أتكلم بمنظور الفداء، وكانت رغباتي الشخصية تقود كلماتي، وأستطيع أن أرى ثمر خطيتي وفشلي في كل الأنحاء، لكن لا أعلم ماذا أفعل!»

إن هذا الفصل لك، الفصل يدور حول التحول. نريد أن ننظر لطريق الله للتوبة. فكلما تحولت بعيدًا عن الطريقة القديمة للكلام، فمن المهم أن ترتب أولوياتك وأن تبدأ بقلبك. التوبة في الكتاب المقدّس تُعرّف بالتغيير الجذري في قلبك الذي يؤدي لتغيير جذري في حياتك. عندما دعى الله إسرائيل للتوبة قال «**وَمَزِّقُوا قُلُوبَكُمْ لاَ ثِيَابَكُمْ. وَارْجِعُوا إِلَى الرَّبِّ إِلهِكُمْ**» (يوئيل ٢: ١٣). تمزيق الثياب كان يرمز للندم في ثقافة العهد القديم، لذلك يقول الله بالضرورة، «أنا أريد ما هو أكثر من الأفعال الرمزية للتوبة، أريد القلوب التي تتغير بالفعل.»

أساس التوبة:

قلوب تتمسك بالإنجيل

إنه لمن الصعب أن نفهم، لكن مع ذلك فالحقيقة أن الله يكشف خطايانا وفشلنا لا من أجل الإدانـة، لكن من أجل محبته الفدائية، كأب يؤدب أولاده من أجل جعلهم قديسين. ولم يكن قصده أبدًا أن يقهر، ويدمر، أو يتخلى. وعلى الرغم من أن التأديب يكون مؤلمًا، لكن غرضه إنتاج حصاد البر والسلام فينا (العبرانيين ١٢: ١-١٣).

لذلك لا تستسلم لليأس، لا تدع العدو يخدعك بالتفكير في أنه قد فات الأوان أو أنك لن تفعلها أبدًا بالطريقة الصحيحة، لا تدع شعورك بالفشل يحولك بعيدًا عن الله عن طريق الذنب والخجل. لكن تحول إليه وانظر في وجهه سترى محبة الآب التي تقبل، إنه الآب الذي يجبرك أن ترى نفسك على حقيقتها بسبب أنه يحبك محبة شاملة وعميقة.

ربما تكون أعينك قد انفتحت من خلال هذا الكتاب، وتكون قد رأيت أشياء تخص تواصلك ولم تكن تراها من قبل. تعال لله بانكسارك، واطلب غفرانه ومساعدته. لو أنبك الله، فهذا إما أن يكون لحظة للتحول والتغيير أو لحظة للتصلب. تشجع وتب! أنت محبوب!

تبدأ التوبة الحقيقية بقلب مرتاح في عمل المسيح والوعود الكثيرة التي تنبع من انتصاره على الخطية. أود أن أوضح ستة من هذه الوعود بسبب أنهم شجعوني لأخرج من الظلمة للبحث

عن نور الحق. فالخطية تُنتج الشعور بالذنب، والخجل، والخوف، لكن فقط بمحبة الله الكاملة يُطرح كل هذا بعيدًا. في وعوده العظيمة والثمينة، وجدت كل شيء أحتاجه لفعل ما دعاني إليه (بطرس الثانية ١: ٣-٤).

الوعد الأول الذي نحتاج أن نعتنقه من الإنجيل هو **الوعد بالغفران،** وعد الله للغفران شامل وكامل، لقد قال أنه لا يعود يذكر خطايانا فيما بعد، لكن سيبعد عنا معاصينا كبُعد المغرب عن المشرق! ياله من وعد رائع! لا يتوجب عليّ حمل خطايا في كل مكان كالحقيبة المليئة بالندم والتي تصنع كدمات بالأكتاف الروحية وتكسر العمود الفقري لإيماني. أخذ يسوع حِمْل خطيتي على شخصه لذلك لا يتوجب عليّ حملها فيما بعد.

يا لها من حرية موجودة هنا! إنه ليس من المنطقي أن يحيا المؤمن مسجونًا بالخوف، في ظلام الشعور بالذنب والخجل، لقد دفع يسوع الدين! لذلك، رغم أنني آتي متسخًا وملطخًا، لكنني أستطيع أن آتي للمسيح مملوءًا بالإيمان والرجاء، وأستقبل الغفران الذي لي كابن لله.

الوعد الثاني للإنجيل هو **التحرير**. جاء المسيح لا لكي يغفر خطايانا فقط، بل ليحررنا منها أيضًا. لقد كسر على الصليب قوة سلطان الخطية عليّ (انظر رومية ٦: ١-١٤). لا يجب أن أستسلم بعد الآن لخطايا اللسان، الأمور يمكن أن تكون مختلفة، أستطيع التحدث بطريقة جديدة.

لا أجد في الإنجيل الغفران والتحرير فقط، لكن قوة أيضًا. كما وعد الله بولس «**تَكْفِيكَ نِعْمَتِي، لأَنَّ قُوَّتِي فِي الضَّعْفِ تُكْمَلُ**».» (كورنثوس الثانية ١٢: ٩). نعم لقد سقطنا بعيدًا عن مقاييس الله، وبأنفسنا لا نستطيع فعل أي أمر صالح، لكن الله لم يتركنا هكذا. لقد أتى بقوته وملأنا بروحه حتى نستطيع التحدث بالطريقة التي تفيد الآخرين وتمجده، نفس القوة التي أقامت يسوع من الأموات تحيا فينا (أفسس ١: ١٩-٢٠). لذلك يجب ألا نستسلم فيما بعد للضعف. نستطيع التحدث بالقوة التي لنا في المسيح.

وعد ثمين آخر للإنجيل هو **الاسترداد**. إنه من السهل أن ننظر للوراء على حياتنا ونرى الحطام للفرص الضائعة. وإنه من المغري جدًا أن نتمنى أن نستعيد كلماتنا ونقول ما هو صحيح في ذلك الوقت. إنه من السهل أن تسأل لماذا أخذ الله وقتًا طويلا لكي يكشف لنا مدى قصور كلماتنا.

هنا وعد الله للاسترداد رائع جدًا، «**وَأُعَوِّضُ لَكُمْ عَنِ السِّنِينَ الَّتِي أَكَلَهَا الْجَرَادُ،... فَتَأْكُلُونَ أَكْلاً وَتَشْبَعُونَ وَتُسَبِّحُونَ اسْمَ الرَّبِّ إِلهِكُمُ**» (يوئيل ٢: ٢٥-٢٦). الله هو الذي يرُد. إن السنوات لم تُفقد. وبمحبته السيادية، أحضرنا الله لهذه النقطة للرؤية والاقتناع فقط في اللحظة المناسبة. إن توقيتاته صحيحة دائمًا. إن العملية كلها قد صممت خصيصًا لإتمام ما وعد به ـ وهو حصاد البر. ويا للروعة، فإن الله وعد أن يعيد ما فقد في هذه العملية حتى لا نكون نحن شعبه في وضع مُخجل (يوئيل ٢: ٢٧)!

نجد في الإنجيل أيضًا وعد المصالحة. محور الإنجيل هو قدوم ملك السلام. وإننا نجد فيه المصالحة ليس مع الله فقط، بل مع الآخرين أيضًا. هو الشخص الوحيد الذي يستطيع أن يدمر الحواجز التي تفصل الناس (أفسس ٢: ١٤-١٨)، هو فقط القادر على وضع المحبة في القلوب حينما تسود الكراهية فقط، وهو يجعل الأشخاص المستهترين والمتمركزين حول ذواتهم يصبحون أناسًا لطفاء وعطوفين. ومن جمرة الخطية والفشل الإنساني أنتج جوهرة من الصلاح. لقد أتى حتى يعيد قلوب الآباء مجددًا لأبنائهم وقلوب الأبناء لآبائهم (ملاخي ٤: ٦). لقد جاء لكي تكون كنيسته مجتمعًا للوَحدانية والمحبة (يوحنا ١٧: ٢٠-٢٣). لقد جاء ليحيا الأزواج والزوجات كجسد واحد. لذلك هناك رجاء بأنه حيثما تأذت العلاقات أو حتى دُمرت، فإن الشفاء الحقيقي بالمصالحة يمكن أن يتم. مخلّصك هو ملك السلام!

بالإضافة لذلك، فإن الإنجيل قد وعد بإعطاء الحكمة. يتحدث يعقوب عن هذا بشيء من الواقعية: «**وَإِنَّمَا إِنْ كَانَ أَحَدُكُمْ تُعْوِزُهُ حِكْمَةٌ، فَلْيَطْلُبْ مِنَ اللهِ**» (يعقوب ١: ٥). يا للبساطة، والتشجيع! يمكنك أن تفكر، إنني أعرف أنني أحتاج للتغير في تعاملاتي، لكنني لا أعرف من أين أبدأ أو ماذا أفعل! ما تحتاجه هو الحكمة، والله لا يعطي الحكمة وحسب، إنما يعطيها بسخاء ولا يُعيّر. ليس لدينا أي سبب للياس من جهلنا عندما تكون لنا «**كل كنوز الحكمة والمعرفة**» **المختبئة في المسيح** (كولوسي ٢: ٣). دعوته بسيطة: «تعال، واسأل، وسأعطيك!»

أخيرًا، وعدنا الإنجيل بالرحمة. يذكّرنا كاتب العبرانيين أن المسيح جُرّب مثلنا في كل شيء، لذلك هو يدرك ويواسي ضعفاتنا، فبإمكاننا أن نأتي إليه ونجد رحمة ونعمة لمساعدتنا في وقت احتياجنا (العبرانيين ٤: ١٤-١٦). في أصعب المواقف، وفي أكثر العلاقات المجهدة، لن نقف أبدًا بمفردنا بقدرتنا الشخصية فقط لتساعدنا، بل نحن في المسيح وفيه يمكننا فعل المستحيل.

لا أستطيع أن أحب أعدائي، ولا يمكن أن أعمل الصلاح للذين أساءوا التعامل معي، ولا يمكنني أن أكون صبورًا في وجه الأشياء المثيرة للغضب، لا يمكنني أن أحترِم عندما لا أُحترَم، لا يمكنني أن أترك ثأري لله، لا أجد سعادة في خدمة التضحية بالذات، لا يمكنني أن أتكلم بلطف في مواجهة غضب الآخر، ليست طبيعتي أن أكون لطيفًا، ورحيمًا، ووديعًا، أو متسامحًا. المقياس عالي جدًا والدعوة عظيمة جدًا عليّ لأتممها، لكن هذا ما جاء لأجله يسوع، فيه نجد بالفعل كل شيء نحتاج إليه!

الإنجيل هو التربة التي تنمو عليها التوبة الحقيقية. إنها وعود تجعلني أريد أن أواجه خطيتي وتعطني القوة لأتحول عنها، الرجاء الحقيقي للتغيير الحقيقي يوجد في المسيح! التوبة تُبنى على هذا الأساس.

السؤال التالي هو، كيف تبدو التوبة الحقيقية؟ كيف يظهر التغيير الحقيقي للقلب في تعاملاتك؟ وهذا يقودنا للاهتمام بخطوات التوبة الحقيقية، كيفية تغيير القلب التي تؤدي لتغيير الحياة.

المراءاة:

الخطوة الأولى للتوبة

الخطوة الأولى في عملية التوبة هي أن نعترف أننا نميل للعمى الروحي، نحن نرى خطايا وفشل الآخرين بوضوح أكثر مما نفعل مع أنفسنا. نحن جميعًا على أتم استعداد لاختلاق الأعذار وإلقاء اللوم، لنترك عن أنفسنا صورة مُشوهة عن من نكون أو ماذا نفعل.

العلاج بسيط للغاية. إننا نحتاج أن ننظر باهتمام في مرآة كلمة الله لنرى أنفسنا على حقيقتها، ونرى أين يحتاج أن يتم التغيير (يعقوب ١: ٢٢-٢٥). كلما ننظر لمرآة الله نحتاج أن نسأل، ما الذي يريد أن يظهره الله لي ولم أراه من قبل عن الكلام في حياتي؟

كلما قرأنا الكتاب المقدّس، سنرى أن الكتاب المقدّس يؤكد على أن التعاملات لا تُركز بقوة على التقنيات الجديدة كما هي تركز على منهاج القلب الذي يحول الكلام من حدة عالم الشر للنعمة الموهوبة لعالم الخير، وهذا المنهاج تنبع منه مبادئ كتابية عملية للتواصل الذي يعرف ما الذي يعنيه أن نتكلم بمنظور الفداء. ولن تعود كلماتنا تترك آثارًا للإحباط، والدمار، والانقسام. إنما ستكون كلمات الحب، والحق، والنعمة، والرجاء، والإيمان، والغفران، والسلام، وحصاد للبر.

القلب وراء الصراع

هناك زوجين كنت أشير عليهم لسنوات عديدة، وحكايتهم تشرح لنا حاجتنا الماسة لنفكر مرة أخرى في قلوبنا التي تتحكم في كلماتنا. لقد كنت أشير على «بوب» و»ماري» لفترة من الوقت، وواحدة من صراعات «بوب» المستمرة مع «ماري» كانت توترها وحدة غضبها تجاه أولادهم الثلاثة. ولقد شجعت «بوب» ألا يشتكي لي فقط من غضب «ماري»، إنما أن يُلزم نفسه بأن يتكلم بالحق لـ «ماري».

جلسنا مجددًا نحن الثلاثة سويًا ولخّص «بوب» أحداث الأسبوع. «بالمناسبة..» قال لي، «لقد أخذت بنصيحتك وواجهت «ماري» بغضبها، وأخبرتها أنها تحتاج أن تفحص كم هو مدمر هذا الغضب، وكيف أنه يعد كطريقة تتعارض مع ما يريد الله فعله في حياة أولادنا.» وأنا أستمع لـ «بوب»، كان لدي ردان متناقضان، الأول كان أن ما يقوله «بوب» يبدو صحيحًا وجيدًا، ورد الفعل الثاني جاء بسبب مشاهدة «ماري» حين كان «بوب» يتكلم، فهي لم تبدي إعجابها بالملخّص الذي يقوله تمامًا، بل في الحقيقة، لقد كانت غاضبة بشكل واضح من الشكل الذي لخّص به «بوب» ما حدث!

وعندها قلت «(ماري) أنت تبدين منزعجة مما قاله (بوب) ، لماذا لا تخبريني فيما تفكرين؟» ووقتها وصفت «ماري» المشهد بهذه الطريقة. «لقد قررت أن أصنع لنا جميعًا وجبة مطبوخة بالمنزل على سبيل التغيير. وكان الأمر صعبًا جدًا مع طفل عمره

خمس سنوات وطفلان توأم عمرهما ثلاث سنوات ، كان المساء لا يصدق، يبدو أن الأولاد تآمروا ليفعلوا أي شيء ليمنعوني من صنع وجبة لطيفة على المنضدة، ولكنني تدبرت أمري لصنع العشاء، لكن في الوقت الذي جلسنا فيه للآكل، كنت منهكة تمامًا. وكالعادة الوجبة بدأت بأحد الطفلين التوأم يسكب مشروبه على كل ما حوله، حسنًا، فقدت السيطرة، لم أصرخ في وجهه فقط، بل أيضًا في وجه الاثنين الآخرين بسبب اعتقادهم أن هذا مضحك. عند هذه النقطة نظرت لـ «بوب» وأستطيع أن أقول أنه كان في شدة غضبه. في بادئ الأمر جلس وصرخ في وجهي، ثم بدأ في الحديث مباشرة أمام الأطفال وقال، «ألا تتعلّمين أبدًا؟ هل أنتِ ممتلئة بذاتك ومشاكلك الصغيرة حتى أنكِ لا تستطيعين رؤية ما يحدث؟ هل أصبحتِ في عمى كامل للحالة التي غدوتِ عليها؟ أنتِ الشيء الوحيد الأكثر تدميرًا في حياة أولادنا، أنا سأتعجب لو استطاعوا أن يتعافوا أبدًا مما فعلتِ بهم، وفي بعض الأحيان أتساءل لو أنهم سيكونون في حال أفضل لو لم يقابلوكِ أبدًا! لقد فقدت كل أمل فيكِ للتغير! بالطبع، أنتِ تقولين أنك آسفة، لكنك تتحولين مجددًا وتفعلين نفس الأمور مجددًا. عليكِ أن تغيري من ذلك أو لتذهبي بعيدًا عن الأطفال! هل سمعتيني من قبل أهاجمهم بغضب مثلما تفعلين، أنا فقط أتمني أنكِ تستطيعين أن تنظري لنفسك لتري ما أراه!» وعندها نظرتُ حول السفرة ورأيت الأولاد الثلاثة يستمعون بانتباه إلى «بوب» وهو ينهشني»

من الممكن أن نقول الكثير عن معاناة هذه الأسرة، لكن غرضنا هنا أن نركز على «بوب» في دوره كرجل يتكلم نيابة عن الله، كزوج، وكأب، وكمؤمن. لقد دعي من قِبل الله ليكون سفيرًا، لقد دعي ليكون حارسًا، لقد دعي ليواظب على التشجيع وليكون وكيلًا للإنقاذ والتجديد. كانت «ماري» في وسط صراع روحي واضح جداً، لقد كانت عمياء لا ترى ذاتها ولا حضور الله ولا قوة الله، لكنها كانت تحتاج للمساعدة بشكل واضح، ومن دون شك فقد وضِع «بوب» ليكون مساعدًا لله في حياة «ماري». لكن حين كان ينظر «بوب» لـ «ماري» لم يكن يرى ذلك، لكنه كان يرى شخصًا شوش حياته المنظمة، إنه يرى شخصًا يريد التحرر منه، بدلاً من أن يرى شخص يحبه يحتاج للخلاص. ما قاله «بوب» لم يساعد أو يثمر، كلماته لم تثمر حصادًا للبر، إنما فقط جعلت «ماري» أكثر دفاعية، بدلاً من أن تفتح عيونها الروحية. كلمات «بوب» ضاعفت من عمى «ماري».

يمكنك أن تجادلني، لكن فلتفترض أن ما قاله «بوب» كان صحيحًا، وغضب «ماري» مضر بالأطفال، وأنها لا ترى ما تفعل، وهي تعترف، لكن لا توجد توبة دائمة. لكن مع كل هذا، فإن كلمات الحق التي قالها «بوب» مشوهة جدًا باتجاه قلبه الخاطئ، لدرجة أن ما يقوله أصبح لا يمثل الحق. فقد سمعنا رأي الرجل بغضب تام مثل عمى «ماري». وأهمل «بوب» ترتيب أولوياته، فهو لم يأخذ

الوقت ليتعامل مع اتجاهات قلبه الخاصة، لذلك فإن كلماته لم تقدم حلولًا وتعزية، إنما أصبحت جزءًا آخر من المشكلة.

تخيل الفرق لو لم يندفع «بوب» بهذه الكلمات على المنضدة في ذلك المساء، تخيل لو انتظر، وأخذ وقتًا ليحسم الصراع الذي يدور بقلبه، تخيل لو اعترف بغضبه تجاه «ماري» وبدأ في التركيز على ما يريد أن يتممه الله، تخيل لو أنه قد رأى اللحظة كأنها لحظة لله للخلاص والتجديد. ما الاختلاف الذي كان قد حدث لو قد تكلم الحقيقة بصبر، وبلطف، وبتواضع، وبمحبة!

إن «ماري» لم تنظر للوراء بشكر للطريقة التي استخدم بها الله «بوب» في حياتها، فهي حقًا لم تختبر محبته، وبدلاً من هذا كانت غاضبة من «بوب» بسبب الأشياء «الفظيعة» التي قالها، وكانت غاضبة بسبب كيف وأين قالها. أعين «ماري» كانت مثبتة على «بوب»، كما كان «بوب» تمامًا يثبت عينيه على «ماري». وهنا لم يحدث تغيير من أجل الخلاص؛ بل زادت المشكلة لدرجة أكثر تعقيدًا.

خذ وقت لتنظر إلى نفسك في مرآة كلمة الله. هل تحدثت للآخرين دون أن تختبر قلبك أولاً؟ هل كانت كلماتك تجلب الأمل، والمساعدة، والتعزية للذين يصارعون مع الخطية؟ أم تعاملاتك تضيف فقط طبقات من المصاعب للتل المتواجد بالفعل؟ خذ وقتًا لتفكر في صوت المخلّص العذب وهو يتحدث من خلال كلمته.

الاعتراف:

الخطوة الثانية للتوبة

التوبة الحقيقية دائمًا تشمل الاعتراف. فنحن نتحمل المسئولية أمام الله والإنسان عما قلناه أو فعلناه. الاعتراف يعني أن نقبل بوداعة ما يقوله الله عنا ــ إننا خطاة بالفطرة وخطيتنا تظهر في أفكارنا، وكلماتنا، وأفعالنا. لا يمكن أن نعترف بخطايا كلماتنا دون أن نعترف باتجاهات القلب الخاطئة التي تشكّل كلماتنا، إن ذلك ما يمكن أن يساعدنا في قصة «بوب» و»ماري». ما هي اتجاهات قلب «بوب» التي تكمن وراء كلماته لـ «ماري»؟، تذكر أن «ماري» لم تكن الوحيدة في وسط الصراع الروحي؛ «بوب» أيضًا كان فيه. تذكر أيضًا، أن صراع الكلمات يكشف دائمًا صراعًا أعمق. كان «بوب» و»ماري» يقفا سويًا ضد العدو الذي يريد أن يقسم ويدمر أسرتهم بالكامل، وكان يشجع اتجاهات عديدة في قلب «بوب.» هل تحتاج أن تعترف بهذه الاتجاهات في قلبك أيضًا؟

الشك. كان غضب «ماري» فرصة أكبر للشك في داخل «بوب». فأولاً قد تساءل لو إنه كان «خارج مشيئة الله تمامًا» حين تزوج «ماري»، هل كان مأسورًا بجمالها الجسدي حتى أنه فشل في أن يأخذ وقتًا لمعرفتها؟ لقد شك في الله أيضًا وقال، «أنا فقط لا أفهم لماذا سمح الله أن أتزوج شخصية كهذه، لا شيء يهز إيماني بحكمة الله أكثر من زواجي هذا»

الخوف. وقد عبر عنه «بوب» بهذه الطريقة: «أنا أنظر لأطفالنا وأتساءل أي نوع من الوحوش سيصبحون عندما يكبرون. أستطيع أن أتخيلهم وهم يتحدثون يومًا ما مع مشير حول الحالة البشعة التي كان عليها منزلهم، أنا أشعر بهذا في كل غرفة أدخلها وأجد «ماري» منزعجة من شيء ما. في معظم الأوقات أحاول ألا أفكر في الطريق الذي يؤدي إليه كل هذا.»

الغضب. يقول «بوب،» «أنا لا أريد الكثير.» «أنا فقط أريد منزلًا به القليل من النظام والمحبة، هل ما أنا طالبه كثير؟ أنا أقوم بدوري؛ كل ما أسأله أن تفعل «ماري» دورها.»

الانتقام. يبدو لـ»بوب» أنه كلما أخطأت «ماري» يوماً بعد يومٍ، فإن لا شيء سيحدث، يتساءل «بوب،» «لماذا يسمح الله لهذا أن يحدث؟» «لماذا لا يفعل شيئًا؟ أتمنى أن تتأذى «ماري» ولو لمرة فقط بنفس الطريقة التي أتأذى بها أنا والأطفال.»

البر الذاتي.»أنا فقط لا أفهم غضب «ماري»، أعتقد أننا فقط مختلفان، لم أشعر أبدًا بالغضب الذي تشعر به «ماري»، وهي تعبر عن هذا الغضب بمفردها! لم أفكر أبدًا في قول الأشياء الجارحة التي تقولها للأولاد. في بعض الأحيان أتساءل إذا كانت مسيحية مؤمنة، ولو كانت هكذا، فأنا لا أود أن أرتبط بهذا النوع من المسيحية!»

الأنانية. «يحتاج الرجل مكانًا للراحة، أنا ليس لي مكان، فعندما أنهي عملي في المساء، أريد أن ينتهي الجزء القاسي من يومي،

لا أريد أن يكون البيت أكثر إجهادًا من عملي، لا يتوجب عليّ العمل أربعة وعشرون ساعة في اليوم، متى أحصل على أجازة؟»

اليأس. شعر «بوب» بالإعاقة وعدم القدرة على إحداث تغيير، وقال «الطريقة التي أرى بها المشهد، أنه لا يمكنني تغيير «ماري» ولازلت مجبرًا بواسطة الله على البقاء معها، ولو بقيت، سأخسر لأن حياتي تُبتلع في غضبها، ولو رحلت، سأخسر لأنني سأواجه قضاء الله، أنا أصلّي لأجل هذا كل يوم، لكن يبدو أن الله لا يستمع. أنا أذهب للكنيسة وأرى كل هذه الأسر السعيدة تجلس سويًا ووقتها أشعر بالغثيان في معدتي، أنا محاصر ولا أعلم ماذا أفعل!»

من المغري أن نرد على كل اتجاهات قلب «بوب»، لكنني لا أريد أن نفقد رؤية النقطة الأساسية التي نهتم بها: لا يوجد طريق لـ «بوب» كي يتكلم بطريقة خلاصية ــ لا يوجد طريق ليعمل كسفير ورقيب لله ــ دون أن يتعامل أولاً مع الصراع الذي يحدث في قلبه، الصراع الذي تكشفه كلماته. يرى بوب الصراع الذي يحدث بداخل «ماري»، ويدرك كيف يؤثر على شكل تعاملاتها، لكنه لا يزال يفشل في إدراك الصراع ذاته في داخله هو والطريقة التي يشكل بها هذا الصراع كلماته لـ «ماري»

لم يفقد «بوب» الفرصة فقط ليكون جزءًا فيما يفعله الله في حياة «ماري»، لكن تصرفاته جعلت الأمر أسوأ، وأصبحت «ماري» دفاعية أكثر وأكثر، وها هي أكثر وأكثر في رفضها للاستماع

لـ «بـوب،» لقد ركـزت أكـثر وأكـثر على خطأ «بـوب» وليس على خطأها، لم يعد «بوب» يُستخدم من قبل الله ليرفع العمى عنها؛ لقد كان أداة للعدو ليعمقه، لماذا؟ بسبب أنه فشل في التعامل مع الأولويات ومواجهة مشاكل قلبه، لذلك لم يكن مستعد لـ «للتحدث بالحق بالمحبة»

الالتزام:

الخطوة الثالثة للتوبة

نميل جميعًا لنشارك «بوب» نفس الصراع. جميعنا عرضة للتحدث دون تحضير ملائم للقلب، ولذلك نحتاج أن نلزم أنفسنا بأن نبدأ أولاً بقلوبنا. يقول يعقوب أننا يجب أن نكون بطيئين في الكلام (يعقوب ١: ١٩-٢١). يقول سفر الأمثال أن قلب الرجل البار يزن إجابته (أمثال ١٥: ٢٨). لكننا نميل لتكرار أخطاء الآخرين بدلاً من أن نختبر قلوبنا. عندما نقع في هذه الميول نصبح جزءًا من المشكلة بدلاً من أن نصبح أدواتًا للتغيير.

هنا دعوة واضحة لتهيئة القلب في كلمات بولس لكنيسة كولوسي.

«فَالْبَسُوا كَمُخْتَارِي اللهِ الْقِدِّيسِينَ الْمَحْبُوبِينَ أَحْشَاءَ رَأْفَاتٍ، وَلُطْفًا، وَتَوَاضُعًا، وَوَدَاعَةً، وَطُولَ أَنَاةٍ، مُحْتَمِلِينَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، وَمُسَامِحِينَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا إِنْ كَانَ لأَحَدٍ عَلَى أَحَدٍ شَكْوَى. كَمَا غَفَرَ لَكُمُ الْمَسِيحُ هكَذَا أَنْتُمْ أَيْضًا. وَعَلَى جَمِيعِ هذِهِ الْبَسُوا الْمَحَبَّةَ الَّتِي

هِيَ رِبَاطُ الْكَمَالِ. وَلْيَمْلِكْ فِي قُلُوبِكُمْ سَلاَمُ اللهِ الَّذِي إِلَيْهِ دُعِيتُمْ فِي جَسَدٍ وَاحِدٍ، وَكُونُوا شَاكِرِينَ.

لِتَسْكُنْ فِيكُمْ كَلِمَةُ الْمَسِيحِ بِغِنًى، وَأَنْتُمْ بِكُلِّ حِكْمَةٍ مُعَلِّمُونَ وَمُنْذِرُونَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، بِمَزَامِيرَ وَتَسَابِيحَ وَأَغَانِيَّ رُوحِيَّةٍ، بِنِعْمَةٍ، مُتَرَنِّمِينَ فِي قُلُوبِكُمْ لِلرَّبِّ. وَكُلُّ مَا عَمِلْتُمْ بِقَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ، فَاعْمَلُوا الْكُلَّ بِاسْمِ الرَّبِّ يَسُوعَ، شَاكِرِينَ اللهَ وَالآبَ بِهِ.» (كولوسي ٣: ١٢-١٧)

هذه الفقرة واحدة من أكثر الدعوات المباشرة للخدمة الشخصية. يدعونا «بولس» لفعل أشياء مع الآخرين وهي تخرج عن نطاق الخدمة المحترفة أو الرسمية. إن بولس يدعو كل منا لنكون معلّمين، ودعانا لنكون مُحذرين، دعانا جميعًا لنتغنّى بالحق للآخرين. علينا جميعًا أن نستغل الفرص المميزة التي يعطيها لنا الله كي نصبح جزءًا مما يفعله كمخلّص. لكن من اللافت للنظر أيضًا لهذه الدعوة للخدمة الشخصية، أن معظم الفقرة لا تتحدث عما دُعينا لنفعله، إنما معظمها يتحدث عن الاستعداد للدعوة، وعن حالة القلب الذي يجعل الخدمة ممكنة.

كل منا لديه تأثير على الآخرين، ويحاول كل منا أن يُخرج معنى للحياة ومشاركة التفسيرات مع الآخرين، فإن هذا العالم من النفوذ و»السيطرة» لا مفر منه. فأخذ وإعطاء النصح هو نوعًا من العلاقات الإنسانية، السؤال هو: هل نحن ملتزمون بهذه الخدمة، وهل نفعلها بطريقة الله؟ هل نريد أن نعمل كسفرائه؟ هل نُعد أنفسنا ليصنع غايته من خلالنا؟

في عدد ١٢، كما وصف «بولس» أن استعداد القلب يحتاج للخدمة الشخصية، وهنا يستخدم تشبيه شائع لا نريد أن نفقده، يقول بولس أننا يجب أن «نكسو/نُلبس» أنفسنا بسلوك معين، وهو يقول بالضرورة «لو عليك الذهاب لخدمة شخص آخر، من الأفضل لك أن تلبس لباس هذه المهمة! وهنا يعبر عن كسوة القلب التي يمدنا بها الله لكي نتكلّم بمنظور الفداء»

الرحمة. الرحمة ليست فقط الإدراك الكامل لاحتياج الآخر؛ إنما هي الرغبة في فعل شيئًا ما لتسديد هذا الاحتياج. نحن أبناء «أبو الرحمة وإله كل تعزية، الذي يعزينا في كل متاعبنا، لذلك يمكننا أن نعزي الذين في المتاعب بالتعزية التي استقبلناها من الله» (كورنثوس الثانية ١: ٣-٤). ليس من المنطقي أن نستقبل مثل هذه الرحمة ونجاوب الآخرين بدون تعاطف وقسوة.

الصلاح. أن تكون صالحًا يعني أن تكون كريمًا، وحنونًا، ودافئ القلب. إنها تعني أن نتكلّم ونتصرف بإدراك وتروي. ومع ذلك فهل حقيقة أن المعتاد جدًا في الزواج، والتربية، والكنيسة، وأوقات العتاب تنتقص للحنو؟ أسأل نفسك عندما تواجه، وتعظ، وتعاتب، أو تعلّم، فهل روح الدفء والمراعاة هي ما تميز هذه المرات؟

التواضع. عادة أوقات الخدمة الشخصية تنتقص لروح «الوقوف جنبًا إلى جنب»، لازلنا بالأساس تمامًا مثل من نخدمهم. لو أنني أب، على سبيل المثال، ليس هناك خطأ يفعله أبني لم يمر عليّ طوال

حياتي بصورة ما. إننا نقف مباشرة بجانب الذين نخدمهم كأناس يحتاجون لحظة بلحظة للغفران، والتحرير، وقدرة نعمة الله. التواضع يعني ببساطة أننا نضع أمام عمل الله التقييم الشخصي الذي مصدره الكتاب المقدّس بشكل دقيق، وذلك سيقودنا للتحدث بدافع شعور من التواضع للحاجة المشتركة للمسيح (انظر العبرانيين ٢: ١٠-١٨ ومثال المسيح).

اللطف. عندما كان ابني «دارناي» في حدود الثالثة من عمره، أحضر بعض الورود لأمه، على الأقل عرفنا أنها ورود! فبوصول «باقة الورود» للمنزل، كانت الجذوع ملتوية ومقوسة ومرتخية، كذلك أوراق الورود كانت قد سُحقت ومُزقت. لكن «لولا» قررت أن الطريقة الوحيدة لإظهار الورود هي أن تجعل القليل من أوراق الورود المدمرة تطفو في المياه في طبق كريستال صغير لم يكن هناك شيئاً خطأ فيما حاول «دارناي» فعله، لكن المشكلة أن لديه نقص في اللطف، ولحسن الحظ فإن لطف «لولا» عوض عن هذا برد فعل رقيق.

اللطف يجعلنا نعامل الآخرين برقة ونتحدث بطريقة لينة ومتسامحة. يخبرنا سفر الأمثال أن الكلام الموجع يهيج السخط بدلاً من أن يصرفه (أمثال ١٥: ١). اللطف يعني أنني لا أدمر الشخص الذي أسعى لمساعدته، اللطف لا يعني المساومة في الحق، إنما يعني المحافظة على الحق من المساومة بالقسوة والشدة.

الصبر. واحدة من أصعب الأشياء التي دعانا لها الله في علاقتنا معه ومع الآخرين هي أن ننتظر. نحن لا نحب أن ننتظر الحصاد، نريد أن نزرع البذور في الصباح ونحصد ثمارًا ناضجة في المساء، لكن عمل الله للتغيير فينا وفي الآخرين، هو عبارة عن خطوات. لكننا نريد أن يكون التغيير مجرد حدث، لذلك نتكلّم في عجلة ونمارس الضغط الإنساني في صورة الشعور بالذنب والتهديدات. وبذلك نُعقد المشاكل، ومهما كانت الحلول نحن نستمتع بالبراهين المؤقتة والتجميلية. إن الصبر هو الرغبة في الانتظار حتى عندما يعني هذا المصاعب المستمرة، والصبر لا يعني فقط الانتظار، لكن الانتظار بهدوء. عدم الصبر ينكشف بالغضب الذي يتصاعد في كل دقيقة. الصبر يجعلنا ننتظر دون الوقوع في خطأ الكلمات أو الأفعال المندفعة.

التحمل. التحمل هو الصبر تحت الضغوط. أصعب الأوقات للتدريب على الصبر هي عندما نكون غاضبين، فالتحمل يعني الامتناع عن الانتقام والتأني في مواجهة الاستفزاز. يقول بطرس هذا عن المسيح: «**الَّذِي إِذْ شُتِمَ لَمْ يَكُنْ يَشْتِمُ عِوَضًا، وَإِذْ تَأَلَّمَ لَمْ يَكُنْ يُهَدِّدُ بَلْ كَانَ يُسَلِّمُ لِمَنْ يَقْضِي بِعَدْلٍ.**» (بطرس الأولى ٢: ٢٣). ياله من مثل! لاحظ أن تسامح المسيح نما في تربة من الثقة الفعالة في قضاء الأب.

الغفران. عندما يخطئ أحدهم في حقي، يجب أن أنبذ مشاعر الغضب والمرارة وشهوتي للانتقام، هذا يهيئني لأن أغفر عندما

يعترف الشخص بخطئه ويطلب الغفران. في هذه المواجهة وجهًا لوجه، أحرر الشخص من الخطأ ومن أي احتياج لدفع الديْن. لكننا كخطاة، لا نجرؤ أحيانًا على استقبال غفران الآخرين بينما نحن نصارع مع أنفسنا لنغفر. (انظر مثل العبد القاسي، متى ١٨: ٢١-٣٥.)

المحبة. هذه هي الصفة الأساسية، الفضيلة التي تربط الجميع معًا، إنها المكون الأساسي للفداء، ويجب أن تكون الصفة الأساسية في خدمتنا للآخرين. المحبة هي الرغبة في التضحية بالمراكز الشخصية، والممتلكات، والرغبات، والاحتياجات لأجل مصلحة الغير، إنها الرغبة في الانتظار، والعمل، والمعاناة وإعطاء الأفضلية للآخر، المحبة تعني الرغبة في وضع حياتنا لأجل الآخرين.

السلام. السلام لا يعني غياب الخلاف والصراع، لكن حالة للقلب تشكّل الخدمة. السلام الذي دُعينا إليه هو سلام المسيح، هذا ما يجب أن يحكم قلوبنا بدلاً من الظروف و «ماذا لو» المتعددة التي عادة تحكمنا.

عادة عندما يكتشف الآباء أن أبنائهم المراهقين يكذبون عليهم، لذهابهم لمكان ممنوع، أو لهروبهم من المدرسة، فهم يدعون أذهنهم تشرُد، فيتخيلون كل السيناريوهات السيئة، (ما الذي يفعلونه أيضًا ولا نعرفه عنهم؟ هل وصلوا لمرحلة المخدرات؟ ما هي الأكاذيب الأخرى التي أخبرونا بها؟ كم عدد المرات التي هربوا فيها من المدرسة؟) بدلاً من إدراك أن اكتشاف خطأ ابنهم هو نتيجة

لمحبة وحضور الله. فكلماتهم يبدو عليها الخوف، وتأتي كاتهامات، ولا تؤدي للتغيير المطلوب. الخطأ هو أن ينبع التواصل من الخوف من الظروف بدلاً من سلام المسيح.

السلام هو راحة داخلية، وسعادة، وأمان، ورجاء متأصل في الحق الفعّال في حضور، وقوة، وسلطان، ونعمة المسيح. إنه عادة للراحة اليومية في المسيح. إنه يأتي من النظر للحياة من منطلق من هو الله وما الذي يفعله كإله ومخلّص.

الشكر. نحن نعيش في عصر الحقوق والاستحقاقات، عصر «أنا استحق...». وفي الشارع يسمونه «المستحقات» وهذا هو الاعتراف المناسب بأن كل شخص «يستحق». لكن لو تذكرنا ماذا يقول الإنجيل عن من نكون وعما نستحقه بالفعل، لن يكون من الصعب أن نحيا ونتكلم من قلب شاكر! الشكر هو روح العرفان بفضل النعم والعطايا التي لم يكن ممكنًا أن نحققها أو نحصل عليها، وإنه يعكس الإدراك للنعم التي تفوق التصديق أنني مازلت أستقبلها من يد الله. أنا دُعيت لأتحدث بقلب بهذه النوعية.

هذه الصفات الشخصية هي «الكسوة» التي يجب أن نرتديها كأدوات الله للخلاص. هناك شيئان يمكن قولهما عن هذه القائمة، أولاً، يجب أن نعترف بوداعة أننا سقطنا بعيدًا عن المقاييس التي عُرضت هنا، لأنها ببساطة من الصعب تحقيقها بالطريقة البشرية! يجب أن نصرخ لطلب نعمة ومعونة الله، الذي يعمل فينا كلما نصلّي.

ثانيًا، من المهم أن نفهم ما الذي يحاول أن يخبرنا به «بولس» لنرتديه، يقول بولس «نلبس المسيح!» هذا ما تدور حوله هذه القائمة ـ **شخص المسيح**. يقول بولس «أن نأخذ شخصية المسيح بينما نحن نتحدث للآخرين ونجسّد المسيح في خدماتنا بنفس الطريقة التي جسد هو بها الآب على الأرض. وأن تحضر مجد المسيح معك بينما تخدم، فهو رجائك الوحيد للتغيير، مواجهة الآخر ليست فقط بالكلمات البشرية والحكمة البشرية والمناقشات البشرية، بل إن مواجهة الآخر يجب أن تتم بحضور ومجد المسيح، وتعزيز حقيقة أنه موجود وفعّال، ونكون نافذة لمجده!»

هذه يعني أن نتخلّى عن أي رجاء في إمكانيتنا لإحداث تغيير، أنا وأنت لا ننتج تغييرًا في الآخرين؛ إنه دائمًا نتيجة لقوة الله وعمل نعمته، لذلك لنتخلّى عن الحاجات البشرية، ولا نحاول أن نؤثر في الناس بكم معرفتنا أو بكم خبراتنا، ولا نحاول أن نغير بالإجبار عن طريق التلاعب، ولا نسعى للحصول على نتائج بالصوت العالي أو بالكلمات المؤثرة، ولا نريد أن نرتشي، أو نساوم، أو نعقد صفقات، ولا نسعى للحصول على تجاوب من خلال الشعور بالذنب أو الأحكام أو الإدانة. إذًا فنحن لا نثق في مجادلاتنا المُحكمة، لأننا ندرك أن هذه الأشياء لو كان بإمكانها أن تحقق تغييرًا يدوم في قلب الإنسان، لما جاء المسيح أبدًا ليتألم ويموت. أكثر المواجهات أهمية في الخدمة الشخصية ليست مواجهات الناس معنا، لكن مواجهتهم معه، نحن ببساطة دُعينا لتأسيس هذه المواجهة.

لذلك نحن نستعد للخدمة الشخصية بارتداء المسيح وأن نتسلح بحقائق الكتاب المقدّس. عندما تتحقق هذه الأمور سنكون مستمدين للكلام بمنظور الفداء والخلاص.

التغيير: الخطوة الأخيرة للتوبة

هناك مبدأ بسيط يجب أن يذكر عن التوبة: إن التغيير لا يحدث حتى تحدث توبة، فالتوبة هي تغيير للقلب وهذا يؤدي لتغيير جذري في حياتك، وفي علاقاتك، ومواقفك اليومية. وحيث أن ما يخرج من القلب ينطق به الفم، فتغيير القلب سيؤدي دائمًا لتغيير في التواصل. القلب الخاضع للمسيح سيُنتج كلامًا مشابهًا للمسيح. التوبة ليست فقط حول أن نقول لا للفجور، إنما أيضًا حول أن نحيا بضبط النفس، باستقامة، وحياة صالحة، التوبة دائمًا تشمل «الخلع» و«اللبس/ الارتداء» (أفسس ٤: ٢٢-٢٤).

ما الذي يجعل الشخص يتبع شخصي المسيح؟ ما الذي يجعلنا نريد ان نشابه صورته؟ بسبب عملي في المشورة مع العديد من الأزواج والزوجات الذين يعانون من مشاكل، فإنني أتعجب من أن الكثير منهم لديه معرفة راسخة حول تعاليم الكتاب المقدّس عن الزواج، لكن لديه مشاكل زوجية خطيرة بسبب أنه يعوزهم شخص المسيح، فمعرفتهم الكتابية لا تخدمهم جيدًا بسبب أن قلوبهم ليست مشابهة للمسيح. وحقيقةً فإن الكثير من هذه العلاقات تستخدم المعرفة الكتابية كسلاح في الصراع الزوجي. لماذا نجد أن اتجاهات القلب المشابهة

للمسيح مفقودة في الناس الذين من المفترض أنهم مؤمنين قدامى وفعّالين في كنائسهم المحلية؟

يصف «بطرس» هذا الموضوع في رسالته الثانية:

«**كَمَا أَنَّ قُدْرَتَهُ الإِلهِيَّةَ قَدْ وَهَبَتْ لَنَا كُلَّ مَا هُوَ لِلْحَيَاةِ وَالتَّقْوَى، بِمَعْرِفَةِ الَّذِي دَعَانَا بِالْمَجْدِ وَالْفَضِيلَةِ،اللَّذَيْنِ بِهِمَا قَدْ وَهَبَ لَنَا الْمَوَاعِيدَ الْعُظْمَى وَالثَّمِينَةَ، لِكَيْ تَصِيرُوا بِهَا شُرَكَاءَ الطَّبِيعَةِ الإِلهِيَّةِ، هَارِبِينَ مِنَ الْفَسَادِ الَّذِي فِي الْعَالَمِ بِالشَّهْوَةِ. وَلِهذَا عَيْنِهِ -وَأَنْتُمْ بَاذِلُونَ كُلَّ اجْتِهَادٍ- قَدِّمُوا فِي إِيمَانِكُمْ فَضِيلَةً، وَفِي الْفَضِيلَةِ مَعْرِفَةً، وَفِي الْمَعْرِفَةِ تَعَفُّفًا، وَفِي التَّعَفُّفِ صَبْرًا، وَفِي الصَّبْرِ تَقْوَى، وَفِي التَّقْوَى مَوَدَّةً أَخَوِيَّةً، وَفِي الْمَوَدَّةِ الأَخَوِيَّةِ مَحَبَّةً. لأَنَّ هذِهِ إِذَا كَانَتْ فِيكُمْ وَكَثُرَتْ، تُصَيِّرُكُمْ لاَ مُتَكَاسِلِينَ وَلاَ غَيْرَ مُثْمِرِينَ لِمَعْرِفَةِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ. لأَنَّ الَّذِي لَيْسَ عِنْدَهُ هذِهِ، هُوَ أَعْمَى قَصِيرُ الْبَصَرِ، قَدْ نَسِيَ تَطْهِيرَ خَطَايَاهُ السَّالِفَةِ.**» (بطرس الثانية ١: ٣-٩).

يخبرنا بطرس أن هناك أشخاص يعرفون الرب ومؤمنون به لكن حياتهم «غير مؤثرة وغير فعّالة»، فحياتهم لا تعطي الثمر الجيد الذي تتوقعه من حياة مؤمن. ما المشكلة هنا؟ حسنًا، يقول بطرس أن هؤلاء الناس يفتقدون لصفات مشابهة المسيح وهي الصفات التي تنتج الحصاد الجيد (إيمان، صلاح، معرفة، ضبط نفس، مثابرة، ورع، لطف مع الأخوة، ومحبة). وذلك يتركنا مع سؤال آخر: لما لا يسعى المؤمن لهذه الأمور بسرور؟، فيجيب بطرس» إن كان

أحدهم لا يمتلك هذا فإنه مصاب بقصر النظر والعمى، ونسى أنه قد تنقى وتطهر من خطاياه الماضية»

يقول بطرس أنه عندما ننسى أنا وأنت من نكون، عندما ننسى مقدار خطيتنا وعظمة غفران الله، فإننا سنتخلى عن متابعة كل ما وجدناه في المسيح. عندما تنسى خطيتك وغفرانه فأنت تفقد رؤية الحقيقة في البعد عنه، لا شيء صالح يسكن فيك، وحينها تبدأ في التفكير في نفسك أنك لست فاسداً للغاية، ربما حتى أنت صالح بشكل ما على وجه المجمل. وتصبح خطايا كلامك أمر غير مهم، فأنت لا تنظر لنفسك كما قال بولس عن نفسه بالقرب من نهاية خدمته «كأسوأ» الخطاة (١ تيموثاوس ١: ١٥). فأنت تفقد الإحساس بهوية الإنجيل، وبفعل هذا أنت تفقد أي احتياج للسعي وراء المسيح.

في بداية هذه الفقرة، يقول بطرس أمرين هامين عن هويتنا كأولاد لله، أولاً، هو يريدنا أن نعرف أن مشكلتنا العظمى ليست مع الشر الخارجي، لكن مع الشر الداخلي. فقد جاء المسيح ليُخلّصنا، ليس فقط من ميولنا لهذا العالم الساقط، لكن من أنفسنا! لقد جاء لكي يمكننا من» المشاركة في الطبيعة الإلهية ولنهرب من الفساد الذي في العالم والذي حدث بسبب الشهوات الشريرة.» ونحن نحتاج الخلاص ليس فقط من فساد العالم، لكن من الشهوات الشريرة التي في قلوبنا التي تجعلنا عُرضة لـ (وجزء من) هذا الفساد. إننا نحتاج للخلاص من أنفسنا! الطريق الذي يبدو صحيحًا لنا هو الموت، نحن مُقيدون

بالحنين للطبيعة الخاطئة، حالتنا ميؤس منها، في الواقع، إن الكتاب المقدّس يقول أنه لا يوجد فينا أي شيء صالح!

أنا مقتنع أن كثير من المؤمنين فقدوا هذه الرؤية، فهم يرون أنفسهم أبرارًا في الأساس وهذا الإدراك يُغيّر جذريًا تبعيتهم للمسيح، وأيضا الطريقة التي يتجاوبون بها مع خطايا الآخرين. (انظر لوقا ١٨: ٩-١٤، مثل المسيح عن العشار والفريسي.)

وأيضًا هذا يؤثر بشدة على كيفية رؤيتهم لمشكلات ألسنتهم. فاللسان الذي يدعوه «يعقوب» «عالم من الشر» ببساطة «لا يبدو بهذا السوء». بينما الأشخاص الذين يفهمون الإنجيل لا يتمتعون بالتحرير من الشهوات الشريرة التي اختبروها بالفعل، لكن يشعرون باحتياجهم الدائم للتحرير، لذلك يمكنهم الاستمرار في العيش له وليس لأنفسهم، وهم لا يكتفون فقط بأنهم قد خلصوا؛ إنما يسعون للوقوف أمام الله ، قديسين وبلا لوم، لمدح مجد نعمته. وعندما تسيطر هوية الإنجيل تلك على قلبك، لن تقلل أخطائك في التواصل، إنما ستجوع للتكلّم بطريقة تعطي المجد للمسيح.

نقطة بطرس الثنية تعطي التوازن للرسالة، فالإنجيل لا يدور فقط حول مقدار الخطية، لكن عن الأحكام العظمى الموجودة في النعمة المتواجدة في المسيح. يقول بطرس لقد وهبنا «كل شيء نحتاجه للحياة وللتقوى.» التقوى تعني أن نأخذ شخصية المسيح في الحياة والعلاقات اليومية، يقول بطرس، «ألا تعلم أن عوز خطيتك قد سُدد بعظمة غنى نعمته؟»

لديك كل شيء لتحيا كما يريد الله!

وذلك هو ما ينتج قلب للمسيح، أنا أعلم مقدار احتياجي، لكن أيضًا غنى نعمته، أنا أريد كل شيء قدمه المسيح لي، أنا غير مكتفي بالإيمان القليل أو بالتقوى القليلة، أنا لست سعيدًا باللحظات القليلة للمحبة، لا أريد أن أستمر في الصراع في ضبط نفسي، لست سعيدًا بالنميمة لمرتين فقط هذا الشهر، أنا لا استرخي بسبب أنني لم انتقد بغضب كما تعودت، لا أستريح لحقيقة أنني لازلت أتكلم بدافع من أنانية أو عنف أو بر ذاتي في قلبي، لكني أجوع للمزيد مما أعده الله لي!

هذه هي التربة التي تنمو فيها الخدمة الشخصية الفعّالة، من هنا أستطيع أن أتكلم بإدراك لاحتياجي الشخصي وللتقدير العميق لعمل المسيح، ولن أرى نفسي بأنني مختلف عنك، بل سأدرك أن الله لا يعمل فيك فقط لكن فيّ أيضًا.

هذا هو الطريق الذي سيعكسه القلب التائب في كلامك، ويمكن لكلامك أن يكون مختلفًا ويمكن لكلماتك أن تفيد الآخرين! يمكن أن يكون تواصلك أداة في يد الله للخلاص والتغيير، لذلك تحول إليه بتوبة، خذ وقتًا للتفكير، كن متواضعًا في الاعتراف، خذ عهودًا جديدة، طبّق هذه العهود على حياتك اليومية وعلاقاتك وشاهد الله يباركك بحصاد لثمار جيدة.

على المستوى الشخصي:

استغرق وقتًا في اختبار قلبك

يصلّي مُرنم المزامير «**اخْتَبِرْنِي يَا اَللهُ وَاعْرِفْ قَلْبِي. امْتَحِنِّي وَاعْرِفْ أَفْكَارِي. وَانْظُرْ إِنْ كَانَ فِيَّ طَرِيقٌ بَاطِلٌ، وَاهْدِنِي طَرِيقًا أَبَدِيًّا.**» (مز ١٣٩: ٢٣-٢٤). أستغل هذه اللحظة لأن الله أعطى لك الفرصة لتكتشف أي «طريق باطل» في تواصلك، أسأل الله أن يكشف لك قلبك المختبئ وراء كلماتك، أسأله أن يكشف لك أين تكلمت بدافع من الخوف، الغضب، الشك، الانتقام، أو الأنانية، أسأل الله أن كشف لك كيف تقف كلماتك عائقاً لما يفعله، أسأله ما هي اتجاهات القلب الجديدة التي تحتاجها لتملئ قلبك وتوجه كلماتك، أطلب غفران الله بسبب لوم الظروف («لو لم يكن لدي الكثير اليوم، لما كنت حزيناً!»)، الآخرين («إنه يثير جنوني!»)، أو حتى الله (« لو فقط علمت هذا مبكراً، لكنت...»). تمتع بوعود الغفران والتحرير الموجودة في الإنجيل!

أخيراً، ألزم نفسك بحياة التوبة، كن مستعدا يومياً لتذهب في دائرة التوبة: (١) تدرك. ما هي الأشياء الذي يريد الله أن يراها في تواصلك؟ (٢) اعترف. ما الذي يدعوك الله لتقبل مسئولية وعواقب كلامك فيه؟ (٣) ألتزم. ما هي اتجاهات القلب الجديدة التي يدعوك الله لترتديها؟ ما هي الطرق الجديدة التي يدعوك لها في المحادثات؟ (٤) التغيير. كيف تظهر هذه الاتجاهات والأفعال الجديدة في حياتك اليومية؟ أين يجب أن تتكلم الآن بطريقة جديدة؟ تذكر أن الله أعطاك «**كُلَّ مَا هُوَ لِلْحَيَاةِ وَالتَّقْوَى**» (٢ بط ١: ٣).

الفصل الثاني عشر

الانتصار في صراع الكلمات

«كَذلِكَ أنتُمْ أيضًا احْسِبُوا أنفُسَكُمْ أمْوَاتًا عَنِ الْخَطِيَّةِ، وَلكِنْ أَحْيَاءً للّهِ بِالْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّنَا. إذًا لاَ تَمْلِكَنَّ الْخَطِيَّةُ فِي جَسَدِكُمُ الْمَائِتِ لِكَيْ تُطِيعُوهَا فِي شَهَوَاتِهِ، وَلاَ تُقَدِّمُوا أَعْضَاءَكُمْ آلاَتِ إِثْمٍ لِلْخَطِيَّةِ، بَلْ قَدِّمُوا ذَوَاتِكُمْ للّهِ كَأَحْيَاءٍ مِنَ الأَمْوَاتِ وَأَعْضَاءَكُمْ آلاَتِ بِرٍّ لِلّهِ.» (رومية ٦: ١١–١٣)

لقد قمنا بتعريف الصراع، أنه ليس فقط صراعًا لمعاني المفردات أو للأساليب، لكنه صراع للسيطرة على قلوبنا. هل سنخضع للملك، ونستريح في سلطان محبته، ونسعى لتمثيله في علاقاتنا؟ وهذا يعني للكثير منا أن نتوب عن التمركز حول الذات الذي يجعل كلماتنا تحجب عمل الله، أنه يعني أن نلزم أنفسنا بعدم رؤية الخدمة كجانب صغير من حياتنا، بل كنمط للحياة. يعكس هذا النمط من الحياة دعوة الله لنا لنكون سفراء له في كل موقف من مواقف الحياة اليومية كلماتنا هي الأداة الأساسية التي يستخدمها الله في عمله الذي يجريه من خلالنا، لذلك يجب أن نعترف بأنانيتنا وقلوبنا الضالة («**نخلع**،» أفسس ٤: ٢٣-٢٥) ونلزم أنفسنا بـ («لبس/ارتداء») الطريقة الجديدة للكلام، تلك التي تحول دعوتنا للتطبيق العملي.

تبقى هناك نقطة أخرى لنأخذها بعين الاعتبار، كيف يمكن لي ولك أن نحقق انتصارًا يدوم في صراع الكلمات؟

محتوى الكلمات، الكلمات يمكن أن تدمر.

كنت في أول وظيفة لي وأنا بالمدرسة الثانوية وكانت أول مرة أواجه فيها مشكلة كبيرة خارج المنزل. فقد كان زملائي في العمل يسرقون ويدمرون الممتلكات الخاصة، وكنت أعلم من المذنب لكن المدير لم يكن يعلم. لم أكن أريد أن أكون جزءًا مما يحدث وأيضًا لم أكن أريد أن يُلقى عليّ اللوم بسبب أمر لم أفعله. كنت أعلم أنه عليّ التكلم مع مديري وربما مع زملائي في العمل لكنني كنت خائفًا، لكن واتتني الشجاعة للتحدث مع أبى عما حدث، وقد وافقني على أنني بحاجة للتكلّم مع الأشخاص المشتركين بالأمر ثم قال لي: «يا بني كن حذرًا في اختيار كلماتك بعناية» وقد كانت طريقة رائعة لتلخيص كيف تتواصل بشكل مُهذّف وبتحكم، وأبي كان يقول «يا بول، إن محتوى الكلمات إما أن يساهم في الحل أو يضاعف المشكلة. فتكلّم بحذر وعناية.»

إن الانتصار في صراع الكلمات يتضمن اختيار كلماتنا بعناية، وهذا لا يخص فقط الكلمات التي نختار أن نقولها، لكن أيضًا الكلمات التي نختار ألا نقولها، إن انتصار الصراع يحدث حين نكون مستعدين لنقول الشيء المناسب في التوقيت المناسب، والتمرن على ضبط النفس هو رفض لأن يقاد كلامنا بالدوافع والشهوات الشخصية،

إنما بأهداف الله. إنه ممارسة ضرورية للإيمان لنكون جزءًا مما يفعله الله في هذه اللحظة.

مظاهر الانتصار

يشرح غلاطية ٥ بالتفصيل ما الذي يعنيه بأن نحصل على نصرة دائمة في صراع الكلمات:

«فَإِنَّكُمْ إِنَّمَا دُعِيتُمْ لِلْحُرِّيَّةِ أَيُّهَا الإِخْوَةُ. غَيْرَ أَنَّهُ لاَ تُصَيِّرُوا الْحُرِّيَّةَ فُرْصَةً لِلْجَسَدِ، بَلْ بِالْمَحَبَّةِ اخْدِمُوا بَعْضُكُمْ بَعْضًا. لأَنَّ كُلَّ النَّامُوسِ فِي كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ يُكْمَلُ: «تُحِبُّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ».فَإِذَا كُنْتُمْ تَنْهَشُونَ وَتَأْكُلُونَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، فَانْظُرُوا لِئَلاَّ تُفْنُوا بَعْضُكُمْ بَعْضًا.

وَإِنَّمَا أَقُولُ: اسْلُكُوا بِالرُّوحِ فَلاَ تُكَمِّلُوا شَهْوَةَ الْجَسَدِ. لأَنَّ الْجَسَدَ يَشْتَهِي ضِدَّ الرُّوحِ وَالرُّوحُ ضِدَّ الْجَسَدِ، وَهذَانِ يُقَاوِمُ أَحَدُهُمَا الآخَرَ، حَتَّى تَفْعَلُونَ مَا لاَ تُرِيدُونَ. وَلكِنْ إِذَا انْقَدْتُمْ بِالرُّوحِ فَلَسْتُمْ تَحْتَ النَّامُوسِ. وَأَعْمَالُ الْجَسَدِ ظَاهِرَةٌ، الَّتِي هِيَ: زِنىً عَهَارَةٌ نَجَاسَةٌ دَعَارَةٌ عِبَادَةُ الأَوْثَانِ سِحْرٌ عَدَاوَةٌ خِصَامٌ غَيْرَةٌ سَخَطٌ تَحَزُّبٌ شِقَاقٌ بِدْعَةٌ حَسَدٌ قَتْلٌ سُكْرٌ بَطَرٌ، وَأَمْثَالُ هذِهِ الَّتِي أَسْبِقُ فَأَقُولُ لَكُمْ عَنْهَا كَمَا سَبَقْتُ فَقُلْتُ أَيْضًا: إِنَّ الَّذِينَ يَفْعَلُونَ مِثْلَ هذِهِ لاَ يَرِثُونَ مَلَكُوتَ اللهِ. وَأَمَّا ثَمَرُ الرُّوحِ فَهُوَ: مَحَبَّةٌ فَرَحٌ سَلاَمٌ، طُولُ أَنَاةٍ لُطْفٌ صَلاَحٌ، إِيمَانٌ وَدَاعَةٌ تَعَفُّفٌ. ضِدَّ أَمْثَالِ هذِهِ لَيْسَ نَامُوسٌ. وَلكِنَّ الَّذِينَ هُمْ لِلْمَسِيحِ قَدْ صَلَبُوا الْجَسَدَ مَعَ الأَهْوَاءِ وَالشَّهَوَاتِ. إِنْ كُنَّا نَعِيشُ بِالرُّوحِ، فَلْنَسْلُكْ أَيْضًا بِحَسَبِ الرُّوحِ. لاَ نَكُنْ مُعْجِبِينَ نُغَاضِبُ بَعْضُنَا

بَعْضًا، وَنَحْسِدُ بَعْضُنَا بَعْضًا. أَيُّهَا الإِخْوَةُ، إِنِ انْسَبَقَ إِنْسَانٌ فَأُخِذَ فِي زَلَّةٍ مَا، فَأَصْلِحُوا أَنْتُمُ الرُّوحَانِيِّينَ مِثْلَ هذَا بِرُوحِ الْوَدَاعَةِ، نَاظِرًا إِلى نَفْسِكَ لِئَلاَّ تُجَرَّبَ أَنْتَ أَيْضًا. اِحْمِلُوا بَعْضُكُمْ أَثْقَالَ بَعْضٍ، وَهكَذَا تَمِّمُوا نَامُوسَ الْمَسِيحِ.» (غلاطية ٥: ١٣ ـ ٦: ٢)

الانتصار في الصراع يشمل الاعتراف بالقوة المدمرة للكلمات (غلاطية ٥:١٥). يحذرنا بولس «**فَانْظُرُوا لِئَلاَّ تُفْنُوا بَعْضُكُمْ بَعْضًا.**» فقد رأينا في جنّة عدْن قوة الكلمات المحولة للحياة عندما خدعت الحية حواء بأكل الثمرة. وفي كل الكتاب المقدّس نجد أن أهمية ما نقول وكيفية قوله واضحة للغاية، ونحن لن ننتصر أبدًا في صراع الكلمات طالما نقوم بالتقليل من خطورة هذا الصراع.

لقد أعدنا الله لنكون أناس أصحاب نفوذ، فالأزواج يؤثرون على الزوجات والعكس صحيح، والآباء يؤثرون على الأبناء، الأصدقاء يؤثرون على أصدقائهم، القسيس يؤثر على رعيته. إلخ... ومن أكثر الطرق التي نؤثر بها في الآخرين هي الكلمات التي تشجع، وتوبخ، وتشرح، وتعلّم، وتُعرّف، وتدين، وتحب، وتسأل، وتفرق، وتوحد، وتبيع، وتشير، وتحكم، وتصالح، وتحارب، وتتعبد، وتفتري، وتهذب. الناس لديها تأثير والكلمات لديها قوة فهذه كانت الطريقة التي قصد الله بها للكلمات أن تكون.

لذلك لا يجب أبدًا أن نقلل من أخطائنا في التواصل، («لم أكن حقًا أقصدها» «إن نباحه أسوأ من عضته» «إنني فقط لم أكن أفكر»

«أنها تعلم كيف أفكر فيها حقا») يذكّرنا «بولس» أن كل ما نقوله له نتائج، وأننا دائمًا نمثل الله، وليس مسموحًا بأن نتواصل بطرق تتعارض مع رسالته، وطرقه، وصفاته.

وأنا أقوم بكتابة ذلك، يحزنني أن أفكر في كمية الكلام الذي يدور في عائلتي ولم يكن يدرك خطورة الأمر الذي يتكلم عنه بولس هنا. فنحن ليس لدينا صراعات «شد وجذب» حادة، لكن هناك العديد من الكلام الأحمق، والقاسي، والمزعج، والشكوى التي تخرج كل يوم. اعتقد أننا مثل العديد من العائلات المسيحية ــ نقلل من شأن هذه الخطايا «الصغيرة» للكلام لخلو منازلنا من الإساءات الجسدية واللفظية ولأننا نحب بعضنا البعض حقًا. لكن يأخذنا بولس للواقع، أن الكلمات التي «تلدغ وتلتهم» هي الكلمات التي تدمر، أنها ليست حسنة، لذلك يجب علينا أن نفعل ما باستطاعتنا لكي نعطي للكلمات الأهمية التي يعطيها الكتاب المقدّس، متذكرين أن الله قال أننا سوف نعطي حسابًا عن «كل كلمة باطلة» (متى ١٢:٣٦)

الانتصار في الصراع يعني تأكيد حريتنا في المسيح (غلاطية ٥:١٣). إنه لأمر صحيح أن نمجد حقيقة أن نعمة الله تحررنا من الحِمل غير المحتمل للناموس (أعداد ١-٦). فلنا قبول فقط في عائلة الله على أساس بر حياته، وموته، وقيامة يسوع المسيح، وقد خصص بره لمحاسبتنا، بهذه الطريقة تحررنا بسعادة من الناموس.

لكن لا نستطيع أن نتوقف هنا، الثبات في حرية المسيح ليست فقط وجهة نظر بل هي سمة. وقد قالها بولس بهذه الطريقة: «**لاَ تُصَيِّرُوا الْحُرِّيَّةَ فُرْصَةً لِلْجَسَدِ**.» ليس كتابيًا أن نقول «لأن المسيح قد حررني من الناموس، أستطيع أن أعيش كما يحلو لي» أي من هذه الأفكار هو عدم فهم كامل لهدف النعمة، إن بولس يريدنا أن نتأكد أن حريتنا تجعل لدينا الإمكانية لأن نحيا كما لم نحيا من قبل. بالفعل نستطيع أن نحيا ونتكلّم بالطريقة التي ترضى الله.

لقد تحررنا ليس فقط من متطلبات الناموس من أجل الخلاص، لكن أيضًا من قيود الخطية التي في الحياة اليومية، لقد تحررنا من ثقل الناموس لنحيا حياة صالحة، نحن لا نستطيع أن نمجد ما دعتنا إليه النعمة دون أن نقبل ما دعتنا إليه (رومية ٦: ١-١٤؛ تيطس ٢:١١-١٤).

إن الكلام المتساهل مع الخطية أو مع الذات يناقض هويتنا كأولاد للنعمة، إنه يعيدنا للوراء حيث العبودية القاسية التي قد تحررنا منها، إنه يغفل المكانة التي وهبها لنا المسيح والقوة التي وهبها لنا بروحه، هذا يقودنا للرأي التالي لبولس.

الانتصار في الصراع يعني أن نقول لا للطبيعة الخاطئة (غلاطية ٥: ١٣، ٢٤). هذه القطعة تتكلّم بكل أمانة عن طبيعة الحياة في هذا العالم الساقط حيث لا يزال الناس يعيشون في الخطية، هذا أيضًا يشمل أعضاء العائلات المسيحية!

عندما كنت في الخامسة عشر من عمري، سافر والدي لقضاء عطلة نهاية الأسبوع . فقررنا أنا وأخي أن حجرة نومنا تبدو مملة وأنها بحاجة إلى بعض الديكورات، قمنا بفحص الورشة الخاصة بوالدي للبحث عن أي نوع من الدهانات قد تكون متاحة، وقد وجدنا ما أسعدنا، فقد كان هناك دهانات متعددة الألوان أكثر مما نتخيل، فقررنا أن أفضل طريقة لوضع الدهانات هي أن نضعهم في أكواب ورقية صغيرة ونرميها على الحائط، ولمدة نصف ساعة من الرميات العديدة عن بعد، أخيرًا قمنا بدهان الحائط، واعتقدنا أنه شيء جميل، لقد كنا فخورين جدًا، إلى أن عاد والدي للمنزل. لن أنسى النظرة التي كانت على وجه والدي عندما رأى حائطنا الجميل! يبدو وكأنه مثل تيار جارف بدأ من قدميه وانفجر في فمه، لمعت عينيه وبرزت عروقه، وصرخ قائلاً أننا يجب أن نلقى بالعفش خارجًا من الشباك ونعيش مثل «الهيبيز - المتشردين»! وعندها تمتم واحد منا في هدوء قائلاً «إنني لا أعتقد أن السرير سوف يوائم فتحة الشباك»، عند هذه النقطة تحول أبى لإطلاق قذائف! وخرجت من فمه خطبة مسهبة عنيفة لم أنساها أبدًا.

فمن من الآبـاء لم يكن عليه أن يتعامل مع طفل قام ببعض الأعمال الحمقاء وغير المسئولة؟ وأي من الزوجات لم يخيب أمالها في زواجها؟ وأي من الأزواج لم يفكر أن زوجته فشلت في إعطائه حقه؟ ومَن مِن الأبناء لم يشعر أن والديه أساءوا فهمه ومعاملته؟ وأي من الأقارب لم يُجرح بسبب أخت أو أخ؟ وأي من الأصدقاء لم يخب أمله في صديقه؟

وأي منا لم يغضب من قبل؟ وأي منا لم يميل للأنانية، وللغضب، وللغيرة وللطمع؟ ومن منا لم يكن لديه حب متناهي للصراع علي أمور من العالم لأننا نريد أن نمتلكها بشهوة؟ في غلاطية ٥ فقرة عن الخطاة الذين في عالم الخطية، لكنها تكشف المزيد، فالفقرة تعلن أننا لدينا قوة في المسيح لمواجهة الإغراءات.

وهو ينصحنا بعدم التساهل مع الطبيعة الخاطئة، لخص «بولس» هذه الحقيقة الكتابية القوية التي لا نريد أن نفقدها، وقد قال «**وَلكِنَّ الَّذِينَ هُمْ لِلْمَسِيحِ قَدْ صَلَبُوا الْجَسَدَ مَعَ الأَهْوَاءِ وَالشَّهَوَاتِ.**» (عدد ٢٤).

الشغف هي مشاعر قوية أو متوهجة، والرغبة هي أمر يشتهيه القلب. وكخطاة في عالم خاطئ سوف نقوم باختبار الأمرين كما قال بولس، وسوف يكونان شديدين جدًا لدرجة أننا لا نستطيع أن نقاومهم، وهذه التجربة هي تمامًا ما يقوم بولس بمناقشته، ما الذي أعطاه لنا المسيح كي يساعدنا في التعامل مع مثل هذه الإغراءات العنيفة؟ هل يجب علينا أن نكون مقيدين تجاه ما نشعر به ونرغب فيه؟ إن هذه التساؤلات قادت بولس لعمل المسيح.

عندما ذهب المسيح إلى الصليب، لم يقم بشراء الإمكانية أو الفرصة لنا لنكون مُخلصين، لكن عمله كان شخصي، وفعّال، وكامل، لقد تمم قصده؛ وعمله لم يتح الخلاص ببساطة كخيار. لكن يسوع ذهب إلى الصليب حاملاً أسماء أولاده معه.

عندما مات المسيح مُتنا معه، وعندما دُفن دُفنا معه، وعندما قام للحياة الجديدة أقامنا معه، هذا هو الحق الذي يجب أن ندركه إذا أردنا الحصول على نصرة دائمة في صراع الكلمات، عندما صُلب المسيح صلبت معه الطبيعة الخاطئة (مع الأهواء والشهوات)! أنا لم اعد أحيا عبدًا للخطية، لم يعد عليّ أن استسلم للمشاعر الحادة أو الرغبات القوية لطبيعتي الخاطئة.

لقد انكسر سلطان الطبيعة الخاطئة في المسيح. وللمرة الأولى، أستطيع أن أقدّم أعضاء جسدي كآلات للبر ــ وذلك يتضمن فمي (رومية ٦:١-١٤)، لذلك يقول بولس في ضوء غلاطية ١٣:٥ «لا تقوم بإشباع الطبيعة الخاطئة، لا تشبع أهوائها ولا رغبته، لا تجعل كلماتك تنقاد بالمشاعر والرغبات القوية، تذكر أنه بسب ما فعله المسيح من أجلك أصبح لديك القدرة على قول لا.»

هناك بعض الحقائق الأكثر أهمية للقلب للنصرة في الصراع، كخطاة في عالم شرير سوف يتم إغرائنا واستفزازنا، وفي هذه اللحظات ستسيطر علينا المشاعر والرغبات القوية، لكننا الآن أصبح لدينا القدرة على قول «لا» بسب هويتنا التي في المسيح، نستطيع أن نتكلم كسفراء له حتى في وسط الاستفزازات أو الإغراءات الحقيقة!

إذا كنا نحيا تحت حكم المشاعر أو حكم الرغبات فنحن بهذا نُنكر عمل الخلاص ونعمة مخلّصنا.

من المواقف الصغيرة التي تشرح هذا. كنا أنا و»لولا» على الفراش في حديث ليلي سريع ثم رن الهاتف، أنه ابننا «جاستن» في محطة القطار، وهو بحاجة إلى وسيلة للعودة إلى المنزل، فقالت لي «لولا»: «ألن تذهب لتحضره من فضلك؟» وفي الحال امتلأت بمشاعر قوية ورغبات قوية، فقد كنت محبطًا لأن المكالمة جاءت متأخرة جدًا، كنت منزعجًا بسبب أن هذا حدث في أبرد ليلة في العام، شعرت أنني أنا الذي عليّ أن أذهب كل مرة، وأردت البقاء في الفراش! أردت أن أحضر شخصًا آخر بدلاً مني للقيادة مقابل القليل من النقود!

لو كنت سمحت لقلبي ليمتلئ بهذه المشاعر والرغبات، لما كنت قمت بالتواصل كما يجب. فإن كلماتي ستكون أنانية، وغاضبة، واتهامية، ومليئة بالشفقة على النفس، ولكن في هذه اللحظة قدمت المسيح. وبالطبع إنه موقف صغير، لكننا جميعًا نتعرض لمواقف صغيرة كهذه، في الحقيقة ذلك يحدد طبيعة كلامنا.

وهناك المواقف الكبيرة. فلقد شعر «جون» بالصدمة عندما عاد للمنزل في أحد الأيام ليجد أن المنزل فارغ من كل شيء ماعدا السرير، والمصباح، وكراسي ومنضدة المطبخ، فقد قررت زوجته تركه لبضعة أشهر. فأتت بمقطورة الشحن حين كان في العمل. وقد تركت زوجته ملحوظة على المنضدة برقم محاميها، وفي غضون أسابيع قليلة حصلت على كفالة دائمة للأطفال.

من الصعب وصف الخوف، والغضب، والجرح، والحزن الذي سيطر على «جون» وهو واقف في ذلك المنزل الفارغ، ففي لحظة

واحدة تغيرت حياته، وها هو يريد بالفعل أن يعود الزمن ليعطي زوجته ما تستحقه حقًا، وهو واقف هناك كان عقله يستشيط غضبًا وعقله يصارع من فكرة لفكرة ومن رغبة لرغبة. في تلك اللحظة، كان رجاء «جون» الوحيد فقط في المسيح واستطاع أن يتعالى فوق عاطفته واستطاع قول لا لرغبته، وحتى في هذا الموقف استطاع أن يتكلّم كسفير للمسيح، هذا الرجل المجروح ذهب ليكون فاعل سلام، تكلّم بالحق بمحبة وقاوم الشر بالخير.

العديد منا لديه خبرات في الحياة تحت سلطان رغبات وشهوات الخطية، فعندما نتساهل مع هذه الشهوات والرغبات فوقتها تضيف كلماتنا طبقات من الصعاب الشخصية على المشكلة الرئيسية، وعندما نتساهل مع الطبيعة الخاطئة فإننا نميل لوضع الطابع الشخصي على الأمور ونقوم بتحويل لحظات الخدمة للحظات من الغضب والسخط، ونسبب صدمات للأشخاص الذين كان من المفترض أن نخدمهم في سبيل إرضاء أنفسنا، الكلام المتساهل مع النفس دائمًا لا يحقق أهداف الله، إنه يتناسى حقيقة الإنجيل وهويتنا كممثلين للمسيح، يذكرنا بولس أننا نستطيع القيام بالأفضل بسب عمل المسيح.

الربح في معركة الكلمات يعني أيضًا قول «لا» لأي مناقشات تبريرية أو لإلقاء اللوم أو مناقشات تخدم المصلحة الذاتية، فكل تلك المناقشات سوف تسمح لخروج الكلام من دافع رغبات وشهوات الطبيعة القديمة.

أنا أتذكر الأيام التي كنت فيها قسيسًا مبتدئًا لمجمع صغير يصارع ولديه احتياجات مشورة ضخمة، ويبدو أنني لم أكن أحظى ببضع لحظات هادئة في المنزل حتى يتصل بي أحدهم ويخبرني بآخر أكبر كارثة حدثت، فكنت أفزع من سماع جرس التليفون في الليل وكنت أفزع أكثر من كلمة «بول الهاتف لك.» وبالرغم من أنني لم أدرك الأمر، إلا أنني كنت بشكل متزايد أرى بعض الأشخاص المعينين في المجمع يقفون كعائق لما كنت أريده، بدلاً من أن أراهم كاحتياج خدمة قد قبلتها بسرور من الله. أستطيع أن أتذكّر تلقي المكالمات، وحينها كنت أقول لـ «لولا» بغضب «من على الهاتف الآن؟» ثم بعد ذلك أرد بلطف وبطريقة رعوية على الهاتف «مرحبًا.»

عند ظهر أحد أيام السبت كنت في البيت استرخي مع زوجتي وولدي الصغيرين حين تلقيت مكالمة من رجل يائس، لقد كان يائسًا منذ زمن طويل ويبدو أنه لديه موهبة الاتصال بي في كل الأوقات غير المناسبة.

كان دائمًا غير متشجع، ويطلب دائمًا المساعدة، وحين تقدم له مساعدة ففي النهاية يقاومها، ويبدو أن لا شيء كان يجدي معه، ويزعم دائمًا أنه قام بكل شيء دون فائدة. كان يقيم في أحد الفنادق الرخيصة المحلية سيئة السمعة، وكان يقول أنه سوف ينهي حياته هذه المرة وللأبد، وقال أنه إن لم يكن لديه سبب للحياة فسوف يقتل نفسه قبل أن ينتهي اليوم. بعد أن اكتشفت أين يقيم، طلبت من زوجتي أن تصلّي وأخذت السيارة وذهبت للقائه.

كنت أصلّي وأنا في الطريق وكنت أعلم أن زوجتي كانت تصلّي أيضًا، لكن كان هناك صراع يدور في داخلي، كنت ممتلئًا بالرغبات المتناقضة! أنا حقًا لا أحب هذا الرجل، لا أحب وقفته ذات الكتفين المقوسين، ولا أحب صوته المتذمر، ولا أحب رغبته في أن يكون محور اهتمام شخص آخر طوال الوقت، وأكره الطريقة التي كان يحتقر بها كل فكرة أقترحها، وكنت مستاءً بسب الوقت الذي أخذه من عائلتي والجوانب الأخرى من خدمتي، وكنت مستاءً بسبب أنه كان عليّ أن أذهب مرة أخرى وأعيده، وبينما أقود السيارة كانت أفكاري تنطلق ذهابا وإيابًا في صراع بين الخدمة الرعوية والاستياء الشخصي.

وبعد أن وصلتَ للفندق وجلسنا في حجرة حقيرة ممتلئة برائحة الدخان والحلوى، قام بالسرد المعتاد لشكواه، فبدأت أنا بالرد بحقائق من الإنجيل، وعندما قاطعني وقال «لن تقوم بسرد هذه الأشياء مرة أخرى صحيح؟ أليس لديك شيئًا جديدًا لتقوله؟» لم استطع تصديق ما كنت أسمعه، ها أنا قد تركت عائلتي للاهتمام به، وهو يقوم بالاستهزاء من محاولاتي للمساعدة بدون أي مظهر من مظاهر التقدير!

لم أستطع السيطرة على نفسي، استسلمت إلى كل الغيظ الذي تكوم لأسابيع، قمت بتمزيقه لفظيًا إربًا إربًا، وأخبرته بحقيقة كيف أفكر أنا والمجمع فيه، وبقدر ما استطعت ألقيت اللوم عليه، وأخبرته أن يقلع

عن تراخيه ويقوم بفعل شيء للتغير، صلّيت لأجله ثم ذهبت وكنت أستشيط غضبًا وأنا أقود السيارة.

لم أستغرق وقتًا طويلاً حتى سيطر عليّ التبكيت، لكن كذلك لم أستغرق وقتًا طويلاً حتى سيطرت عليّ بعد ذلك جدال للتبرير ولإعفاء النفس من الخطأ. وبوقت وصولي إلي المنزل، كنت مقتنعًا أنني تكلمت كأحد الأنبياء القدماء، وادعيت أن «هذا ما يقوله الله» في موقف خاطئ ومتمرد. قد أقنعتُ نفسي أن الله سوف يستخدم هذه اللحظات الدرامية من كلمات الحق ليخلق تغييرًا دائمًا في حياة هذا الرجل.

عدت إلى المنزل وسألتني «لولا» (التي كانت تصلّي) عما حدث، فأخبرتها أنني قد تحدثت معه بقوة أكثر من أي شخص في خلال خدمتي كلها، وكنت حريصًا على استخدام أسلوب النبي معه، ففي الحال قالت: «يبدو لي أنك غضبت ثم قمت بالانفجار،» وعند اللحظة التي قالت فيها هذه الكلمات، رأيت حقيقة التبريرات التي كنت أعطيها لنفسي، وامتلأت بالندم. ولاحقًا كانت اعترافاتي لهذا الشخص بخطئي وصراعي الشخصي سببًا أستخدمه الله ليبدأ في تغيير ذلك الشخص.

إن الانتصار في الصراع يعني التكلّم لخدمة الآخرين في المحبة (غلاطية ٥:١٣-١٤). نحن نقول «لا» لحكم الأهواء والشهوات ليس فقط لأن المسيح أعطانا قوة لذلك بل أيضًا لأننا دُعينا للخدمة.

وعكس إشباع الرغبات الطبيعة القديمة ليس أن نقول «لا يجب عليّ، لا يجب عليّ، لا يجب عليّ.» لكننا دُعينا لنخلع الكلام الذي يُشبع رغبات الذات لارتداء الكلام الذي تتدفق منه محبة للآخرين.

لم يستطع بولس أن يجعل النداء أقوى من هنا، فقال لنا أن «الناموس الكامل» يتلخّص في هذه الوصية وحدها: تحب قريبك كنفسك، والتكلّم بطريقة تخدم احتياجات الآخرين هو في قلب مشيئة الله لنا، ونعمته الممكنة تجعل هذا ممكنًا.

إن الصورة في هذه الفقرة تعبّر عن إله يعمل بلا راحة من خلال روحه القدوس ليغيّر شعبه لمشابهة صورة ابنه، إنه يريد أن يستخدمنا لتحقيق هذا القصد، وهذا جزء من دعوتي في كل مرة أتكلم فيها.

خدمة الآخرين في المحبة لا تعني أن أصبح عبدًا لجدول أعمال كل شخص حولي، ولا تعني أن أكون ممسحة للأرجل، لكن تعني أن أعيش في قصد الفداء. المحبة تتمنى أقصى الخير للآخر، أعظم خير يمكن أن أتمناه لشخص آخر هو أنه أو أنها تكون مثل المسيح، هذا هو تبنّي ثمر الروح القدس. الله يقوم بعمله في المواقف والعلاقات المعتادة في الحياة اليومية، وهو يعمل لأجل هذا الخير في كل موقف (انظر رومية ٨:٢٨-٣٠)

في أفسس ٤:٢٩ وصف لما يعنيه أن نتكلم بمحبة: «**لاَ تَخْرُجْ كَلِمَةٌ رَدِيَّةٌ مِنْ أَفْوَاهِكُمْ، بَلْ كُلُّ مَا كان صَالِحًا لِلْبُنْيَانِ، حَسَبَ الْحَاجَةِ، كَيْ يُعْطِيَ نِعْمَةً لِلسَّامِعِينَ.**» إن الكلام الرديء يُهمل الشخص الآخر

ويركز على ما أشعر به وما أريده أنا، لكن بولس يدعونا للكلام الذي يبني الآخر.

اذ كنت أريد خدمة الآخرين بكلماتي، يقول الرسول بولس أن هناك ثلاثة أشياء يجب مراعاتها: (١) يجب عليّ أن أراعي الشخص (**«بَلْ كُلُّ مَا كان صَالِحًا لِلْبُنْيَانِ»**) ما الذي أعرفه عن هذا الشخص ليشكّل ما سأقول؟ (٢) يجب أن أراعي المشكلة (**«حَسَبَ الْحَاجَةِ»**). ما هو الاحتياج الحقيقي لهذا الشخص في هذا الموقف، وكيف يمكن أن يقود لما سوف أقوله؟ (٣) يجب أن أراعي الطريقة (**«كَيْ يُعْطِيَ نِعْمَةً لِلسَّامِعِينَ»**) أنا لست فقط أتحدث بإسهاب، لكن تواصلي يجب أن يكون له هدف للخلاص، يجب أن يفيد المستمع.

في الحقيقة أنه بقوتنا الذاتية، لا احد منا بهذا اللطف! لأن الخطية جعلتنا أشخاصًا أنانيين جدًا، فنحن بالغريزة نفكر في احتياجاتنا ورغباتنا، ونقوم بالاهتمام بأمورنا الخاصة في المقام الأول، ولكن عندما نعترف بوادعة بأنانينا، فإننا نستطيع أن نبدأ في تقدير نعمة المسيح المتاحة والاعتماد عليها، لقد كسر سلطان أهوائنا وشهوتنا الخاطئة، وأعدّنا بالروح القدس للتكلّم كسفرائه، نحن نستطيع أن نتكلّم لخدمة الآخرين في المحبة. بدافع من التعهد.

الانتصار في صراع الكلمات يأتي من الخدمة، الانتصار يأتي من المحبة، ومن التكلّم بحرية من عبودية النفس (أهوائي وشهواتي) ولذلك لك حرية الخدمة.

الانتصار في المعركة يعني التكلم «حسب الروح» (غلاطية ٥:٢٥). السلوك حسب الروح يعني التكلّم بطريقة تعكس عمله في داخلي وتشجع عمله فيك، في هذه الفقرة عمل الروح القدس واضح جدًا، هو يعمل فينا لينتج ثمرًا يتلاءم مع صفات المسيح: محبة، فرح، سلام، طول أناة، لطف، صلاح، أمانة، وداعة، تعفف. كفعل ناتج عن الإيمان والخضوع. أنا أتمسك بالتكلم وفقًا لمقياس هذا الثمر، أنا أنظر للمواقف الصعبة على أنها فرص يعطيها لي الله ليُظهر هذا الثمر ناضجًا في حياتي. إن المشاكل ليست عائقًا أمام نمو هذا الثمر، لكنها فرص لكي نراها تنمو.

منذ سنوات، كان هناك شخصًا في مجمعنا ينتقد خدمتي بشكل بارز (وهذا لا ينفي أنها كانت بحاجة للنقد)، لكنني كنت أصارع داخلي في كل مرة أرى فيها هذا الرجل أو حتى أفكر فيه، وأيضًا أتذكر مدى الراحة في كل مرة أصل فيها إلى اجتماع الكنيسة ولا أجده هناك، كنت أدرك أنه لا يحتفظ بآرائه عني لنفسه، لكنه بدأ بجمع مجموعة من الساخطين الذين يشاركونه الآراء، ومجمعنا لم يكن مجمعًا كبيرًا وقد بدأ استيائه في أن يصبح ملحوظًا أكثر وأكثر. قررت أنه حان الوقت لأطلب من هذا الرجل أن نتحدث سويًا، وأخبرت زوجتي بخطتي، وفي الحال سألتني ما الذي كنت أنتوي قوله، وبينما كنت أشارك أفكاري معها، كنت اشعر أنها تتجاوب بسلبية، لذلك سألتها ما الخطأ، قالت: «قبل أن تتعامل معه يا «بول» عليك أن تتعامل مع نفسك، يبدو أنك تكره هذا الرجل، لا أظن أن هناك أي فائدة

ستصدر من مواجهتك له بأخطائه دون أن تتعامل أنت مع اتجاهات القلب الخاصة بك.»

كنت أود أن أفكر لو أن «لولا» فقط شخصًا آخر يسيء فهمي ويسيء تقديري، لكنها لم تكن كذلك، أنا بالفعل أكره ذلك الشخص، أنني أكره تأثيره المسيطر عليّ، أكره حقيقة أنه قام بتحويل الآخرين ضدي، أكره طريقة نقده لي والتي جعلتني أفكر مرة أخرى في كل شيء أفعله كقسيس! أكره الطريقة التي قام بها بتدمير حلمي لخدمتي ولمجمعنا، أكره ابتسامته المتكلفة المتعجرفة التي على وجهه، أنا حقًا لم أرد أن أتعامل معه ــ أنا فقط أردته أن يخرج من حياتي!

كانت «لولا» محقة بأنني لم أكن في الحالة التي تجعلني أداة للروح في حياته، لم أكن في الوضع الذي يجعلني أنتصر به في صراع الكلمات، كنت بحاجة للتعامل مع نفسي أولاً، كنت بحاجة لأمتحن قلبي، وأعترف بخطئي المتواجد، وأن أقرر أن أتكلم بطريقة تعكس ثمر الروح الذي يعمل فيّ.

وأنا ممتحنٌ لقلبي، رأيت أن هناك حاجة للتغيير أكثر مما كنت أعتقد. مشكلتي لم تكن فقط في الغضب أو الكراهية، لكن خطايا قلبي كانت مستواها أعمق من هذا، ودوافعي لخدمتي لم تكن لأجل عمل الله، لكن كانت لحلمي الشخصي، فقد حلمت بالذهاب إلى منطقة صعبة لأخدم فيها وأكون ناجحًا بطريقة لم ينجح بها أحد قبلي، وحلمت بأن أكون مُقدّرًا بشكل كبير من المجمع الذي ينمو، وكذلك من المجتمع المسيحي كله أيضًا سريعًا، وقد حلمت بنمو عددي ضخم، وببناء

مباني ضخمة وحديثة، وقيادة كنيسة رائدة في المنطقة، وأهم شيء، حلمت أن أكون معروفًا كالشخص الذي في مركز كل شيء.

أنا أكره هذا الشخص لكونه على حق! لم تكن الطريقة التي تعامل بها حيال مخاوفه عن خدمتي سليمة، ولكنه كان على حق في رؤيته لكبريائي وغروري، أنا بالفعل أستمتع أن أكون في مركز كل التجمعات، أنا بالفعل لديّ الكلمة الأخيرة لكل موضوع، كنت أشعر بالفشل عندما يتدخل الناس في برامجي الجديدة، كنت أكره طريقة تسيير الأمور ببطء وأكره سلبية الناس، وكنت أصارع مع الله بسبب وضعي في هذا المكان الصعب.

والآن بدأت أرى الرجل الذي كنت أكرهه بشدة كأداة في يد الرب لخلاصي، وبواسطة «بيت» (ليس اسمه الحقيقي) انكشفت أنانيتي وحلمي المغرور الذي بدأ في التفاني، وتحت نار هذه التجربة كشف لي الرب عن أخطائي الكامنة في قلبي بطريقة جديدة. وبينما استغرقت عدة أيام لامتحان هذا الموقف وقلبي الشخصي، بدأت أن أكون شاكرًا لهذا الشخص الذي كرهته بشدة، لم أكن شاكرًا على خطأه، لكنني كنت شاكرًا على الطريقة التي استخدمه بها الله في حياتي، وعندما أصبحت شاكرًا، بدأت أستمع لما كان يقوله «بيت» عنى وكيف كان يقوله، وعندما تأملت محتوى كلامه، أدركت أن هناك بعض الأشياء التي يريدني الله أن أتعلّمها ــ حتى من خلال هذا الرسول الفظ، وبينما أستمع للطريقة التي يتناول بها أفكاره، اكتشفت أنني أنا وهو متشابهين جدًا، كان «بيت» مغرورًا، وعنيدًا، وصوته عالي،

ووغير صبور، وأنا كنت أكره كل هذه الأشياء، ولكنها كانت فيّ أنا أيضًا.

وخلال هذه الأيام أعطاني الله حب حقيقي ورعوي لـ «بيت»، وعندما تكلمنا في النهاية استطعت أن أتواصل معه بطريقة تتسم بالصبر، والطيبة، واللطف، والهدوء، وضبط النفس، كما أنني كنت قادرًا على أن أخوض هذه المحادثة بفرح كلّما كنت أتذكّر الخير الذي صنعه الروح القدس فيّ من خلاله.

إن التكلم حسب الروح لا يعني فقط التكلّم بطريقة تعكس ما يقوم به الروح داخلي، لكن أيضًا يعني تحفيز ثمر الروح فيك. في البداية حقيقة لم أكن أهتم إن كان الله سيستخدمني في حياة «بيت» أم لا، كان هناك شيئان فقط أهتم بهما: كنت أريد أن أثبت أن «بيت» على خطأ وكذلك كنت أود أن يترك كنيستنا ويتركني وشأننا! وعندها فشلت في رؤية أن مصارعتي لم تكن مع «لحمًا ودمًا» (أفسس ٦: ١٠-١٢)، ورأيت «بيت» كعدو ولم أرى المعركة الروحية التي كانت تدور خلف الصراعات التي في هذه العلاقة، لم أكن أريد أن أخدم «بيت»؛ كنت أريده أن يدعم حلمي، وآخر شيء كنت أفكر فيه أن أكون أداة للخلاص في حياته حتى ككوني راعيًا له، في الواقع لم أكن حتى أفكر كيف أستطيع أن أكون أداة للروح في حياته لولا أنني تكلمت مع «لولا».

عندما تقابلت في النهاية مع «بيت» كان لديّ خطة مختلفة جذريًا عن بادئ الأمر حين ناقشته مع زوجتي، لم أعد أريد أن «أربح»

لم أعد أريـده أن يصمت ويتجاوب مع حلمي، أنا حقًا كنت أريد أن يستخدمني الله لتشجيع ثمر الروح في حياته.

أتى «بيت» للحديث متأهبًا للمعركة، كان واضحًا أنه قد أعد أسلحته وقام بالتدريب على طرق للدفاع، لكن لم تكن هناك معركة، أخبرته أني كنت ممتنًا لرؤيته؛ وكيف أن من خلاله حقًا قد كشف الروح قلبي، وطلبت الغفران منه. قبل أن يكون لدي الفرصة للكلام عنه، قال هو: «بول، كنت أيضًا مخطأً، أعتقد لو أنني أمين يجب علي أن أقول أنني كرهتك وكنت أنتهز أي فرصة لأقوم بانتقادك أمام الآخرين، لقد كنت غاضبًا منك ومن الله الذي وضعنا في هذا المجمع، أريدك أن تغفر لي.»

في هذه الليلة ولأول مرة منذ مدة، تحدثنا أنا و»بيت» بحسب الروح، وأنتج الروح نموًا جديدًا في حياة كل منا. دعنا لا نغفل الفكرة: أنها بدأت بشخص واجهني وشجعني على أن أمتحن قلبي الشخصي قبل أن أقوم بمواجهة شخص آخر.

إن التكلم حسب الروح يعني أن نأخذ وقتًا للسمع، وللامتحان، وللتفكير مليًا وللإعداد. إنه يعني التواصل بالطريقة التي تظهر عمل النعمة للروح في حياتنا وفي حياة الآخرين.

الانتصار في الصراع يعني التكلّم بهدف الإصلاح (غلاطية ٦: ١-٢). قال بولس «**أَيُّهَا الإِخْوَةُ، إِنِ انْسَبَقَ إِنْسَانٌ فَأُخِذَ فِي زَلَّةٍ مَا، فَأَصْلِحُوا أَنْتُمُ الرُّوحَانِيِّينَ مِثْلَ هذَا بِرُوحِ الْوَدَاعَةِ،...**»

علينا أن نتأكد أننا نفهم هذه الكلمات. فلنلاحظ أولاً أن بولس لم يقل «إذا أمسكت أحدًا في خطية...» أنه لا يتكلّم عن التجسس على أحد للإمساك به في ذات الفعل! بل هو يتكلّم أننا كخطاة نقع في «زلة» متورطين في الخطية.

إن الخطية خادعة، وإبليس المدبر الذي يهمس في آذاننا «**بكلام منمّق**» (كولوسى ٢:٤) لكي يقنعنا أن ما نقوم به أمر حسن. إن الخطية تصبح فخًا يُضيّق علينا الخناق بشدة حين نصدق هذا «الكلام المنمق»، ونستخدمه في قياس وتبرير ما نفعله، قبل أن ندرك هذا نصبح في عبودية للخطية بشكل لم نكن نتصوره، ونحن حتى لا نعلم كيف وصلنا إلى هنا!

جميعنا استعبدنا لخطية وهذا جانب من المجد، نحن قد زللنا في غضب، غرور، شفقة على النفس، حسد، انتقام، بر ذاتي، مرارة، شهوة، أنانية، خوف، عدم أيمان، الخ، ونحن حتى لا نعلم كيف زللنا أو كيف نُخلص أنفسنا. بطريقة أو أخرى نحن جميعاً عشنا «في زلات» في بعض من جوانب حياتنا، وهناك بعض جوانب للخطية نكون في عمى عنها. والخطايا هي السمة الرئيسية لصراعنا. لكن سوف يأتي يوم حين ينكسر هذا الفخ وسوف نكون مع المسيح ومثله إلى الأبد! ولكن حتى يحين هذا الوقت نحتاج أن ندرك كخطاة أننا من الممكن أن نكون قد « زللنا» ولهذا السبب نحن بحاجة إلي بعض.

ثم قال بولس «**فَأَصْلِحُوا أَنْتُمُ الرُّوحَانِيِّينَ مِثْلَ هذَا بِرُوحِ الْوَدَاعَةِ.**» هل هو يتكلّم عن نخبة من المصلحين فائقين الروحانية؟ لا لم يفعل هذا مطلقًا! هذه الكلمة «الروحانيين» لا تستخدم للإشارة فقط إلى الشخص الناضج كتابياً، لكن تشمل كل مؤمن، وبالعودة لغلاطية ٥:٢٥، قال بولس أن «**نسلك بحسب الروح**» هذا يعني أن نكون مدركين لما يفعله الروح فينا وفي الآخرين، فعندما «**نسلك حسب الروح**» نكون قد وضعنا أنفسنا للخدمة كسفراءه للمصالحة.

وجميعنا، إذا كنا نحيا الحياة التي تستحقها دعوتنا، فسنكون قد وضعنا أنفسنا كوكلاء لله للإنقاذ والإصلاح. إن الانتصار في صراع الكلمات يعني أن نجعل خطة المصالحة تلك تُشكّل توجهات علاقتنا، إننا جميعًا نواجه إغراء أن نصدق بالخطأ أن علاقتنا ملكنا الخاص، إننا نميل إلى رؤية الآخرين كممتلكات لنا. فيقع الآباء في هذا الخطأ مع أبنائهم، ثم حين يفشل الابن في سنوات المراهقة، فإن الآباء لا يستطيعون أن يروا أي أمر آخر غير غضبهم وجرحهم الشخصي ليكونوا وكلاء للإصلاح لنسلهم الشخصي!

إننا نسعى لرؤية الآخرين على أنهم موجودون من أجل سعادتنا الشخصية، فالأزواج والزوجات يعتقدون أن مسؤولية شريك حياتهم هي إسعادهم، فيراقبون شريك حياتهم بعيون يقظة ومترقبة، وتصبح الحياة حلقات من اختبارات مصيرية، وفي النهاية لا تأتي السعادة المرجوة أبدًا، فنحن نسعى لرؤية الناس من حولنا لنرى كيف ينظرون

إلينا وما شعورهم نحونا، إننا نسعى لكسب احترام لائق، وحب، وتقدير، وقبول حقيقي، وكرامة وبعدها نجد أنه من الصعب علينا أن نستمر في العلاقات، حيث أن هذا التصور ليس موجودًا.

يدعونا «بولس» هنا لشيء مختلف جذريًا، إنه يدعونا لأسلوب جديد وأرقى لعلاقتنا، وذلك هو ما يصفه هذا الكتاب، إن الأسلوب الجديد يكون متأصلاً في اعتراف أساسي بأن علاقتنا (والناس الموجودين فيها) ليسوا ملكاً لنا لكن لله، أنه يمتلكنا كخالق ويُردنا كمخلّص، المسيح قام بشراء البيت المدان (نحن)! ودخل والآن يقوم بعمله لأجل إتمام مصالحة كاملة. هذا هو الأساس الكتابي للعلاقات في جسد المسيح، من المهم أن نفهم وضعنا، نحن لم ولن نمتلك هذه العلاقات لأنفسنا، نحن أدوات للمالك الحقيقي، هو منهمك في عمل المصالحة.

وحين نتعلّم أن نرى علاقتنا بهذا الشكل، نبدأ في رؤية الحاجة إلى المصالحة مع من حولنا. عندما تذهب لأجازة والأطفال يتشاجرون في المقعد الخلفي، فإن ما يحدث هو أكبر من مجرد أن أجازتك بدأت تنهار! فالحاجة للمصالحة تكشف عن نفسها، يمكنك أن تتجاوب في هذا الموقف كأب مغتاظ أو كمصالح يريد أن يُستخدم بيد المصالح الأعظم. عندما تكون مع صديق تتناول القهوة ويبدأ بالشكوى مجددًا من مديره وهو يتساءل لماذا لم يفعل الله أي شيء، فهناك الكثير لتفعله أكثر من أن أمسيتك الجميلة تنهدم. هنا مجددًا، يدعوك الله لأكثر من الشفقة على النفس، فلقد وضعك لتكون مصلحًا.

عندما لا يتوافق الأزواج والزوجات حول نفس الموضوعات القديمة مجددًا، فإنهم بحاجة لأن يفعلوا أكثر من مجرد الشكوى بأن زواجهم ليس ناجحًا أو أن الشخص الآخر ليس لديه الحل. الحاجة إلى المصالحة تكون واضحة في هذه النوعية من الصراعات، أنهم بحاجة لرؤية أين «سقطوا»، إنهم بحاجة ليتجاوب الواحد مع الآخر وليس بأسلوب المطالبة ولكن بأسلوب المصالحة.

عندما تصير علاقتك بابنك المراهق باردة، متباعدة، وعدوانية، فإن ذلك ليس وقتاً للانغماس في الشفقة على النفس، والتفكير في كل ما قمت بفعله من اجله لسنوات وكان مقابل ذلك قلة احترام وشُكر، هذا ليس وقتاً للاستسلام للمعارك اللفظية أو لبناء حائط ثلجي من المرارة، أنه وقت لرؤية الحاجة إلي المصالحة، أن أبنك المراهق «قد زل» (وربما أنت أيضًا!)، وهو بحاجة ماسة للمصالحة، لكنك لن تكون أداة للمصالحة مادامت تطالبه بأن يحقق كل توقعاتك للعلاقة السعيدة.

عندما تتحول منضدة الغذاء إلي أرض معركة لصراعات تافهة وتنافسية، فهذا ليس وقتًا للغضب أو لكي تأخذ طبقك للجلوس في غرفة أخرى، فإن أطفالك يظهرون أنهم قد «زلوا» وأن الله وضعك هذا المساء ليستخدمك في عمل المصالحة.

الانتصار في صراع الكلمات يعني التكلّم بالخلاص والتكلم بالخلاص متأصل في نظرة المصالحة في علاقتنا، والهدف

من العلاقات الإنسانية ليس سعادة الإنسان، بل هو عمل لمصالحة الناس بالله وإعادتهم لصورة ابنه.

الانتصار في صراع الكلمات يعني ألا ننسى أبدًا من نكون، فعندما نتذكر أننا على ما نحن عليه فقط بسب رحمة الله، فسوف نتكلم بلطف وتواضع كمصلحين لله. كم من مرات كان كلامنا تجاه الآخر يفتقر لهذا النوع من اللطف والتواضع! نحن نفشل في الكلام بمنظور الخلاص لأننا ننسى من هو وما الذي يفعله في علاقتنا، ونحن نفشل في التكلم بلطف واتضاع لأننا نسى من نحن وأن اعتمادنا الشخصي فقط على نعمته.

الانتصار رحلة

يكشف لنا غلاطية ٥ عن أناس في رحلة لا يقومون بالتركيز فقط على ما يجب أن يحملوه معهم، لكن على من هو بحاجة إلي المساعدة، وهكذا تنتهي غلاطية ٦:٢ بكلمات «**اِحْمِلُوا بَعْضُكُمْ أَثْقَالَ بَعْضٍ**» فقد وسع بولس دعوته لنا، الانتصار في صراع الكلمات لا يعني فقط إنقاذ الشخص الساقط في الخطية، لكن يعني أن أكون منتبهًا لجميع الأماكن التي من الممكن أن أصارع فيها. في رحلة الحياة، أنا لا أركز فقط على ما يجب أن أوازنه في أحمالي بطريقة صحيحة، لكن أتوجه بعيني أيضًا عليك. فعندما أرى شخصًا يصارع ليحمل أثقاله، قد دعيت لكي أشاركه في حمله، هذه هي محبة المسيح التي تكلم عنها في يوحنا ١٣:٣٤ و«الناموس الملوكي» الموجود في يعقوب ٢:٨. إن طريق المسيح لا يوجد فيه أبدًا أنانية، وإشباع

للذات، لكن محبة المسيح تسير في اتجاه الآخر، والتركيز على الآخر، والتضحية بالنفس.

وهكذا نحن دُعينا لندعم بعضنا بعضًا ونحن نسير في رحلة هذا العالم الساقط، كما أننا دعينا لنتكلّم بعضنا لبعض بعقلية «حمل الثقل،» فعندما نرى أناسًا يصارعون مع الضعف، نشير لهم بالقوة المتاحة في المسيح، وعندما نرى أحدهم يعاني من جهل، نتكلم بكلمات الحق المعطاة بحكمة، وعندما يوجد شخص في حالة خوف، نتكلم عن الله المتواجد دائمًا للمعونة في الصعاب، وعندما يحزن الناس نسعى للتعزية، وعندما يحبطون نسعى لإحضار كلمات الرجاء، وعندما يشعرون بالوِحدة، نذكّرهم بمحبتنا لهم وحضور المسيح، وعندما يغضبون، نشير لهم بالإله الحق، الذي له النقمة والعدل، وفي وسط الصراع نسعى لنتكلّم كصنّاع سلام ومصلحين. وعندما يقلق الناس نشير لهم براحة يوم السبت أو سلام الله الذي أعطاه المسيح لأولاده.

إن الانتصار في صراع الكلمات يعني العيش بعيون يقظة. فنحن نكون يقظين ليس فقط من أجل صراعاتنا، لكن على المهاجرين الآخرين الذين يصارعون في الرحلة معنا، وعندما نفعل هذا ندرك جميعًا أننا لسنا بمفردنا، فقد خطط المسيح للأيادي الكثيرة لشعبه أن تتحد لحمل الأحمال الغير ممكن احتمالها. لا نحتاج لنيأس أو نغادر أو نجري في اتجاه آخر، بل أننا متشجعين ومدعمين وبهذا نستطيع أن نكمل الرحلة.

إن الانتصار في الصراع يعني انتقاء كلماتنا بحرص، فنحن لا نريد إعطاء أي مجال في كلامنا لأهـواء أو لشهوات الطبيعة الخاطئة، ففي خلال حسدنا وغرورنا الشخصي، لا نريد أن نجعل أحداً منا يخطئ، لا نريد أن نلدغ أو نلتهم بعضنا البعض بالكلمات، إنما نتعهد بخدمة بعضنا البعض بالمحبة في كل كلامنا. أننا نريد أن نتحدث حسب ما ينتجه الروح من ثمار فينا وفي الآخرين، ونريد أن نتحدث بطريقة تشجع على نمو هذه الثمار. أخيرًا نريد أن نتكلّم كوكلاء ودعاء ومتضعين للمصالحة، وكحاملين للأثقال متعهدين بأن نعيش بقانون محبة المسيح.

يا له من اكتشاف جذري؛ الإصلاح والمصالحة يحدثان نتيجة حملنا لهذه الدعوة في كل علاقة في حياتنا! كيف ستتغير الأمور إن كنا ملتزمين باستمرار بهذا النوع من التواصل! ما التغيير الذي سيحدث في علاقتنا إن كنا نتكلّم الواحد للآخر بكلمات الخلاص! التعهد للانتصار في صراع الكلمات يدعونا لنختار كلماتنا جيدًا.

على المستوى الشخصي:

استراتيجيات الصراع

ما هي المحادثات التي تميل فيها لنسيان حريتك في المسيح وتنتهي بالانغماس في الطبيعة الخاطئة؟ (مع شريك حياتك، ومديرك، ووالديك، والأشقاء، والجيران، والعائلة الممتدة، وجسد المسيح). خذ بعض الوقت لتحدد معاركك الشخصية.

سجل المشاعر والرغبات القوية التي تحتاج أن تقول لها «لا» (أمثلة لهذه المشاعر: الغضب، والإحباط، الخوف. أمثلة لهذه الرغبات: الانتقام، والكرامة، والتقدير، والتحكم، والنجاح، والحب.)

ما هي المواقف المحددة التي يدعوك الله للتكلم فيها بدافع من التعهد لخدمة الآخرين في محبة؟

أي ثمرة من ثمر الروح بحاجة لأن تنمو فيك وتؤثر بطريقة دائمة على طريقة حديثك مع الآخرين؟ (طول الأناة، ضبط النفس، اللطف، الفرح،...)

أين ترى الحاجة إلى عمل إصلاحي حولك؟ كيف تساعد بكلماتك؟ ما هي الفرص اليومية المتاحة لك لتكون جزءًا مما يفعله الله في الآخرين؟

تذكر، أنه بسب ما عمله المسيح، نحن نستطيع أن نقول «لا» لرغبات وشهوات الطبيعة الخاطئة، نحن نستطيع أن نخدم الآخرين بمحبة حتى خلال مواجهة الاستفزازات.

الفصل الثالث عشر

اختيار كلماتك

«إِذًا يَا إِخْوَتِي الأَحِبَّاءَ، لِيَكُنْ كُلُّ إِنْسَانٍ مُسْرِعًا فِي الاسْتِمَاعِ، مُبْطِئًا فِي التَّكَلُّمِ، مُبْطِئًا فِي الْغَضَبِ.»

(يعقوب ١: ١٩).

كنت أجلس في غرفة الأسرة وأنا في شدة غضبي! لم أكن أصدق أن بعد هذه السنوات من الحب، وكل مجهوداتنا للفهم، وكل الاستثمارات التي قدمناها لبناء علاقة مرتكزة على أساس الثقة المتبادلة، ولكنه كان مستعدًا للتخلّي عن كل هذا من أجل ليلة مسلية مع أصدقائه، لم أكن أتخيل كيف كانت هذه الليلة هي المهمة بالنسبة له.

لقد نظر ابني في وجهي وكذب عليّ، لقد كنت غاضبًا جدًا! لقد أردت أن يتأذى بنفس الطريقة التي تأذيت بها، لقد أردت أن أعطيه ما يستحقه، وكنت أحضّر في مخيلتي مواجهة الند بالند معه (كل ذلك باسم الرب، بالطبع!)، لقد فكرت في سلسلة من العقوبات القاسية التي ستغيّر حياته بشكل مؤكد، لقد تمنيت أن يكون بالمنزل لأُنهي الأمر معه. وأخبرت «لولا» «أنه سيندم على اليوم الذي فكّر في أن يفعل هذا معي!»

لقد جلست هناك في شدة غضبي، ليس فقط بسبب أن ابني قد كذب عليّ وليس لأنه غير متواجد في المنزل لأعاقبه، لكنني كنت أيضًا حزينًا بسبب أن «لولا» لم توافقني بالكامل على الطريقة التي أريد أن أتعامل بها معه، إنها فقط رقيقة جدًا، وهكذا عللت الأمر لنفسي، إن الله دعاني لأكون القائد الروحي من أجل أوقات كهذه، كشخص يقف لأجل الحق! كشخص بحاجة لمواجهة الخطأ الذي يحدث هنا.

كلما جلستُ أكثر أدافع عن غضبي وأتمرن على ما سأفعله مع ابني، كلما أصبحت حلولي أضعف. لكن ها أنت ترى أن الله في حكمته المدهشة قد رتب ألا يكون ابني في المنزل في هذا التوقيت وأرسل الله لي زوجتي لتتدخل كنائب، أراد الله أن يتعامل معي قبل أن يستخدمني في حياة ابني.

لم يمض وقتًا طويلًا قبل أن أتوقف عن التفكير في ابني، لكنني كنت مكتئبًا بسبب ما رأيت في داخلي. بعد كل هذه السنوات من دراسة الكتاب المقدّس والخدمة، كل هذه السنوات من المشورة والتعليم، وكل سنوات الدراسة الشخصية في الكتاب المقدّس والصلوات، كيف يمكن أن أكون بهذه الحالة مجددًا، وها أنا يلتهمني غضبي الشخصي؟ متأذي وعلى استعداد لرد الأذى؟

في ذلك المساء كنت وحيدًا في غرفة الأسرة، وحاولت مجددًا مواجهة شيئًا نميل لنسيانه أو تحجيمه بشدة ــ وهو حضور وقوة الخطية الساكنة، لقد أصبحت مدركًا أن عملية تقديسي لم تنتهي بعد، والصراع الروحي العظيم يحتدم في قلبي، لكن كنت أيضًا مدركًا قوة

عمل الله، فقد تحكم في المشهد وأقام زوجتي لتعطيني وقتًا لأختبر أفكاري، ودوافعي، وتصرفاتي. لقد رأيت أنني أحتاج الله تمامًا مثل أول يوم آمنت فيه.

ربما كنت أختبر اختلاط المشاعر الصادقة في الحياة المسيحية، فقد كانت كآبة مخلوطة بفرح، وحداد يخففه الابتهاج، ويأس مختلط برجاء مجيد. كل هذا يصور حقيقة أنه كلما زادت الخطية، زادت النعمة أكثر. إن إدراك مقدار خطيتي الشخصية يجب أن يُغمر بمعرفتي بقوة الله، وغفرانه، ونعمته المحررة، والتقدير الحقيقي لعظمة نعمته يأتي فقط كلما أدركت عمق وقوة الخطية الساكنة فيّ.

يحتدم الصراع! لهذا يجب أن نختار كلماتنا بعناية. إننا عرضة للضلال، وتسيطر علينا مشاعرنا المشتعلة. لازال من السهل تأثرنا بشهواتنا الخاطئة. نحن ننخدع باستمرار بخدع الشرير الماكرة، التي تجعلنا نميل لفقد دعامات الإنجيل.

الاستعداد لاختيار الكلمات الصحيحة

في وقت حضور ابني للمنزل في الليلة التالية، كنت بالفعل قد وقفت في مكان مختلف تمامًا، وفعلت أربعة أشياء لتُعدني للتعامل مع الموقف. هذا ما فعلت:

لقد اعترفت باحتياجي لله. إنه من المهم لي أن أرى أن هذه المواقف لا تكشف فقط الاحتياج الروحي للآخرين، لكن احتياجي أنا أيضًا. لو أردنا أن نختار دائمًا الكلمات التي تسمح لنا بأن نكون أدوات

الله للتغيير، يجب أن نبدأ بمعرفة احتياجنا الخاص لهذه النعمة. إننا لن نحقق ما قصده لنا أو ما دُعينا لفعله بقدراتنا الذاتية، فقط بنعمته لدينا رجاء للتحدث بشكل صحي في الأوقات المثيرة للغضب. كذلك نحتاج أن نبدأ في الاعتراف لله باتجاهات القلب التي تقف في طريق ما يريده من خلانا.

لقد اعترفت بنعمة الله لي. لا يجب أن نستسلم للأفكار التي تقول أن التغيير مستحيل، هذا إنكار للإنجيل الذي نقول أننا نؤمن به. المعرفة الجيدة بمصادر نعمة الله ستعطينا دائمًا نتائج تشجع الإيمان، وهذا بدوره سينتج أفعال إيمانية حاسمة. عندما نفقد رؤية هويتنا كمستقبلين لنعمة الله، نصبح غير فعّالين وغير منتجين (بطرس الثانية ١: ٨-٩)، ونهرب من العمالقة في حياتنا بدلًا من أن نقاتلهم، لكن معرفة النعمة تعني أن أحيا وأنا أصدق أنه قد وهبني بالفعل في المسيح **كل شيء أحتاجه** ـــ ليس فقط للحياة الأبدية، لكن لحياة صالحة في هذا العالم الساقط (بطرس الثانية ١: ٣-٤)، وأنا احتجت لمعرفة نعمته في ذلك المساء.

لقد قلت، «لا!» لو اعترفنا باحتياجنا وغنى نعمة المسيح، فبإمكاننا أن نقول لا للشهوات ولمشاعر الطبيعة الخاطئة (غلاطية ٥: ١٣-١٥، ٢٤-٢٥). لم نعد نعيش تحت سلطان الخطية، إنها لم تعد تسود علينا (رومية ٦: ١-١٤)، لذلك يمكننا أن «نعدم» شهواتها وأفعالها (رومية ٨: ١-١٧). نحتاج أن نحدد الدوافع والرغبات التي تبعدنا عما دعانا الله لنفعله ونقوله. نحتاج أن نربط أنفسنا به بقوة مجددًا لذلك

لن نسمح لهذه الأشياء أن تسود علينا. كانت زوجتي على حق، فقبل أن أتحدث مع ابننا، احتجت أن أقول لا لاتجاهات القلب والشهوات غير الصالحة.

لقد قلت «أشكرك!». وبقول كلمة «شكرًا» لله نحن نعترف بدعوتنا وندرك الفرصة التي وُهبت لنا لنكون جزءًا مما يفعله الله في حياة الآخرين. وتذكرنا روح الشكر أن هذه ليست لحظاتنا إنما لحظاته؛ لقد اختارنا من كل هذا الكم الهائل من البشر لنكون سفرائه، هذا امتياز عظيم، لقد أصبح لحياتنا هدف ومعنى أبدي. لدينا سبب للاستيقاظ في الصباح! لدينا فرصة لنكون جزءًا استراتيجيًا من خطته العظمى للفداء، يا لها من هوية! إن التجاوب المناسب لذلك هو العبادة.

بينما نستعد للتحدث مع الآخر، فإننا نحتاج أن نُهدّئ عاصفة المشاعر البشرية بالراحة وبرجاء العبادة، إنه هنا! إنه يعمل! نعمته تكفي! لم تعد الخطية تسيطر عليّ! لقد دعاني ووضعني بطريقة استراتيجية هنا، وبمعونته أستطيع أن أفعل ما دعاني إليه. نعم، البحار هائجة بعنف، لكن المسيح في المركب معي! هناك رجاء لي ولك! هذه الراحة وهذا الرجاء سيمنحوننا اختيار كلماتنا بحكمة.

اختيار كلماتك

ربما تقول «بول»، لست متأكدًا مما تعنيه عندما قلت أننا نحتاج أن نختار كلماتنا، هل يجب أن نتدرب طوال الوقت على ما سنقوله؟ هذا يبدو مفتقدًا للقليل من الواقعية. وأنا أوافقك على ذلك، فإن اختيار

الكلمات لا يعني أن نكتب نصًا لكل محادثة، إنما يعني أن تكون مقاصدنا موجهة للخلاص. لو غرضي (نيتي) أن أعمل كممثل لله، إذا أنا احتاج أن أخذ وقتًا للتفكير في ما يعنيه هذا بصورة عملية، خاصة في مثل هذه الظروف مع هذا الشخص. كثير من الدمار الذي نفعله بكلامنا يحدث بسبب أننا لم نستعد بهذه الطريقة.

أفسس ٤ هو دليل بسيط وعملي لما يعنيه اختيار الكلمات بحكمة، ومن الممكن أن يرشد كلمات مناقشتنا بطريقة تشجع عمل الله في الآخرين، إذًا ما هي الكلمات التي يجب أن نختارها؟

اختيار كلمات الحق

وكما كان بولس يُذكّر المسيحيين في أفسس بدعوتهم للخدمة اليومية، دعاهم أيضًا «للتكلّم بالحق في المحبة.» أنني مقتنع أننا عادة نفقد النقطة التي يذكرها بولس هنا، عادة نراها كدعوة لشخصين ليحبوا بعضهم بأمانة، بالتأكيد هذا مهم جدًا، لكن هذا ليس ما تُعلّمنا إياه هذه الفقرة. دعنا ننظر لمحتوى الوصية.

«كَيْ لاَ نَكُونَ فِي مَا بَعْدُ أَطْفَالاً مُضْطَرِبِينَ وَمَحْمُولِينَ بِكُلِّ رِيحِ تَعْلِيمٍ، بِحِيلَةِ النَّاسِ، بِمَكْرٍ إِلَى مَكِيدَةِ الضَّلاَلِ. بَلْ صَادِقِينَ فِي الْمَحَبَّةِ، نَنْمُو فِي كُلِّ شَيْءٍ إِلَى ذَاكَ الَّذِي هُوَ الرَّأْسُ: الْمَسِيحُ.» (أفسس ٤: ١٤-١٥)

لاحظ أن بولس لا يركز على خطر عدم الأمانة، لكن على خطر الخداع. فهو يريد لكنيسة أفسس أن تكون ثابتة بالفعل فقط في الحق

الذي يعطيه الله. وبولس يدرك أن العدو ماكر ويعمل على زعزعة شعب الله بالتناقضات، ورياح الأباطيل. دعوته هنا ليست لأجل حصة لاهوت رسمية، لكن لاعتناق الكتاب المقدّس لتشكيل الطريقة التي نفكر فيها في الأحداث اليومية، فهو يهتم هنا بأن نكون ناضجين كفاية لاختيار كلمات الحق، ولنكون متحمسين أكثر لتوصيل الحق الكتابي أكثر من آرائنا وأفكارنا الشخصية.

وهبنا الله حقه ليعطينا معنى للحياة، إنه يعلم أننا لن نفهم الحياة بالطريقة الصحيحة بأنفسنا أبدًا، ويعلم أيضًا أنه في هذا العالم الساقط يوجد ضجيج من الأصوات، كلها تتنافس من أجل الحصول على قلوبنا، وكلها تهتم بنفس مجموعة الحقائق، لكن كل منها يعطي معنى مختلف. وهبت لنا كلمة الله لتخترق كل تشويش ولتفسر لنا الحياة. إنه لأمر حيوي أن نتكلم بالحق الكتابي مع الآخرين يوميًا، وكلما نفعل هذا ننمو في المسيح.

لو كان هذا هو التزامنا، سيكون هناك العديد من الأسئلة التي نحتاج أن نسألها لأنفسنا باستمرار.

ما هي الحقائق الكتابية (التعاليم، والمواضيع، والوصايا، والمبادئ، والمشاهد، والأمثال، إلخ.) التي تفسر وتشرح هذا الموقف؟ هذا السؤال الأول المهم، لأننا قد رأينا أننا لا نتجاوب مع الحياة بالاعتماد على الحقائق لموقف معين، لكن على تفاسيرنا لهذه الحقائق، لذلك يجب أن نكون حذرين في تفسير الأمور الكتابية ومساعدة الآخرين على فعل نفس الأمر. في جلسات المشورة، أفعل

هذا أكثر من أي شيء آخر، ودائمًا أقلق بسبب صعوبة أن يفعل الناس هذا بأنفسهم، وللأسف، فإن النتائج توضح ذلك في حياتهم.

ما الذي يريد الله أن يظهره لهذا الشخص عن نفسه، عن محبته، ونعمته، وإرادته، وعن حقه؟ ولو كان الله في كل موقف، أبدي الوجود، ومخلّص معين، فحينها ستكشف المواقف أمورًا عنه. لكن المشكلة في أي موقف ليست أن الله غائب أو غير فعال لكن أننا نميل للعمى عن حضوره وعمله، نحن عادة مثل «خادم أليشع» الذي كان يرتعب كلما حاصرهم الأعداء. أنا أحب الطريقة التي رد بها «أليشع» على خوفه، لقد قال «**أن الذي معنا أكثر من الذين علينا**. «ثم صلّى، «يا رب، افتح عيناه لكي يرى.» عندما نظر الخادم مجددًا رأى التلال ممتلئة بخيول سماوية ومركبات من نار (ملوك الثاني ٦: ٨-٢٣)!

عادة تقول الناس لي، «أنا لا أفهم لماذا لا يعمل الله في حياتي، لماذا لا يستجيب لصلواتي؟ لماذا لا يساعدني؟» هذه الأسئلة تعكس العمى الموجود عن حضور الله وعمله. نحتاج أن نساعد الآخرين على رؤية الله وكذلك مواقفهم بعيون كتابية، ونحتاج أن نفعل هذا بتواضع، وبإدراك لعمانا الروحي واحتياجنا المشابه لهم.

ما الذي يريد أن يكشفه الله لهذا الشخص عن نفسه؟ مواقف الحياة لا تكشف الله فقط، إنما تكشف الكثير عنا أيضًا. يستخدم الله هذه اللحظات لكي لا ننخدع بخداع الخطية، لكن لكي نرى أنفسنا في ضوء الكتاب المقدّس. الحقيقة أن التقييم الذاتي الكتابي هو عطية

مؤلمة لكننا نحتاج إليه جميعًا، إنه نوع من «الجرح» الذي يعطيه الصديق المخلص (أمثال ٢٧: ٦). ولمساعدة الناس لرؤية أنفسهم بوضوح، نحتاج أن نتمسك بمرآة كلمة الله أمامهم. ما نصدقه عنهم ليس مهمًا، لكن ما يكشفه الكتاب المقدّس عنهم هو الصحيح والمهم. نريد أن نُستخدم بواسطة الله لهدم بضعة من قوالب الطوب من حوائط الخداع الذاتي، إدراكنا أن هذه عملية مستمرة وليست حدث لزمن معين، يجعلنا شاكرين لأجل الفرصة ولصنع تقدم أكثر.

ما الذي يريد أن يكشفه الله لهذا الشخص عن الآخرين؟ رؤيتنا للآخرين مشوهة بالخطية، نحتاج أن نساعد الناس بإضافة نوع من الوضوح الكتابي للطريقة التي يفكرون بها في الناس الآخرين.

ما هي دعوة الله لهذا الشخص ليقوم به؟ نريد أن نقود الناس للفرح في فعل مشيئته في مواقفهم الخاصة، ما هي خطة الله لهذا الشخص؟ ما هو التفكير أو الرغبة أو الفعل الذي يدعوه/ دعوها الله له؟

كيف أحقق أقصى مساعدة لهذا الشخص لفهم هذه الأشياء؟ وعندما نفكر عمليًا، نفكر من الناحية المنهجية، ولكن محاضرات الاتهامات وإلقاء اللوم تأتي بنتائج عكسية. كذلك السرد للكتاب المقدّس بطريقة مبتذلة غير مشروحة وغير قابلة للتطبيق، كذلك معظم أحاديث «لو كنت مكانك» تأتي بنتائج عكسية. ما نريد أن نفعله أولاً هو تجسيد محبة الله الرائعة التي نختبرها (انظر كولوسي ٣: ١٢-١٤)، نريد أن تراه الناس، وأن تستريح فيه وتتبعه.

وبعد ذلك، نود أن نبني جسرًا من الفهم بين حقائق الكتاب المقدّس وحقائق مواقف معينة، كيف نبني هذا الجسر بأفضل صورة؟ ما هي الأسئلة التي يمكن أن نسألها؟ ما هي الفقرات التي قد تكون مساعدة؟ ما القصص التي يمكن أن نخبرهم بها؟ ما الأمثلة (الاستعارات) التي قد تعطي فهمًا؟ ما الذي نعرفه عن هذا الشخص ويمكن أن يساعدنا في صنع اختيارات صحيحة هنا؟ (يسوع كان بارعًا في ذلك.)

نريد أن نختار كلمات الحق، لكن هذا يعني أكثر من أن نكون أمناء، إنه يعني أن نكون متميزين بالكتاب المقدّس في الطريقة التي نتجاوب بها مع الآخرين.

اختيار كلمات المحبة

قيد «بولس» دعوته للتحدث بكلمات الحق (من المشهد الكتابي) بتذكيرنا بأن هذا الحق يجب أن يُنطق بمحبة، لا يوجد أمر أهم من هذا، الحق الذي لا يُنطق في المحبة يتوقف عن أن يكون حقًّا، بسبب أنه يصبح مشوهًا بعدم الصبر، والجحود، والغضب البشري.

أن تصبح ملتزمًا بالتكلم بالحق في المحبة يعني أن تكون ملتزمًا بأن تحفظ الحق غير ملطخ بدوافع وشهوات الطبيعة الخاطئة، إنه يعني أن تصبح ملتزمًا بأن تكون جزءًا مما يسعى الروح أن يفعله في حياة الشخص الآخر، وأن أصبح ملتزمًا بعمله أكثر من شهواتي الخاصة، أنا أريد أن أموت عن نفسي ليصبح فيّ كلامي حياة له.

لا يوجد هناك اتجاه معين لاختيار كلمات المحبة أكثر من تعريف «بولس» للمحبة في كورنثوس الأولى ١٣

«الْمَحَبَّةُ تَتَأَنَّى وَتَرْفُقُ. الْمَحَبَّةُ لاَ تَحْسِدُ. الْمَحَبَّةُ لاَ تَتَفَاخَرُ، وَلاَ تَنْتَفِخُ، وَلاَ تُقَبِّحُ، وَلاَ تَطْلُبُ مَا لِنَفْسِهَا، وَلاَ تَحْتَدُّ، وَلاَ تَظُنُّ السُّوءَ، وَلاَ تَفْرَحُ بِالإِثْمِ بَلْ تَفْرَحُ بِالْحَقِّ، وَتَحْتَمِلُ كُلَّ شَيْءٍ، وَتُصَدِّقُ كُلَّ شَيْءٍ، وَتَرْجُو كُلَّ شَيْءٍ، وَتَصْبِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ.» (الأعداد ٤-٧).

إننا نجد الدعوة بهذا المقياس في كل العهد الجديد، فقبل موت يسوع كانت كلماته الأخيرة لتلاميذه «**الوصية الجديدة**» أن يحبوا بعضهم البعض كما أحبهم هو (يوحنا ١٣: ٣٤-٣٥)، هذه المحبة ستُميزهم كتلاميذ له. ومن الممكن أن نجدها في رومية ١٢: ٩-٢١، في دعوة للمحبة الصادقة في وجه الشر. ونراها في أفسس ٤: ٢ عندما دعانا «بولس» «لنكون كاملين في الوداعة واللطف، ونكون صبورين، ونحتمل الآخرين في المحبة.» وهذا المقياس يتضح لنا في فيلبّي ٢: ١-٤ حيث أخبرنا «ألا نفعل أي شيء بدافع من الطموح الأناني أو بغرور، لكن في وداعة نهتم بما هو أفضل للآخرين أكثر من أنفسنا». ونجدها في كولوسي ٣ حيث قال «بولس» «**فَالْبَسُوا كَمُخْتَارِي اللهِ الْقِدِّيسِينَ الْمَحْبُوبِينَ أَحْشَاءَ رَأْفَاتٍ، وَلُطْفًا، وَتَوَاضُعًا، وَوَدَاعَةً، وَطُولَ أَنَاةٍ، مُحْتَمِلِينَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، وَمُسَامِحِينَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا إِنْ كَانَ لأَحَدٍ عَلَى أَحَدٍ شَكْوَى. كَمَا غَفَرَ لَكُمُ الْمَسِيحُ هكَذَا أَنْتُمْ أَيْضًا**» (أعداد ١٢-١٣)

استمع للأحاديث التي تدور بمنزلك، كم منها يميزه عدم الصبر والقسوة؟ كم مرة تنطق الكلمات بدافع من الأنانية والرغبات الشخصية؟ كم من السهل أن تحدث نوبات الغضب؟ كم مرة نستعيد أخطاء الماضي؟ كيف فشلنا في بث الرجاء؟ كم مرة حملت كلماتنا اتهامات كنا نفعلها في الماضي وتوقفنا عنها؟ قف واستمع، وسترى كيف نحتاج أن نتمسك في كلامنا بهذا المقياس من المحبة، وكم مرة تشوه الحق الذي نتقنه بسبب خطيتنا.

لقد حان الوقت لكثيرين منا أن يعترفوا بأننا لم نعرف طريق المحبة، وأنه قد أوقفت كلماتنا ولم تساعد، فيما يسعى الله أن يفعله، لقد سيطرت علينا دوافع وشهوات الطبيعة الخاطئة وفشلنا في تقديم شخصية المسيح. علينا أن نصر أن نجد نعمة للتحدث بكلمات المحبة كسفراء له.

بينما كنت أستعد للحديث مع ابني، صلّيت أن تقابل كلماتي المقياس الكتابي للمحبة، لقد اعترفت بغضبي، وعدم صبري، وكبريائي، وعندما فعلت هذا، تغيرت مشاعري جذريًا. دخلت إلى غرفته برجاء، وبإدراك بأن عبئًا ثقيلًا سقط من على كاهلي، لقد كنت ما أزال حزينًا ورافضًا لما فعله، لكنني كنت قادرًا على التحدث بهدوء ودون غضب، في تلك الليلة سمعت صوت الحق أعلى من صوت غضبي، لذلك كنت شاكرًا جدًا ــ وكذلك كان ابني!

اختيار الكلمات بانضباط

لا يزال ضبط النفس واحدة من أهم الصفات الكتابية المميزة المهملة. الكثير من مشاكلنا في الكلام بسبب فشلنا في هذه النقطة، فهناك كلمات تُنطق كان لا يجب لها أن تنطق أبدًا، ونطقت في أوقات خاطئة، وفي المكان الخطأ، أو بمشاعر هائجة دون سيطرة. وأحيانًا تُنطق كلمات كان الصمت سيصبح اختيارًا أكثر ورعًا ومحبة بدلاً من تلك الكلمات. لكن ما يحدث هو أننا نكون منقادين بمتطلباتنا وشهواتنا الشخصية أكثر من قصد الله أو احتياجات الآخرين، ما سبب المشكلة؟ إنه نقص في ضبط النفس، وخلل في نظام التحكم الداخلي الذي يعكس سكنى حضور الروح القدس، ويقولها «بولس» بهذه الطريقة: «**وَأَمَّا أَنْتُمْ فَلَسْتُمْ فِي الْجَسَدِ بَلْ فِي الرُّوحِ، إِنْ كَانَ رُوحُ اللهِ سَاكِنًا فِيكُمْ.**» (رومية ٨: ٩). ضبط النفس هو ثمرة عمله، لم نعد نحتاج أن نقتاد بالحنين للطبيعة الخاطئة، وهذا بالتأكيد يشمل كلامنا!

كفعل عملي للإيمان في عمل الروح في داخلنا، نحن نحتاج ألا نلتزم بكلمات الحق والمحبة فقط، لكن أيضًا بالكلمات المنضبطة، هذه الكلمات تنبع من ضبط النفس الذي يهبنا إياه الروح. و«بولس» لديه شيئًا مهمًا عن الكلمات المنضبطة في أفسس ٤

«**لِذلِكَ اطْرَحُوا عَنْكُمُ الْكَذِبَ، وَتَكَلَّمُوا بِالصِّدْقِ كُلُّ وَاحِدٍ مَعَ قَرِيبِهِ، لأَنَّنَا بَعْضَنَا أَعْضَاءُ الْبَعْضِ. اِغْضَبُوا وَلاَ تُخْطِئُوا. لاَ تَغْرُبِ الشَّمْسُ عَلَى غَيْظِكُمْ، وَلاَ تُعْطُوا إِبْلِيسَ مَكَانًا.**» (أعداد ٢٥-٢٧)

يقول بولس، «عندما تتكلم، درب نفسك على ضبط النفس الذي هو لك كابن لله، لا تستسلم لتأثير الدوافع والشهوات للطبيعة الخاطئة، لقد صرت جديدًا في المسيح، هنا هو المكان الذي تعيش فيه هذا التجديد، تكلّم بكلمات منضبطة في وجه الاستفزاز.»

وفقًا «لبولس» ما شكل هذا الانضباط؟

الكلمات المنضبطة صادقة. يقولها «بولس» بصراحة، «**اطْرَحُوا عَنْكُمُ الْكَذِبَ، وَتَكَلَّمُوا بِالصِّدْقِ**.» هذا هو الطريق الوحيد للحب. عندما أكون غير صادق أو «أُحاول تجميل» أو أضلل الحقيقة، فأنا أحب نفسي أكثر من الله أو الآخرين، تجميل الحقيقة هو قول ما هو أقل مما ينبغي أن يقال، والتكلم بعدم أمانة يحدث حين ننظر لأنفسنا أولاً. أنا أريد احترامك أو قبولك، لذلك أُجمّل الحقائق لأخفي أخطائي. أنا أريد الثقة والمصداقية، لذلك أضلل سقطاتي. أجد المواجهة كريهة، لذلك أتجنب المواضيع التي تؤدي لخلاف. هناك أشياء أريدها منك، لذلك أضلل التفاصيل لصالحي، لا أريد أن أشعر بحرج الاعتراف بخطئي لك، لذلك أنا أذكر أحداث الماضي بالطريقة المناسبة لي، وأنا لا أريد أن تعرف أنني خذلتك، لذلك أخترع بعض الأعذار المقبولة، والحقيقة تُزيّف عندما أحبّ نفسي أكثر منك.

نحتاج أن ندرك مدى قوة رغباتنا للدفاع عن أنفسنا، وللهدوء والراحة، وللتبرير، ولأجل القبول والاستحسان، لأجل المحبة. كم من المرات التي نريد فيها أن نكون محور الانتباه، وأن نحيا دون خلاف، وأن تتحقق رغباتنا وأحلامنا!

لكن التكلم بالحق يعني التدرّب على ضبط النفس من هذا الرسم القوي لحب الذات، إنها لا تعني أن تكرس الأمانة الشخصية لأجل راحتك الشخصية. أنا لن أشتري ما أريد بعملة التزييف، إنما سأتمرن على عطية ضبط النفس من شهوات الطبيعة الخاطئة، واضعاً نفسي في يد الله القديرة، أتكلم كلمات صادقة، لا يهم ما هي العواقب التي ستحدث، لكن الكلمات المنضبطة تنضبط ذاتيًا بالأمانة.

يجب أن أضيف هنا أن هذه العلاقة الأمينة يجب أيضًا أن تقابل الاحتياج للمحبة التي ذكرناها سابقًا. أحيانًا، تكون الكلمات «الصادقة» بعيدة عن كلمات الحب المنضبطة، إنما تكون أسلحة انتقامية تتصاعد باستمرار، وحرب مدمرة للكلمات، إنها لا تبني بسبب أنها قصدت الهدم، إنها تقذف على شخص نراه كعدو، لم يكن هدفها أبدًا أن تساعد إنما هدفها أن تفوز في صراع العلاقات. هذا النوع من «الصدق» يبعد تمامًا عما دعانا إليه «بولس» هنا.

الكلمات المنضبطة لا يسيطر عليها الغضب. لا يوجد مكان آخر يذكُر فيه «بولس» ثقته في قوة المسيح الساكنة فينا أكثر وضوحًا من هنا، إنه يصدق بالفعل أنه بإمكاننا ممارسة الانضباط في لحظات الغضب! في المكان الذي يوطئ فيه الشرير قدمه بشكل ضخم، يؤمن «بولس» أن عمله الخبيث سيُحبط، ويمكن أن يتمم الله عمله. يفترض «بولس» أنه من الممكن أن نغضب دون أن نخطئ، ليس كل الغضب خاطئ، لكن هذه هي مشورة «بولس»: «في هذه

اللحظات من المشاعر القوية، عندما تشعر أنك فقدت كل السيطرة، تمرن على الانضباط الداخلي الذي وُهِب لك كابن لله.»

كم هو مغري أن نستسلم لأفكار اليأس، ولنسيان حضور الروح الساكن فينا! تخيل أم مسيحية تدخل في مباراة من الصياح مع ابنها المراهق عندما يرن التليفون، إنها تتحول من هيئتها التي خارج السيطرة المتمثلة في وابل من الألفاظ وتجيب التليفون بإيقاع متقطع، «مر ـ حـبًا» لقد اختارت، لأجل أسباب أنانية، أن تتمرن علي ضبط النفس الذي كان ممكن أن يحدث قبل كل هذا، لكنها قبل أن يرن التليفون كانت مستسلمة لدوافع وشهوات الطبيعة الخاطئة في جدالها مع ابنها. نحن نواجه هنا بقوة المسيح المعطاة لنا لكي نتكلم كما دعانا لنتكلم، تشبث به! الانضباط الذي نحتاجه يوجد فيه؛ أنه ليس تقنية مطلوبة في محاضرة عن التواصل.

يلمح «بولس» لشيئين متطابقين لكن بتفاعلات غضب مختلفة وهو يدعو فيهما لضبط النفس. أولاً، بعض منا يميل للانفجار عند الغضب، والتنفيس عن المشاعر الهائجة ويجعل الكلمات تتطاير دون سيطرة، هذه هي طريقتي، أنا لا أجرح أحدًا نهائيًا بصمتي! إنما، أنا شخص عملي ومعظم صراعاتي في العلاقات كانت صراعات كلمات.

لكنني تعلمت أهمية الذهاب بعيدًا، والانتظار، والاستعداد، لقد تعلمت من مثال زوجتي، أنني قادر على التمرن على الانضباط الداخلي حتى عندما أكون غاضبًا بشدة.

في أحد الليالي كانت تدور بيننا محادثة بالمطبخ وبدأت تُغضبني، حينها اقترحت «لولا» أن نأخذ وقتًا لنعيد تولي السيطرة، واستأذنت وذهبت لغرفة المعيشة، فتتبعتها واستمررت في الحديث، ومجددًا استأذنت وذهبت لغرفت النوم، ونعم، كما توقعت أنت، فها أنا ألاحقها لغرفة النوم، واستمررت في الحديث بطاقة أكثر، وعندها ذهبت «لولا» للحمام وها أنا ألاحقها مجددًا، فنظرت إليّ بابتسامة صغيرة وقالت «ألم تفهم بعد؟ أنا أحاول الهرب منك لكي لا نخطئ أكثر مما أخطأنا، من فضلك لا تلاحقني، يحتاج كل منا وقتًا للتفكير، والصلاة، ولاستعادة السيطرة حتى يكون لدينا حديث مثمر.» عند هذه النقطة قررت أن أتوقف عن ملاحقتها، لقد كانت محقة في تذكيري بأننا أبناء لله، وضبط النفس هو اختيار. لا يجب أن ننسى قوة الروح الساكن فينا أو تجاهل الدمار الذي يحدث حين لا نتمرن على التحكم الذي لدينا فيه.

لقد رأيت كم تظل أثار لدغة الكلمات الموجعة باقية. لقد تعلمت أن اعترف بأنني لست خاليًا من الصراعات مع عدم الصبر، والأنانية، والكبرياء، لأجل ذاتي ولأجل بعضنا. إن هذا الإغراء في أن نجعل الكلمات تتطاير في لحظات الغضب سيبقى بشكل ما متواجدًا إلى مجيء المسيح. احتاج أن أقول لنفسي باستمرار، «لا! قف! انتظر، وصلِّ، وفكّر، وتكلّم.» تمرّن على ضبط النفس الموهوب لك في المسيح.

والاتجاه الآخر المضاد هو الهدوء، البعض منا يجد الهرب طبيعي ومريح أكثر من الصراعات، البعض منا يميل لكبت غضبه، فأنت تميل لاستعادة شريط المشاهد المؤلمة باستمرار في ذهنك، وتصبح أكثر غضبًا وقسوة مع كل إعادة، البعض منا لديه مهارة خاصة في معاقبة الآخرين بصمته. وبذلك أنت أيضًا قد أعطيت المجال لدوافع وشهوات الطبيعة الخاطئة، أنت أيضًا فشلت في التدريب على ضبط النفس الذي لك في المسيح، تحتاج أن تقاوم دوافع الهروب، تحتاج أن تبقى في المشهد، تحتاج أن تتكلّم بكلمات المحبة الممزوجة بالحق لقريبك، تحتاج أن تقول، «لا! قف! انتظر، وصلِّ، وفكّر، وتكلّم» قبل أن تستسلم لميول الهرب.

ويقول بولس لك «لا تغرب الشمس على غيظكم.» لقد ذكرت من قبل أن واحدة من عهود الزواج التي قطعناها أنا و«لولا» في بداية علاقتنا ألا نذهب للفراش ونحن غير متصالحين، وهذا العهد كان يسبب مشاهد مضحكة في بعض الأحيان في غرفة النوم في بداية زواجنا، فنحن غاضبون وكبريائنا يمنعنا للغاية من طلب الغفران، ولكننا لا نزال في حالة وإدراك تام للعهد الذي قطعناه، فكان من الممكن أن نبقى في السرير ونحن نحاول أن نبقى مستيقظين بينما كل منّا ينتظر الآخر حتى يستسلم ويعترف أنه أخطأ! وفي بعض الأحيان نمسك أعيننا بأيدينا لكي تظل مفتوحة حتى يقول أي منا، «هل لا زلت مستيقظًا؟ سامحني لأنني...»

وكلما ظللنا أمناء تجاه هذا العهد كنا نتعلّم قيمة المحاسبة السريعة، فاليوم أصبحت لحظات الخلاف في علاقتنا قليلة جدًا، في العادة بضع دقائق، وبعدها يطلب أحدنا الغفران، بسبب أننا نعالج المشكلات وهي مازالت صغيرة، فالحلول تأتي بسهولة، لكن عندما نسمح لمشاعرنا السلبية أن تنمو وتزداد، نعطي للشيطان فرصة ليعمل عمله.

ما هو عمل الشيطان؟ عمله هو الخداع، والانقسام، والتدمير، فهو يتربص، وينتظر لاستغلال أي فرصة ليحول غضبنا إلى شيء أكثر تدميرًا وموتًا، وهو يعمل على تحويل الغضب لكراهية، ولمرارة سامة، ولرفض عنيد للغفران، ولأفكار قبيحة للانتقام. وهو يغذي هذه البذور بشوك من العلاقات المكسورة، ومن الحيل الدفاعية، ومن السخرية، والشك. لذلك يقول بولس «كن حذرًا من عمل الشيطان قبل أن تنطق الكلمة الأولى، أعد ترتيب الأمور سريعًا، لا تعطه أي أرضية يقف عليها، افعل أي شيء يمكنك فعله لتعيق عمله.»

هل الطريقة التي نعالج بها الأمور تعطي مكانًا لإبليس؟ ما هي ميولنا؟ هل هي أن ننفجر أو أن نصمت؟ ما التغيير الذي نريد أن نصنعه في طريقة تعاملنا مع الغضب؟ ما هي نوعية الأشياء التي تغضبنا؟ ما الذي تكشف عنه كنوز قلوبنا الحقيقية؟ هل أصبحت «المخلوقات» أكثر أهمية من «الخالق» (رومية ١: ٢٥)؟

نشكر الله لأجل تعضدينا بحضور قوة الروح القدس (أفسس ٣: ١٤-٢٠)! وبسببه يمكننا التمرن على الانضباط تجاه الأمور التي تحكمت فينا من قبل.

اختيار كلمات النعمة

ربما يكون هذا هو أسمى هدف للحديث في داخل جسد المسيح ـــ وهو أن تكون كلماتنا قنوات لعطية الحياة الموهوبة لنا في الرب يسوع المسيح. هنا نركز في الواقع على أن نكون جزءًا مما يفعله الله في حياة الآخرين، هنا نموت عن آمالنا، وأحلامنا، وشهوات الذات لكي يتمم قصده. هنا نستعرض علاقاتنا من منطلق أننا سفراء له، ماذا يعني هذا؟ إنه يعني أن ندرك أن علاقاتنا لا تنتمي لنا، الناس لم تخلق من أجل سعادتنا ورضانا؛ إنما عيننا الله لننقل محبته القوية لهم بأمانة. (انظر الفصل السابع لمناقشة مفصلة عن كورنثوس الثانية ٥: ١١-٢١)

دعنا ننظر لكلمات «بولس» وهو يدعونا للتكلّم بطريقة تعطي نعمة.

«لاَ تَخْرُجْ كَلِمَةٌ رَدِيَّةٌ مِنْ أَفْوَاهِكُمْ، بَلْ كُلُّ مَا كَانَ صَالِحًا لِلْبُنْيَانِ، حَسَبَ الْحَاجَةِ، كَيْ يُعْطِيَ نِعْمَةً لِلسَّامِعِينَ. وَلاَ تُحْزِنُوا رُوحَ اللهِ الْقُدُّوسَ الَّذِي بِهِ خُتِمْتُمْ لِيَوْمِ الْفِدَاءِ.» (أفسس ٤: ٢٩-٣٠)

يؤكد «بولس» على خمسة عناصر لجعل كلامنا ممتلئ بالنعمة.

كن ملتزمًا بثبات بالأحاديث النافعة. حين قال «بولس» «امنع أي كلام رديء من الدخول في محادثاتك،» إنه لا يتكلم فقط عن السب، واللعن، أو عن الكلمات البذيئة أو الكلمات القبيحة، بل في الواقع، إن فكرت في هذه الفقرة بهذه الطريقة ستقلل بشكل كبير

من أهميتها. لدى «بولس» شيء أهم من هذا، إنه أمر ثوري خلاصي في الذهن. وبالنسبة «لبولس» الكلام الرديء هو الكلام المتمركز حول ذاتي، والذي ليس له هدف أسمى من احتياجاتي الشخصية، وشهواتي، وأحلامي، وحاجاتي الملحة. تنبع الكلمات الرديئة من قلب تسيطر عليه شهوات الأرض الحاضرة والشخصية، فإنها تنطق بسبب أنها تسعدني وتحقق أهدافي، إنها محاولة للحصول على ما أريد دون الرجوع لسيادة المسيح أو لدعوتي للتحدث كسفير له.

لقد عقدت جلسات مشورة عديدة مع عديد من الأزواج والزوجات الذين يعانون من زواج مدمر، وهم لم يصلوا أبداً لهذه النقطة والتي هي رأس الموضوع. فلو أن الحديث المتمركز حول الذات، والتواصل حسب شهوتي قد تم تبديلهما مبكرًا بالحديث كسفير (ما هو المهم بالنسبة لله هنا، وكيف يمكنني أن أتكلم بطريقة تمجده؟)، لِمَا وصل زواجهما لهذه النقطة المأسوية من الانحلال.

كل منا يحتاج أن يواجه الصراع القوي للشهوة في قلوبنا ــ كم من السهل أن تتشكّل كلماتنا بدون هدف أسمى من سعادتنا الخاصة، نحتاج أن ندرك كم المرات التي نتكلّم فيها كما لو كنا بدون وعي كامل لله، وعمله، ودعوته لنكون أدوات لنعمته.

ما هو الكلام الصالح إذًا؟ إنه التواصل الموجه للآخر والمغروس في الوجود، والمحبة، والرحمة، والنعمة، ودعوة الله. إنه يخضع لخطته، وللتكلّم وفقًا لمقاييسه، ولاستخدام الكلمات غير الأنانية،

هو يجد معنى وفرح في أن يستخدم بواسطة الله وهو يعمل في حياة الآخرين.

الكلام الصالح أيضًا موجه للآخرين بطريقة الاهتمام باحتياج الآخرين كمحور تركيزه، تنطق الكلمات خصيصًا لأجل منفعة الذين يستمعون، وينبع الكلام الصالح من قلب يحب الله أكثر من أي شيء آخر وأقرباء كأنفسنا، لن نتكلم بهذه الطريقة أبدًا لو كانت قلوبنا ممتلئة بشهواتنا، وأهدافنا، ومتطلباتنا، واحتياجاتنا الخاصة.

فقط عندما نضع أنفسنا تحت سلطان عناية الله سننطلق في التكلم بهذه الطريقة. فنحن في أنانيتنا، وشكوكنا، وخوفنا، نريد أن نأخذ السيطرة على كلامنا، لنتأكد من الحصول على الأشياء التي تُشرّعها قلوبنا. («أنا أحتاج لكسب احترامه.» «لو كان لديّ فقط هذه الوظيفة!» «إنها يجب أن تعرف كمّ الألم التي تسببت فيه لـيّ!» «سأعلّمه أن يحترمني حتى لو كان هذا آخر شيء سأفعله!» «لو لم أحسم هذا الجدال، ستسير الأمور للأسوأ» «يجب أن أتعامل معها بطريقة خاصة كالأطفال.» «يجب أن أوضح له أن هذه ليست المرة الأولى التي يفعل فيها هذا معي.») لكن الكلام الصالح يلبّي كل من دعوة الله واحتياج الآخرين.

فكر في الشخص الذي تتحدث إليه. («...**كُـلُّ مَا كَـانَ صَالِحًا لِلْبُنْيَانِ**»). كما رأينا في الفصل ١٢، يقول بولس شيئًا ثوريًا هنا: أننا يجب أن نتكلم بالأشياء التي تنظر في كيفية بناء مستمعينا.

لمن **نتكلّم**؟ لرجل، امرأة، ولد أو بنت؟ هل هو شخص في مثل عمرنا، أصغر، أم أكبر؟ هل هو صديق قديم، أم معرفة حديثة، أم شخص غريب؟ هل هو عضو من أعضاء الأسرة، قريب من درجة بعيدة، أو هو أحد الجيران؟ هل الشخص مؤمن، باحث عن الإيمان، أم خاطئ؟ ما هي معرفته وخبراته عن حقائق الإنجيل؟ كيف يتقبل الشخص خدمتي؟ كيف تقودني إجابات هذه الأسئلة فيما سأقول؟

فكر في المشكلة التي دُعيت لمعالجتها. («...**كُلُّ مَا كَانَ صَالِحًا لِلْبُنْيَانِ، حَسَبَ الْحَاجَةِ**»). التفكير في المشكلة يعني أن تسأل، ما هو احتياج هذه اللحظة؟ ما هي عطية النعمة المطلوبة؟ كيف أتكلم كأداة لهذه النعمة؟ هل هناك نوع معين من الخطايا يحتاج لمواجهة بالمحبة؟ هل عمل صانع السلام مطلوب لأن هناك شقاق وانقسام؟ هل هناك عمى روحي؟ فقدان للأمل؟ هل هناك جيوب للشك نحو الله؟ هل هناك تناقض بين الكثير من المشيرين وأصبحت النصائح متضاربة؟ هل هناك خوف، وقلق، وفزع؟ هل هناك غضب، وحقد، وقسوة، وانتقام؟ هل هناك نقص في المعرفة، والحكمة، والرؤية الكتابية؟ هل هناك أنماط للتمرد المباشر على الله؟ هل هناك أنانية، وكبرياء، أو بر ذاتي يحتاج أن يتم مواجهته؟ هل هناك عدم رغبة في تحمل المسئولية؟ هل هناك أي احتياج لإعطاء الشكر، والتسبيح، والعبادة؟

إن امتلاك الخطة الصحيحة يحدث اختلافًا جذريًا في التواصل. عادةً الوالدين على سبيل المثال، يدخلون لغرف أبناءهم بخطة للعقاب بدلاً من خطة للخدمة، إنهم يفعلون ما هو أكثر من الإشارة للخطأ (عادة يتأثرون بغضبهم ووجعهم) ويعلنون العقوبة، وهم يتجاهلون سؤال الأسئلة المهمة، ما الذي يريد أن يفعله الله في قلب ابني من خلالي؟ إن التركيز على هذا المبدأ فقط يمكن أن يحدث تغييرًا جذريًا في علاقتنا!

فكر في الطريقة («...**كَـيْ يُعْطِيَ (نِعْمَةً) لِلسَّامِعِينَ**»). يقولها «بولس» بهذه الطريقة في كولوسي ٤: ٦ «**لِيَكُنْ كَلاَمُكُمْ كُلَّ حِينٍ بِنِعْمَةٍ، مُصْلَحًا بِمِلْحٍ، لِتَعْلَمُوا كَيْفَ يَجِبُ أَنْ تُجَاوِبُوا كُلَّ وَاحِدٍ.**» هدف الله لتواصلنا هو النعمة؛ وأن تكون كلماتنا لها فائدة روحية معينة للذين يسمعونا. هذه ليست فقط فقرة «لا تفعل»، بل ستكون أكثر قوة كفقرة «افعل». إن الله لا يريدنا أن نقف مختبئين في الخوف الذي يجعلنا نقول أشياء خاطئة، بل دُعينا لنمارس شجاعة الإيمان، لنفكر ونتكلّم بحسم كوكلاء للملك الذي يحكم كل علاقة وكل موقف. يجب أن نحفظ دائمًا حقائق العالم الروحي غير المنظور في المشهد ونتكلم بطريقة تنتج حصاد لثمر الروح في الذين يستمعون إلينا.

عندما نركز على هدف الله للنعمة (الميزة الروحية)، نحتاج أن نسأل ما هي أفضل وسيلة للوصول إليها، ما هي أفضل وسيلة، وأفضل مكان، وأفضل توقيت لقول ما نحتاج أن نقوله لهذا الشخص ليفيده كما خطط الله؟

اسمح لي أن أستخدم مثل الوالدين مجددًا. في الأغلب يعلّم الوالدين أبنائهم في محاولة منهم كي يروا الخطأ الذي فعلوه، المشكلة هي أن هذه هي الطريقة الخطأ، فبينما الوالدين يحاضرون، يفعل الابن شيئان: (١) يدافع وهو صامت، وبمبررات، ويخاصم بذهنه، (٢) ينتظر بلهفة انتهاء «المحادثة»، ربما تسمع ابنك يقول في نهاية أحد محاضراتك، «هل انتهيت بعد؟» هذه ليست كلمات للتوبة! لو كنت قد أعددت نفسي بالتفكير في أفضل طريقة للتواصل، سأدخل الغرفة وأنا أعلم أن ما يحتاجه المراهق وهو نعمة الاقتناع والاعتراف. أنا أريد أن أتحدث لابني بطريقة تقوده للاعتراف، ربما هذا يعني إنه من الأفضل أن نطرح أسئلة مفتوحة تجعل الابن قادرًا على اختبار الموقف، وأفكاره ودوافعه، وتصرفاته أكثر من إخباره بما أفكر، لا أريده فقط أن يوافقني؛ أنا أريده أن يرى نفسه بدقة في مرآة كلمة الله، لا أريده أن يعقد صفقة معي، لكن مع الله.

في كل موقف احتاج أن اسأل، ما هي أفضل طريقة لكلماتي لتحقيق هدف الله للنعمة؟ ستكون الإجابة مختلفة وفقًا للموقف والأشخاص التي فيه.

لا تدع كلامك يعيق عمل الروح القدس. (**«ولا تحزنوا الروح القدس الذي لله، الذي ختمتم به ليوم الفداء»**) ما هو العمل الأساسي للروح القدس؟ هو أن يقدّسنا، هذه العملية من التقديس تستمر مدى الحياة في كل موقف وعلاقة، إنه يعمل من خلال «كل الأشياء» لأجل خيرنا، لذلك يمكنا أن نشابه صورة ابنه (رومية ٨: ٢٨-٣٠).

إنه لأمر مريع أن تتسبب أنانيتنا، وكلامنا الرديء في إعاقة عمل الروح!

لهذا السبب يذكّرنا «بولس» أن الله ختمنا ليوم خلاصه، الختم هو علامة الملكية. من لحظة ميلادنا الجديد، لم نعد ننتمي لأنفسنا، ولا حتى لكلماتنا. ويكرر «بولس» هذا المبدأ في كورنثوس الأولى ٦: ١٩ «**أَمْ لَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ جَسَدَكُمْ هُوَ هَيْكَلٌ لِلرُّوحِ الْقُدُسِ الَّذِي فِيكُمُ، الَّذِي لَكُمْ مِنَ اللهِ، وَأَنَّكُمْ لَسْتُمْ لأَنْفُسِكُمْ؟ لأَنَّكُمْ قَدِ اشْتُرِيتُمْ بِثَمَنٍ. فَمَجِّدُوا اللهَ فِي أَجْسَادِكُمْ وَفِي أَرْوَاحِكُمُ الَّتِي هِيَ للهِ.**» وأنا أود أن أضيف **وفي كلامكم** أيضًا.

يقول الله، «أنا امتلكتك واخترتك لتكون جزءًا من عملي للقداسة في حياة الآخرين، لا تقف في طريقي!» لتجنب هذا، نحتاج أن نتخلّص بالكامل من القسوة، والثورة، والغضب، والمشاجرة، والافتراء، والحقد في كلامنا، كل هذه دلائل تشير لقلب تتحكم فيه الشهوات والاحتياجات الشخصية، تشير لقلب أخذ ملكية حياتنا بعيدًا عن الله. عندما نتصرف بهذه الطريقة، نحتاج أن نتذكر أننا قد أُشترينا وخُتمنا من قبل الله.

اختيار كلمات الغفران

لا توجد دعوة للمسيح أصعب من الدعوة للغفران للآخرين كما غفر لنا، يقول «بولس» :

«وَكُونُوا لُطَفَاءَ بَعْضُكُمْ نَحْوَ بَعْضٍ، شَفُوقِينَ مُتَسَامِحِينَ كَمَا سَامَحَكُمُ اللهُ أَيْضًا فِي الْمَسِيحِ. فَكُونُوا مُتَمَثِّلِينَ بِاللهِ كَأَوْلاَدٍ أَحِبَّاءَ، وَاسْلُكُوا فِي الْمَحَبَّةِ كَمَا أَحَبَّنَا الْمَسِيحُ أَيْضًا وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لأَجْلِنَا، قُرْبَانًا وَذَبِيحَةً للهِ رَائِحَةً طَيِّبَةً.» (أفسس ٤: ٣٢ – ٥: ٢)

تشمل كلمات الغفران أشياء عديدة.

أن أستقبل خطية الآخرين بالغفران القانوني. الغفران القانوني هو خطوة لتهيئة القلب، فأنا في عهد مع الله وعندها أطلق الخطأ الذي أرتكبه الشخص ضدي وأودع الشخص لعمل الله للتبكيت والعدالة. يقول «بطرس» عن المسيح، **«الَّذِي إِذْ شُتِمَ لَمْ يَكُنْ يَشْتِمُ عِوَضًا، وَإِذْ تَأَلَّمَ لَمْ يَكُنْ يُهَدِّدُ بَلْ كَانَ يُسَلِّمُ لِمَنْ يَقْضِي بِعَدْل.»** (بطرس الأولى ٢: ٢٣). لم ينتقم المسيح (لا بطريقة لفظية أو بطريقة أخرى) لأنه لديه ثقة حية وعملية في الآب. هذا يعلّمني أن الغفران للناس الذين أخطئوا في حقي هو ثمرة إيمان بالله، وثقة في الله تنقل قلبي من أفكار الانتقام لأفكار المصالحة، ومن خطط الدينونة لغرض المحبة. كل هذا يجهزني للخطوة التالية للغفران.

استقبل خطأ الآخرين بالغفران للقريب. الغفران للقريب يختلف عن الغفران القانوني في أنه لا يمكن أن يقدم حتى يطلبه الشخص والمشكلة عند كثير منا هي أنه بسبب أننا لم نتعامل مع مشكلات القلب للغفران القانوني، فنصبح غير مستعدين تمامًا لتقديم الغفران للقريب حين يطلبه أحدهم منا. نحن لا نزال غاضبين ونأوي أفكار الانتقام، آخر شيء نريد أن نفعله هو أن نغفر لشخص نعتقد أنه يحتاج للعقاب.

هذين الوجهين للغفران مهمين جدًا في الحياة المسيحية! فالخطاة سيلاحقوننا طالما أننا نعيش في هذا العالم، نادرًا ما سيمر يوم دون أن يخطأ فينا أحدهم بطريقة ما، فهناك الجرح الجسدي من عدم مراعاة الآخرين إلى طعنة جرح عميق من اعتداء مروع، وخطاة يخطئون بعضهم نحو بعض. لكن هناك أيضًا شيء آخر حقيقي، أن الخطاة يميلون للتجاوب مع الخطأ الذي فعلوه في حقنا بخطأ أيضًا، لهذا السبب الغفران حيوي ومهم، ليس فقط للشخص الآخر، لكن لخيرنا أيضًا. وإلا سيتحكم في قلوبنا الغضب، والقسوة، والانتقام، وإعطاء إبليس الفرصة لفعل عمله الرديء.

الكتاب المقدّس واضح في أنه ليس من المنطقي أن نبتهج بالغفران المذهل الذي استقبلناه في المسيح لو رفضنا أن نغفر للآخرين (انظر متى ١٨: ٢١-٣٥). والكتاب المقدّس واضح في أن ألزم نفسي بالغفران يعني أن تكون لديّ الرغبة في فعل ذلك باستمرار — ربما لمرات عديدة في اليوم ومع نفس الشخص (انظر لوقا ١٧: ١-٦)! في الختام، تؤكد كلمة الله أن الغفران لا يجب أن يصبح من المسلّمات، لكن يجب أن نتكلم بكلمات واضحة للغفران مع الآخرين. ومثالنا في الغفران هو الله، الذي لم يتوقع أننا سنفهم أنه قد غفر لنا، لذلك فقد أعلنها مرات كثيرة في كلمته. ويعني الغفران للقريب أن أتكلم بكلمات الغفران للمذنب بشكل دائم.

و لن يفيد قول «الأمر على ما يرام» أو «ليست هناك مشكلة» للشخص الذي قد بكته الروح القدس على خطيته وجاء لطلب الغفران،

فلقد بكته الروح القدس وأخبره أن ما فعله ليس على ما يرام، إنه يحتاج لعطية الغفران منك ليستريح قلبه. في هذا الموقف نحتاج أن نقول، «لقد سمحت وقد ألزمت نفسي بأن لا أفتح هذا الموضوع مجددًا حتى لنفسي، لك، أو للآخرين.» هذه الكلمات تفعل شيئان: تمنع عمل العدو وتعلن عمل التقديس والمصالحة الذي قد بدأه الروح القدس بالفعل.

إن فشلنا في التحدث بكلمات واضحة للغفران للشخص الذي أخطأ فينا ربما يكون أكثر طريقة شائعة لحجب عمل الروح وإعطاء إبليس الفرصة. إن كلمات الغفران تفعل ما هو أكثر من شفاء العلاقات البشرية؛ إنها تعلن عن عمل الله بجعلنا نشابه المسيح.

استقبل خطية الآخرين بكلمات البركة. أن أغفر لا يعني أنني أريد أن أسمح بالكاد بوجودك في حياتي. الغفران فعّال، إنه يبدّل الكراهية بالمحبة، يبدل الحقد بالرأفة، والقسوة بالفرح، والرغبة في الانتقام بالرغبة في البركة. عندما يغفر الله، لا يسمح لنا بمجرد الرجوع عن تبعيته، بل يغمرنا ببركاته، ويقدم لنا مراحم جديدة في كل صباح، يملأ كأسنا ليفيض! كلمات الغفران الحقيقية ستقود دائمًا لكلمات البركة.

هنا، ولمرة أخرى دُعينا لنتكلم محتذين مثال الله. فالله لم يقبلنا فقط في عائلته، لكن بينما يعمل فينا بمحبته ومن خلانا، فهو يحرّكنا لنتكلم بكلمات البركة بمحبة وتحرر، وقد باركنا بكلمات تعانق أروحنا مثل الدواء على الجرح. عندما نُظلم، نحتاج أن نبحث عن فرص

للتكلّم بكلمات البركة للشخص الذي فعل هذا، هذه الكلمات هي كلمات للمحبة، وللتعزية، وللنعمة، وللصبر، وللطف، وللصلاح، وكلمات للسلام وللتشجيع. إنها تسكب الماء على نيران الغضب. إنها تُستخدم من قبل الله لتسكين عاصفة الصراع، إنها تخضع لدعوته لبركة الذين أساءوا إلينا، والذين فعلوا الشر لنا (لوقا ٦: ٢٧)، إنها تعلن هزيمة الشر لا بصناعة حرب لدوافع وشهوات الطبيعة الخاطئة، لكن بغلبة الشر بالخير بالأفعال والكلمات (رومية ١٢: ٩-٢١)، إنها تجعلنا نجثو بينما نعترف مجددًا أنه فقط بقوة الله يمكننا أن نتكلّم بهذه الطريقة. فكّر في عدد الفرص التي أعطيناها للعدو لمجاوبة أخطاء الآخرين بالغضب، وعدم الصبر، والاتهام، والتهديدات، لا تتعجب من أننا غير مستعدين للمجاوبة بطريقة الله عندما تقع علينا إهانات أكثر صعوبة!

هذه كانت حالة «شيرلي» و «جيم»، عندما ارتكب «جيم» فعل الخيانة الزوجية، فعلت «شيرلي» كل شيء لتجرحه، لقد اتصلت بكل شخص قد تتخيله لكي تدمر سمعته، لقد سعت لتدمير كل احترام لدى الأبناء تجاهه. لماذا تجاوبت «شيرلي» بهذه الطريقة؟ لماذا لم تكن مستعدة للتعامل مع خطأ «جيم» بطريقة الله؟ بسبب أنه في هذه اللحظة من الأزمة الكبيرة، كانت «شيرلي» تفعل ببساطة ما قد تعودت على فعله في الأزمات الصغيرة للحياة اليومية، في هذه المواقف الصغيرة، نادرًا ما تتجاوب «شيرلي» بكلمات الغفران والبركة، إنما تنظر لأكثر شيء جارح يمكن أن تقوله

لـ «جيم» وهي تتمسك يالإهانة وتشارك حتى أصغر خطايا «جيم» مع أي شخص حولها.

ربما نحن نتكلم عن مبدأ «الأمانة في القليل، الأمانة في الكثير.» الأخطاء الصغيرة هي الأرضية لتدريب الله لنا، لكي يُمكننا من التعامل مع الخطية بطريقة الله، فنصير مستعدين لفعل وقول ما هو صحيح عندما تأتي الأخطاء الكبيرة، ستظهر كلماتنا عمل الروح ولن تعطي لإبليس مكانًا لفعل خدعته، وعمله المدمر.

عالم للشر أم أداة للخير؟

لقد أتينا لنهاية حديثنا عن الصراع العظيم للكلمات. إنه قد بدأ بكذبة في الجنة ولا يزال دماره مشتعلاً، فبإمكاننا أن نراه في مكاتبنا، ومطبخنا، وغرفة الأسرة، والسيارة، لكن الصراع لا يتم هنا في الواقع. فصراع الألسنة هو في الواقع صراع للقلوب، ما يتحكم في القلب سيتحكم في اللسان، فاللسان يمكن أن يضع «مسار الحياة بأكملها على النيران،» أو ممكن أن يستخدم لـ «إعطاء نعمة للشخص الذي يستمع.» وممكن أن يهدم بشراسة أو يبني بمحبة، إنه يمكنه أن يدين أو يعطي حياة، يمكنه أن يقابل الإساءة بالمحبة والغفران أو بالكراهية والانتقام، يمكنه أن يخضع لسيادة المسيح أو أن يحيا تحت سلطان دوافع وشهوات الطبيعة الخاطئة، يمكنه أن يمارس نمط حياة الخدمة أو نمط حياة الحب الذاتي وخداع الآخرين للحصول على التوقعات والرغبات الشخصية، يمكن أن يكون ينبوعًا للحق

أو مجرى ملوث للزيف، يمكن أن يصنع سلامًا أو يسبب حربًا، يمكن أن يلعن أو يمكن أن يسبّح ويمجّد.

في كل هذا، سيخدم اللسان السيد الذي تخضع له قلوبنا بالفعل. إنه الوقت لنخضع لدعوة الله على ألسنتنا كمليكنا ومخلّصنا أكثر من أي وقت مضى، نحتاج أن نلتزم بأن نتكلم لأجله.

ونحن نفعل هذا، سنتعلم أن نختار كلمات الحق، والمحبة، والانضباط، والنعمة، والغفران، حتى في وجه الاستفزاز. وسنشعر بالشغف تجاه عظمة دعوتنا كأبناء لله، فيا له من شيء مدهش أن يختارنا الله لنكون أعضاء عائلته! إنه شيء يفوق الخيال أن يدعونا لنكون سفرائه، لنمثله على الأرض، لنصل بدعوة محبته لعالم مستعبد لذاته.

يُحسم فقط صراع الكلمات عندما يسود الله على قلوبنا وبذلك نتكلم بكل سرور وباستمرار لأجله. ربما يساعدنا الله، لكي يتحول هذا العالم الشرير لعالم من الخير الفدائي. يا ليته يحسم الصراع لأجل قلوبنا لكي تتحول ساحة معركة الكلمات لجنّة للثمر الجيد، حيث تنتج بذور السلام حصاد من البر يدوم. (يعقوب ٣: ١٨).

على المستوى الشخصي:

تقييم نهائي

في قراءتك لهذا الكتاب، ما الذي تعلّمته عن أفكار ودوافع قلبك؟

ما الذي تعلمته عن عوائق تواصلك؟ (الزوجي، والأبوي، وفي الصداقة، والأسرة، وفي جسد المسيح، إلخ...)

أين يدعوك الله للتوبة؟

لتخلع:

لتلبس:

ما هي الفرص المحددة التي يعطيك إياها الله لتكون جزءًا مما يفعله في حياة الآخرين؟

ما هي الوعود الكتابية التي تشجعك بينما تتجاوب مع دعوة الله للتغيير؟

الكاتب

«بول ديفيد تريب» هو رئيس خدمات «بول تريب»، وهي مؤسسة غير هادفة للربح عنوان رسالتها هو «دمج القوة المغيرة ليسوع المسيح في الحياة اليومية.» تقود هذه الإرسالية بول لأن يحاضر أسبوعيًا حول العالم. بالإضافة لأنه محاور جيد ومتكلم مطلوب في مؤتمرات خدمات بول تريب، فـ «بول» يشغل منصب رعوي في الكنيسة المشيخية العاشرة في فيلادلفيا، بنسلفانيا، حيث يعظ في أيام الأحاد، ويقود الخدمة في وسط المدينة. أيضًا «بول» أستاذ في الحياة الرعوية والرعاية بمعهد الفادي الإكليريكي في دالاس، تكساس، والمسئول التنفيذي لمركز الحياة الرعوية والرعاية في دالاس، تكساس، وقد درّس في العديد من المعاهد المحترمة حول العالم. وككاتب، كتب «بول» عشرة كتب عن الحياة المسيحية تُقرأ وتوزع دوليًا. وهو متزوج من «لولا» منذ سنوات عديدة ولديهم أربعة أبناء بالغين.

لجدول المحاضرات وللمزيد من المعلومات، برجاء زيارة الموقع الإلكتروني www.paultrippministries.org